

نوادر الأدب

رسائل مخطوطة نادرة في الأدب تطبع محققة لأول مرة



قاصرة الطرف المكحول في معنى بيتي المشغول

محمد الحسيني الدمشقي

بلوغ المآرب في أخبار العقرب

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ



قصة حدثت في مجلس الحجاج الثقفي

أبو عبد الله الكرخي



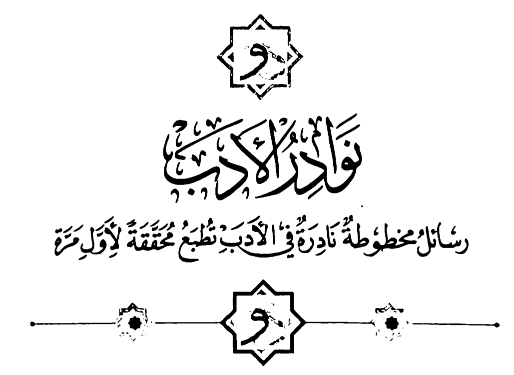

المقامة الفكرية السنية في المملكة الباطنية

عبد الله فكري باشا ت ١٣٠٦هـ

تحقيق الدكتور
عاصم عبد ربه محمد
عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر

قدم له الدكتور
مشعل بن عبد العزيز الفلاحي



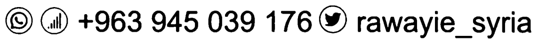

نوادر الأدب
رسائل مخطوطة نادرة في الأدب تطبع محققة لأول مرة

نهتم بنشر اللّغة والثقافة العربية في العالم

الطبعـة الأولـى 2022م - 1443هـ



الجمهورية العربية السورية - دمشق

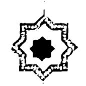






وكلاء التوزيع في الدول العربية والعالم




الجمهورية العربية السورية - دمشق

+963 933 396 811

meraj.press@gmail.com

دار الدليقان

المملكة العربية السعودية

الرياض - شارع السويدي العام

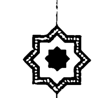
+966 533 624 644

ISBN: 978-9933-9352-2-1

تصميم الغلاف والإخراج الفني: أحمد عجم

نوادر الأدب

رسائل مخطوطة نادرة في الأدب تطبع محققة لأول مرة



قاصرة الطرف المكحول في معنى بيتي المشغول

محمد الحسيني الدمشقي

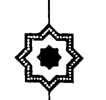
بلوغ المآرب في أخبار العقرب

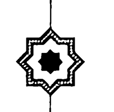


جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ

قصة حدثت في مجلس الحجاج الثقفي

أبو عبد الله الكرخي





المقامة الفكرية السنية في المملكة الباطنية

عبد الله فكري باشا ت ١٣٠٦هـ

تحقيق الدكتور

عاصم عبد ربه محمد

عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر

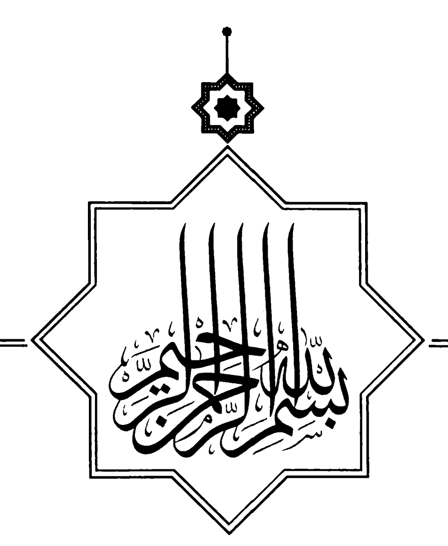
قدم له الدكتور

مشعل بن عبد العزيز الفلاحي



روائع الكتب

دمشق - سوريا للناشرون وموزعون



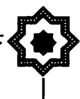
تقديم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الأنبياء والمرسلين، وبعد..

فَمَسئوليّةُ الأمةِ كُبْرَى تُجَاه تُرَاثِها ولغتِها وأدبِها، وصناعةُ الأدبِ في نفوسِ قُرَّائِه ومُتَذَوِّقِيه مختلفةٌ جدًّا عن أي صناعة، فهو يَخلقُ الجمالَ والإبداع، ويَعْرِضُ صُوَرَه في أبهجِ معانيها على الإطلاق، وهو في الوقت ذَاتِهِ يُثْرِي ذَائِقَةَ صاحبِه، ويُعَزِّزُ قِيَمه، ويَبْنِي منظومةَ أفكارِه ومفاهيمِه وتَصَوُّرَاتِه، ولذلك كُلِّهِ تحاول دارُ روائع الكتب تعزيزَ هذه المعاني مِن خلالِ إخراجِ كُنُوزِه وطباعةِ كتبِه وإبرازِها لَعَامَّةِ القُرَّاء، وأَحْسبُ أنَّ هذه الرسائلَ الأَرْبَع تجري في الفَلَكِ ذاتِه، وتَصُبُّ في المَعِين نَفْسِه.

وبالله التوفيق.

الدكتور مشعل بن عبد العزيز الفلاحي



المقدمة

الحمد لله الذي عَلَّمَ بالقلم، علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلم، والصلاةُ والسلام على خير البرية، ونبي الرحمة، محمد بنِ عبد الله، ورضي الله عن آل بيتِه وأصحابِه ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه مجموعةٌ من الرسائل الأدبية البديعة التي تُطبَع محَقَّقَةً لأولِ مرة، اخْتَرْتُها من بين مئات المخطوطات، تَنَوَّعَتْ موضوعاتُها، واختلف أسلوبها، فتجدُ فيها الجِدَّ والهَزل، وتتنوع بين الشعر والنثر والقصص والمواعظ والتصوف والتاريخ، وهذه الرسائل هي:

- قَاصِرَةُ الطَّرفِ المَكْحُولِ في معنى بَيْتَيِ المَشْغُول، لابن العطار، محمد الحسني الدمشقي.
- بُلُوغُ المُأْرَب في أخبارِ العَقْرَب، للحافظ جلال الدين السيوطي.
- قِصَّةٌ حدَثَت في مجلسِ الحجاج بن يوسف الثقفي، لأبي عبد الله الكَرْخِي.
- المَقَامَةُ الفِكْرِيَّةُ السَّنِيَّة في المملكة الباطِنِيّة، لعبد الله فكري باشا.

فمِن هذه الرسائل ما اعتمدْتُ في تحقيقه على نسخةٍ خطيةٍ وحيدة لم أقف على غيرها، ومنها ما اعتمدت فيه على أكثر من ذلك، كما سيتضح في مقدمة كلِّ رسالةٍ إن شاء الله تعالى.

وقد انْتَهَجْتُ في تحقيق هذه المخطوطات منهجًا واحدًا يتمثل فيما يأتي:

- نسخ المخطوط اعتمادًا على النسخة المتاحة.
- معارضةُ المنسوخ بالمخطوط للتأكدِ مِن صحةِ النسخِ وسَلامَتِه.
- المقابلة بين النسخ المخطوطة - إن وُجِدَت - وإثبات الفروق.
- تقسيم نص الكتاب إلى فقرات ليَسْهُلَ الفهم.
- ضبط النص والأبيات الشعرية ضبطًا متوسطا، وضبط الكلمات الصعبة ضبطًا كاملا.
- إدخال علامات الترقيم المعتادة على النص لِتَسْهيل قراءَتِه وضَبْطِه وفَهْمِه.
- عزوُ الآيات الكريمة إلى مواضعها في المصحف والإشارة إلى ذلك في الهامش.
- تخريج الأحاديث الشريفة تخريجًا مختصرًا.
- التعريف بالأعلام والبلدان الواردة في الكتاب تعريفًا مختصرا، وذلك بالرجوع إلى كتب التراجم والبلدان.
- توثيق الأبيات الشعرية الواردة في النص بالرجوع إلى الدواوين الشعرية وغيرها.
- توضيح معاني الكلمات الغامضة بالرجوع إلى المعاجم وكتب اللغة.
- محاولة توضيح مقصود المصنف من بعض الجمل غَائِرَة المعنى، وذلك حسب فهمي للمقصود.

والحمد لله أوله وآخره

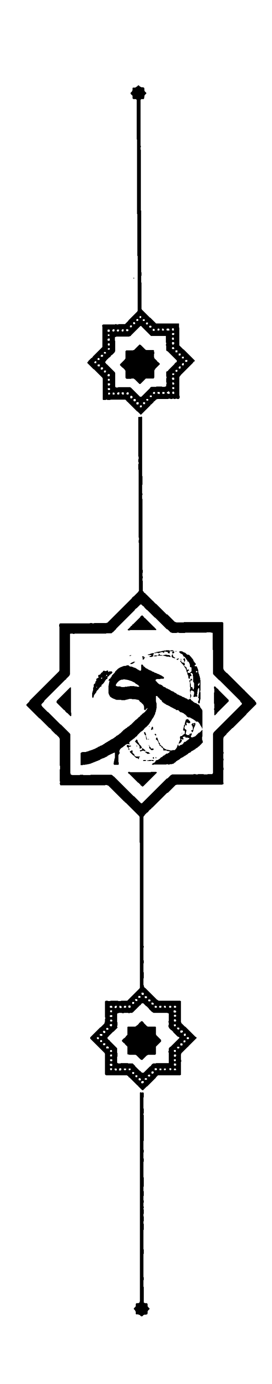
الدكتور عاصم عبد ربه محمد



قَاصِرَةُ الطَّرْفِ المَكْحُول

فـي معنى بَيْتَـيِ المَشْغُول

محمد الحسني الدمشقي



مقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاةُ والسلام على أشرف المرسلين، سيدِنا محمد النبي الأمي الأمين، ورضي الله عن آل بيته وأصحابه والتابعين، وبعد.

فهذه رسالة بديعةٌ تَتَنَاوَلُ شرحَ بيتين شهيرين من الشعر الغزلي، صنَّفَهَا محمدٌ الحسنيُّ الدمشقي، وسماها (قَاصِرَةُ الطرفِ المَكْحُولِ في معنَى بَيْتَيِ المشْغُول)، والحديث هنا يدور حول أمور عدة:

أولًا: سببُ التَّسْمِيَة:

بالنظر إلى تسمية الشاعر للبيتين (بيتي المشغول) يقودنا الحديث إلى سبب التسمية، وهو أن المصنف سمَّى البيتين باسم اللفظ الذي عليه يدور الشرح، وهو لفظ (مشغول)، حيث قال الشاعر:

مِـــنْ قِصَـــرِ الليـــلِ إذا زُرْتِنِــــي ... أَشْـــكُو وتَشْـــكِينَ مِـــنَ الطُّـــولِ

عَـــدُوُّ عينَيْـــكِ وشَـــانِيهِمَا ... أَصْبَـــحَ مَشْـــغُولاً بِمَشْـــغُولِ

حيث أبدع المصنف في تفسير لفظ (مشغول) فأتى بمعانٍ غَائِرَة، وتنبيهاتٍ فريدة، وإشاراتٍ دقيقة، فجاءت الرسالة آيةً في الحسن والجمال مع قِصَرِها.

ثانيًا: قائل البيتين:

قائل البيتين هو علي بن محمد بن جعفر العلوي الكوفي، الحِمَّانِيُّ (ت ٣٠١هـ)[١]، وتأتي ترجمته إن شاء الله.

ثالثًا: المصنفات المتعلقة بالبيتين:

نظرًا لدقة معنى البيتين - كما يأتي - صنَّفَ عددٌ من العلماء شروحًا عليهما، فمن هؤلاء القاضي تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم بن تاج الدين المالكي (ت١٠٦٦هـ)، حيث ذَكَر المُحِبِّيُّ في خلاصة الأثر في ترجمة القاضي تاج الدين ما نصه «وله رسالتان، كُبْرَى وصُغرى في شرح البيتين اللذين هما:

أشـــكُو وتَشْـــكينَ مِـــنَ الطُّـــولِ   مِـــنْ قصَـــرِ الليـــلِ إذا زُرْتِنِـــي

أصبـــحَ مشـــغولًا بمشـــغولِ[٢]   عـــدوُّ عينيـــكِ وشَـــانِيهِمَا

ومن هؤلاء أيضًا الأديب عبد الجواد بن محمد بن أَحمد المنوفي المَكِّيّ الشَّافِعِي (ت١٠٦٨هـ)، حيث ذكر المحبيُّ ما نصه «وَقد وقفتُ لَهُ على رِسَالَةٍ فِي شرح البَيْتَيْنِ المَشْهُورين وهما:

أَشْـــكُو وتشـــكين مـــن الطـــول   مـــن قصـــر اللَّيْـــل إِذا زرتنـــي

أصبـــح مَشْـــغُولًا بمشـــغول   عـــدوّ شـــانيك وشـــانيهما

أَبْدَعَ فِيهَا وَأَغْرَبَ[٣].

(١) ديوان الحماني ص١١٣، تحقيق محمد حسين الأعرجي، ط: دار صادر، بيروت ١٩٩٨م.

(٢) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين المحبي ١/ ٢٨٧، ط دار صادر، بيروت.

(٣) خلاصة الأثر ٢/ ٣٠٣.

وقد أشار المحبي إلى ذلك أيضًا في نفحة الريحانة حيث قال «وله رسالة في شرح البيتين المشهورين:

مِـــن قِصَـــرِ الليـــلِ إذا زُرْتِنِـــي   أشْـــكُو وتشْـــكِين مـــن الطُّـــولِ
عَـــدُوُّ عينيْـــك وشـــانِيهما   أصْبَـــحَ مَشْـــغولاً بمشْـــغولِ[1]

ومن هؤلاء الأديب علاء الدين علي المَوْصِلي (ت١٢٤٢هـ)، حيث ذكرَ الألُوسِيُّ في غرائب الاغتراب ونزهة الألباب مناظرةً في مجلس أحد الأعيان وقد سأل عن معنى البيتين، وذكر في حديثه أن علاءَ الدين الموصلي صنف رسالةً في شرح البيتين، بل قَرَّرَ أنه وقفَ على عشرين رسالة مصنفة في شرح هذين البيتين، حيث قال: «.... ومنها ما جرى في قوله:

مِـــنْ قِصَـــرِ الليـــلِ إذا زُرْتِنِـــي   أشـــكُو وتشـــكينَ مِـــنَ الطـــولِ
عـــدو عينيـــكِ وشَـــانِيهِمَا   أَصْبَـــحَ مشـــغولاً بمشـــغولِ

فإنه سأل عن معنى البيت الثاني، فقلتُ: هو ظاهرٌ على هذه الرواية، وذكرتُ خلاصتَه، وخَفِيٌّ عَلَى رواية (عدو شَانِيك وشَانِيهِما) وذكرتُ غيضًا من فيض، وأَجْلَيْتُ تمامَ الكلام، على ما أَلَّفَه في ذلك من الرسائل العلماءُ الأعلام، ومنهم شيخنا ذو الفضل الجَلِي، علاء الدين علي أفندي الموصلي، واتفق أني قرأت البيت فرفعت (مشغولاً)، فقال: هو بالنصب دون الرفع، فقلت: قد روى الرفعَ أبو علي الفارسي، واستشهدَ الأشْمُونِي في شرح الألفية بها، ثم قال: خطر لي على رواية (عينيك) معنى لطيف، وهو

---

(١) نفحة الريحانة ورَشْحَةُ طِلاَء الحانة، محمد بن فضل الله المحبي ٢/ ٥٥ ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٩م.

أن المرادَ بـ(عدو عينيك وشانيهما) مرضُ الجفنين، فهو مشغولٌ بهما وهما مشغولان برشق السهام، ورمْيِ حبات قلوب ذوي الغرام، فقلت: لله تعالَى دَرُّه مِن مَرَضٍ تَصِحُ به المرضى، وتَخْتَارُ أن تتصفَ به الأصحاء وترضى، وقد وقفت على نحو عشرين رسالةً في شرح هذين البيتين، فما رأيت فيها احتمالِ كونِ المرادِ بالعدو مرض الجفنين، ولا بِدْعَ فكم ترَكَ الأول للآخر، والشيء قد لا يُرَى وهو نَصْبُ النَّاظِر»[١].

ومن هؤلاء هادي بن عباس آل كاشف الغطاء (ت١٣٤٨هـ) الذي صنف رسالة في شرح البيتين سماها (لَمْحَةُ العينِ في حَلِّ البَيْتَيْن) فرغَ منه سنة ١٣١٤هـ[٢].

ونظرًا لخفاءِ معنى البيتين ودقتِه جعلَهما كثيرٌ من الأعلام من الأبيات السائرة، وكتبوهما كما تكْتَب الأمثال النادرة، فترى من يكتبهما على جدار، ومن يرسمهما بماء الذهب، ومن ذلك ما ذكره الوَشَّاءُ حيث قال: «قرأتُ على كِلَّةٍ[٣] مُعَصْفَرَةٍ لبعض الكُتّاب بالذهب:

مــــن قِصَـــرِ الليـــلِ إذا زُرتنــــي ... أبكــــي وتبكيــــنَ مــــن الطــــولِ

عَـــــدوُّ عينيــــكِ وشــــانيهما ... أصبــــحَ مشــــغولاً بمشــــغولِ»[٤]

(١) غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب، محمود شكري الألوسي ص١٧٦، ط: مطبعة الشاهبندر، بغداد.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني ١٨/ ٣٤١ ط: دار الأضواء، بيروت.

(٣) الْكِلَّة: الستر الذي ينصب كالخِدْر (ينظر: جمهرة اللغة، مادة: كله ٢/ ٩٨٢)

(٤) الموشى = الظرف والظرفاء، محمد بن أحمد بن إسحاق، الوشاء، تحقيق كمال مصطفى ص٢٣٢، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة،الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ - ١٩٥٣ م.

رابعًا: ترجمة قائل البيتين[1]:

* اسمه ونسبه ومولده:

هو علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويلقب بالعلوي، والكوفي، والأفْوَه، والحِمَّانِي، والأخير من أشهر ألقابه، وإنما عرف به لأنه كان ينزل بالكوفة في بني حِمَّان فنُسب إليهم[2]، وبنو حِمَّان بطن من قبيلة تميم[3].

ويحدثنا حسن الأمين عن مولد الحماني فيقول: «أغلب الظنِّ أن الشاعرَ ولدَ في الكوفة في سنةٍ لم تؤرخها المصادر التي بين أيدينا ولم تورد ما يعين على تحديدها، ورغم هذا فمن المعاصرين من يرى أنه كان من المعمَّرِين، وأنه أدرك القرن الثالث من أوله إلى آخره، وهو وَهْمٌ مَرَدُّه ما شاع بين المتأخرين من خلطٍ بين شاعرِنا وبين علي بن محمد بن جعفر الصادق المعروف بالديباجة[4].

---

(١) ينظر في ترجمته: سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، أبو عبيد عبد الله البكري ١/ ٤٣٩، تحقيق عبد العزيز الميمني، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، والإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى، علي بن هبة الله بن ماكولا ١/ ٢٩، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ والأعلام ٤/ ٣٢٤، ومستدركات أعيان الشيعة، حسن الأمين ٢/ ٢٠٣، ط: دار التعارف، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٧م.

(٢) سمط اللآلي ١/ ٤٣٩.

(٣) الإكمال لابن ماكولا ١/ ٢٩.

(٤) يشير حسن الأمين إلى أنه ممن خلط في ترجمة الحماني فأدخلها في ترجمة غيره الدكتور مصطفى جواد في تحقيقه لتلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي ٤/ ١٠٤ في الحاشية، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، والمستشرق يوهان فك في كتابه العربية ص ١٣٧ بعناية الدكتور =

*** نشأته ومنزلته:**

نشأ الحِمَّانِي في بيتٍ عريق في الشعر ؛ فقد كان يقول: «أنا شاعر، وأبي شاعر، وجدي شاعر، وأبو جدي شاعر إلى أبي طالب»[1].

*** شعره:**

تَنَوَّعَ شعرُ الحماني بين القصائد الطويلة والمقطعات الصغيرة، وقد غلب على شعره السياسة والعقيدة، فترى غالب شعره يدور بين هذين الفنين، على أنه لم يغفل المدح والفخر والغزل وبقية فنون الشعر، وقد جمع شعرَه وأخرجه الدكتور مزهر السوداني ونشره في مجلة كلية الآداب في البصرة ١٩٧٤م المجلد ٧، ثم جمع شعره واعتنى به محمد حسين الأعرجي ونشره في مجلة المورد العراقية، العدد ٢ المجلد ٣.

والناظر في شعر الحماني يدرك أنه من المتوسطين، يجيد تارةً ويَضْعُفُ أخرى، ولولا اشتغالُ ذهنِه بالسياسة وأمور العقيدة لربما تَبَوَّأَ منزلةً أَسْمَى.

*** وفاته:**

توفي الحماني سنة ٣٠١ هـ[2].

= رمضان عبد التواب ط: مكتة الخانجي، القاهرة ١٩٨٠م، إذ قال عنه: «لقد كان حفيدًا لجعفر الصادق، وابنًا لمحمد الديباجة، الذي دعا لنفسه بالخلافة في مكة سنة ٢٠٠ هـ..» وليس الحماني بحفيد لجعفر الصادق.

(١) الأعلام ٤/ ٣٢٤، ونسب القول إلى محمد بن عبد الله بن إسحاق الهاشمي في ربيع الأبرار ونصوص الأخيار لجار الله الزمخشري ٥/ ٢٢٢ ط: مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

(٢) الأعلام ٤/ ٣٢٤.

خامسًا: ترجمة مصنف الرسالة:

ورد في الصفحة الأولى للنسخة المخطوطة الجملة الآتية (قاصرة الطرف المكحول في معنى بيتي المشغول، للشيخ محمد الحسني الدمشقي، ابن العطار) وقد اجتهدتُ وبذلت وسعي للوقوف على ترجمةٍ للمصنف فلم يتيسر ذلك، وجُل ما أستطيع قوله إنني بالنظر فيما أورده المصنف في رسالته من أعلامٍ نَقَلَ أقوالَهم أو أشعارَهم فإنه يمكننا أن نحدد عصرَه بالتقريب.

فقد ذكر المصنفُ عددًا من الأعلام آخرهم وفاةً هو شهاب الدين المَنِيني، حيث يقول عنه المصنف: «... العلامة المرحوم شيخنا أحمد أفندي المَنِيني...» وكلامه يفيد أن المنيني كان شيخًا له، وأنه - كما يقول - وقت تصنيفه لهذه الرسالة كان المنيني ميتا، والمنيني توفي سنة ١١٧٢هـ، مما يعني أن المصنف أدركَ شيئًا من حياة المنيني وعاش بعده، مما يعني أن المصنف عاش في القرن الثاني عشر الهجري.

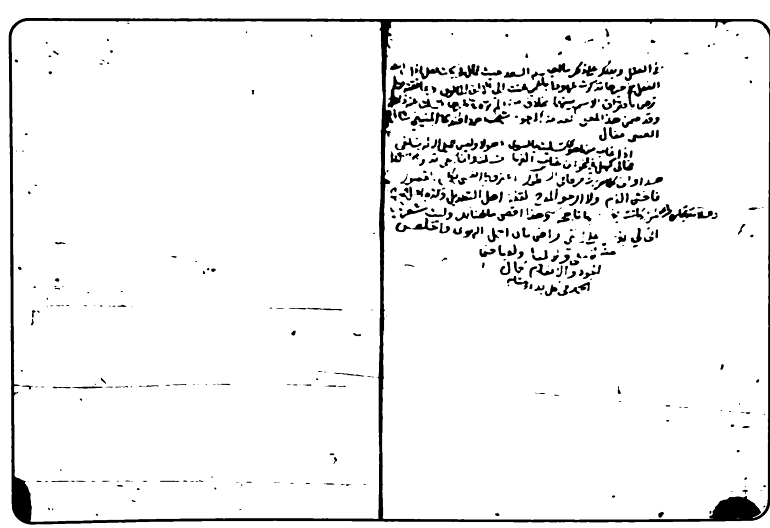
سادسًا: النسخة المعتمدة في التحقيق:

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على نسخةٍ خطيةٍ واحدة، وهي نسخةُ دار الكتب القومية بالقاهرة، وهي محفوظة تحت رقم (٦١٩ شعر تيمور)، وهي تقع في ١٣ لوحة، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة ٢٦ سطرًا في المتوسط، وخطها خليط بين النسخ والرقعة، بها طَمْسٌ في مواضع قليلة جدا، ولم يُذكَر فيها تاريخ النسخ، وهي نسخة نفيسة لكونها نسخة وحيدة، ولكونها بخطِّ المصنفِ نفسه.

والحمد لله أولًا وآخرا

الدكتور عاصم عبد ربه محمد محمود

اللوحة الأولى من المخطوط



اللوحة الأخيرة من المخطوط

قاصرةُ الطرفِ المكحولِ في معنى بَيْتَيِ المَشْغُول

للشيخ محمد الحسني الدمشقي ابن العطار

وهو شرح على قول القائل

أَشْكُو وتَشْكِينَ مِنَ الطُّولِ ... مِنْ قِصَرِ الليلِ إذا زُرْتِنِي

أَصْبَحَ مَشْغُولاً بِمَشْغُولِ ... عَدُوُّ عينَيْكِ وشَانِيهِمَا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَدَبُ لسانِ كلِّ إنسان، حَمْدُ مَن عَلَّمَه البيان، وصَلاتُه كلَّ أوان، على أفصحِ إنسان، وسيدِ وَلَدِ عَدنان، مَن رَقَّت معاني آدابِه، وعَذُبَتْ مَبَاني خِطَابه، فأَعْجَز المَصَاقِعَ[1] بَيَانُه، وأَعْوَزَ المُنَازِعَ تِبْيَانُه، وأخْرَسَتِ اللسنَ فصاحتُه، وأعيَتْ عقولَ ذوي التَّفَطُّنِ بلاغتُه، أشرف المخلوقات قدرا، القائل: «إنَّ مِنَ البيانِ لَسِحْرا»[2] أكرم ولد آدم، صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وعلى آله وصحبه، وعِتْرَتِه وحِزْبِه، ما نَظَمَ شاعرٌ مِن فرائد المعاني في سلكِ مَقَالِهِ عِقْداً فريدا، فَقَلَّدَ به مِن أَبْكَارِ الأفكار الأدباءَ عُنُقًا وَجِيدًا، وبعد،

فيقول المفتقرُ إلى عفوِ ربه الغفار، محمد الحسنيّ الدمشقي ابنُ العطار: هذه

(١) جمع مِصْقَع، وهو الخطيب البليغ (ينظر: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ١/ ١٢٩ ط:دار ومكتبة الهلال، بيروت)

(٢) صحيح البخاري ٧/ ١٩ رقم ٥١٤٦ تحقيق محمد زهير بن ناصر ط:دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

رسالةٌ سميتُها (قاصرة الطرف المكحول في معنى بَيْتَي المشْغُول) وقد كان أَنْشَدَنِيهِما ثم سألني بِتَلْوِيحِ إِشَارَتِه، مَنْ إِشَارَتُه أفصحُ مِن دَلَالَةِ الغيرِ بصريحِ عبارَتِه، شهمٌ خُلِقَت أخلاقُه الكريمةُ مِن وَسْمِ الجمال، وطُبعت طِباعُه السليمة بشيمِ الكمال، ذو هممٍ يقصرُ عَن تَطاوُلِهَا الدهر، ويتمنى أن يكونَ قرينَ أَخْمُصِهَا النَّسْر، سيدٌ عيونُ المجدِ إليه مُحْدِقَة، وللمعالي به آمالُه إنْ شاء الله مُحَقِّقَة، مَنْ تَخَيَّلَ ما حَوَى مِن لُطْفِ الشمائل، عَلِمَ أنه المخاطب بقول القائل:

مـا أنـتَ بعـضُ النـاسِ إلا مِثْلَمَـا بعضُ الحَصَى اليَاقوتَـةُ الحَمْرَاءُ[1]

يترقبُ الزمانُ طلوعَ كوكبِه في أفقِهِ الأَمْجَد، ليباهيَ كلَّ زمانٍ نَجْمُهُ سعِيدٌ قائلاً بَدْرُ سمائِي أَسْعَد، بَلَّغَ الله المعاليَ به آمالَها، وكَمَّلَ بِسَعْدِه للأيامِ إقبالَها، آمين - أنْ أَصْرِفَ الفكرَ في إبراز معانيها، وأُخْرِجَ الدرَّ من بحر ثَانيها، ولم أكن قبلَ ذلك سَمِعْتُ البيتين، ولا تَقَدَّمَ أَنِّي رأيتُهما بعين، وهما قول القائل:

مِـــنْ قِصَـــرِ الليـــلِ إذا زُرْتِنِـــي أشـــكو وتَشْـــكِينَ مـــنَ الطـــولِ

عَـــدُوُّ عينيـــكِ وشَـــانِيهِما أَصْبَـــحَ مشـــغولاً بمشـــغولِ

فبادرتُ لواجبِ إجَابَتِه، وإن كانتِ الغُرْبَةُ تُعْمِي عن دخول مثلِ هذا البيت لبُعْدِ مسلَكِه وغرابته، مع علمي بأن معنى هذين البيتين لا يَعْزُبُ عن علمِه الكريم، ولا يَعِزُّ على فَهْمِه السليم، سِيَّمَا ومَحْفلُهُ الربيعُ منهجُ الطلب، ومجلسُه البديع روضةُ الأدب، لكني تَلَمَّحْتُ مِن جَنَابِه اختبارَ ما يدركه فهمُ هذا القاصرِ الفِكْر، لتخصيصهِ إيايَ دونَ

(١) البيت لعبد العزيز بن خلوف النحوي (الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ١٨/ ٢٩٠ تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط: دار إحياء التراث، بيروت ٢٠٠٠م)

أفاضلِ جُلَسائِه الذين أنا عندهم كَوَاوِ عمرو، وما أنا وفَضْلِي بالنسبة لهم ولفضائلهم إلا قُلَامَةُ ظُفْر، فتجاسَرْتُ على ذلك امتثالاً للأمر، وغاية ما أرجو منه ومنهم قبول العُذر، لأن البعدَ عن الوطن مما يُضَيِّقُ العَطَن[(١)]، وطولُ شُقَّةِ الدار تجلبُ مشقةَ البَوَار، وقد أحسنَ في الغربة مَن قال:

حَسَّنُوا القَولَ وقالوا غُرْبَةٌ ... إنما الغُرْبَةُ للأحرارِ ذَبْحُ[(٢)]

ومع ذلك فإني في وقتٍ كما قيل: أَضْيَقُ مِن بَياضِ المِيم، وأحرَجُ مِن صدرِ اللئيم[(٣)]، زمنٌ كأنه فرعونُ وأنا كموسى لديه، أو الحجاجُ وأنا عَلَوِيٌّ بين يديه، وهو في أفعاله كالبحر عندَ مَنْ أَنْصَف، تَتَخَبَّطُ فيه الدرر وتعلو فوقه الجِيَفُ، ولله دَر القائل:

وما زالتِ الأيامُ تُظْهِرُ ناقصًا ... كَذوبًا وتُخْفِي فَاضلاً طَيِّبَ الذِّكْرِ

كما شَاعَ سَبْتُ النورِ في الناسِ شُهْرَةً ... وقد خَفِيَتْ مَع فَضْلِها ليلةُ القَدْرِ[(٤)]

والأَحْرَى بالحُرِّ، الكتمُ والصبر، وصون اللسان، عن حرارة شكوى الزمان، وإذا

---

(١) العَطَنُ: مبرك الإبل (ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري ٢/ ١٠٤ تحقيق عوض مرعب،ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠١م) وكنى به عن الشيء الواسع الفسيح، كأنه يقول إن الغربة تضيق الفسيح الواسع الذي هو في سعة مبرك الإبل.

(٢) البيت لفتح الله بن عبد الله ابن النحاس ت١٠٥٢هـ (سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر لعلي بن أحمد بن معصوم ص١٦٤ ط: دار إحياء التراث، بيروت)

(٣) جملة من إنشاءات ورسائل الحسين بن أحمد البغوي، ذكرها الثعالبي في يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٢/ ٢٤٥ تحقيق مفيد قميحة، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

(٤) البيتان في نزهة الأدباء وتحفة الظرفاء لبدر الدين الدمياطي ص١٦١، تحقيق محمد فؤاد أبو شهدة وعبد الفتاح الغنيمي،ط: دار الكتب العلمية دون نسبة، ولم أقف على البيتين عند غيره.

خَبَّأَهَا في الفؤادِ لا ضَرَرَ يَلْحَقُه، [...(١)...] ذَكَا مِن نارِ الزَّنْدِ لا تُحْرِقه، وقد أحسنَ الطُّغْرَائِي(٢) في تَأَسِّيه، حيث قال ولم يأسف على الزمن وبنيه:

وإِنْ عَلَانِـي مَـن دُونِـي فـلا عَجَـبٌ   لِي أُسْوةٌ بانْحِطاطِ الشَّمْسِ عن زُحَلِ(٣)

وقد وعَظَ - وكَجُمْلَتِه نَصِيحَتُه، حيث قال مما جادت به قريحَتُه:

فإنمـا رَجُـلُ الدنيـا وَوَاحِدُهـا   مَـنْ لا يُعَـوِّلُ في الدنيـا عَلَـى رَجُـلِ

ومَسْلكُ الطُّغْرَائي في هذا أقرب إلى الإنصاف من ذم الزمان، وأبعدُ عن ارتكابِ الاعْتِسَاف في هجر العصر والأوان، على أنَّ الناسَ مِن عهدِ آدمَ وإلى الآن قد أَتْعَبُوا أنفسهم في ذمِّ أيامهم، وأَفْرَطُوا في الشِّكَايَة من شهورهم وأعوامِهم، ومع ذلك فالزمان بريءٌ من العَتْب، خَلِيٌّ من العَيب، إذ هو في شهودِ العينِ كَهُوَ في الغيب، وإنما أخلاقُ بنيه أَخْلَقَت ديباجَةَ حُسْنِه، فَلَبِسَ لأَجْلِهَا أثوابَ حُزنه، وما ظهر فيه إنما هي أوصافُهم عند الإنصاف، كظهورِ لونِ المظروفِ بِظَرْفِه الشفاف، وأما ما يُتَّهَم به الدهرُ من وقوع الأكدار، فإنْ كانَ طبيعيًّا فهو مُقْتَضَى هذه الدار، وإن كان غيرَ ذلك فهو مِن فساد ساكني الديار، وقد أَنْصَفَ الزمانَ في المقال، وبيَّن صفتَه وبنيه فقال:

نَعِيـبُ زمانَنَـا والعيـبُ فينـا   ومـا لِزَمَانِنَـا عيـبٌ سِـوَانَا

(١) كلمة مطموسة في الأصل.

(٢) الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الأصبهاني الطُّغْرَائي، نِسْبَتُه إلى كتابة الطُّغْرَاء، شاعر وزير كاتب، ولد بأصبهان سنة ٤٥٥ وقتل سنة ٥١٣ هـ (ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي ٢/ ٢٤٦ ط: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م)

(٣) البيت والذي يليه للطغرائي، ديوانه ص ٣٠٧ تحقيق علي جواد الطاهر ويحيى الجبوري ط: مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

ونَهْجُو ذا الزَّمَانَ[1] بغيرِ ذَنْبٍ ولو نَطَقَ الزمانُ لنَا هَجَانَا[2]

وكأني بِمُتَفَيْهِقٍ مُتَشَدِّقٍ، بالخيلاء مُتَّزِرٌ وبالكبر مُتَمَنْطِقٍ، يقول إنَّ قولَ هذا الشاعر قاصرٌ عليه لم يَتَعَدَّه، واعترافَه شَرْعًا إنما يلزمه وحدَه.

فأقول له: كأنكَ لم تسمع شهادةَ لبيدٍ[3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال – وهو شاهد عدل:

ذَهَبَ الذين يُعَاشُ في أَكْنَافِهِم وبَقِيتُ في خَلَفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ[4]

وكثيراً ما كانت تتمثل بهذا البيت الصِّدِّيقَةُ بنتُ الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكفى بذلك تصديقًا للبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتقريراً لقوله، فإذا كان كذلك فمَنْ ذَمَّ أبناءَ الزمان دونَه فقد صدق، وبما هو الصواب والحق نَطَق، كما قال الآخر:

يقولونَ الزمانُ بِهِ فَسَادٌ وهُمْ فَسَدُوا وما فَسَدَ الزمانُ[5]

لكن لا يلزم عمومُ الذمِّ مِن ذمِّ العموم، إذِ الخير بحمدِ الله من هذه الأمة غيرُ معدوم، ومما تُقَام به الحجة على ذلك ويَتَبَرْهَنُ به القياس، قولُه تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

---

(١) في الأصل: ونهجوا للزمان.

(٢) البيتان للإمام الشافعي، ديوانه ص١١٧ تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ط: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٥م، ونسب أيضًا لابن لنكك البصري(ت٣٦٠هـ) في معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢/ ٤٢٩ تحقيق إحسان عباس، ط: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، وفي غير ذلك من المصادر.

(٣) لبيد بن ربيعة بن مالك العامري، صحابي شاعر فارس من أصحاب المعلقات، مات سنة ٤١هـ (ينظر: الوافي بالوفيات ٢٤/ ٢٩٩)

(٤) ديوانه ص ٣٤ ط: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

(٥) البيت لأبي مَيّاس، من شعراء العصر العباسي الأول، كان معاصراً للخليفة المهدي (ينظر: العقد الفريد ٢/ ١٨٨ أحمد بن عبد ربه الأندلسي ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ)

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[١] وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أُمَّتِي أمةٌ مباركة، لا يُدْرَى أولها خيرٌ أو آخرها» رواه ابن عساكر[٢]، فكم لَقِينَا بحمد الله ماجداً أَوْصَافُه غُرَّةٌ في وجه الزمان، وأَلِفْنا سيداً شمائِلُه قُرَّةُ عينِ الأوان.

لـــه هِمَـــمٌ لا مُنْتَهـــى لكبارِهـــا وهِمَّتُـه الصُّغْـرَى أَجَـلُّ مـن الدَّهْـرِ[٣]

۞۞۞

مُبَـــارَكُ الاســـمِ أَغَـــرُّ اللقَـــبْ كَرِيـمُ الجِرِشَّـى[٤] شـريفُ النَّسَـبْ[٥]

۞۞۞

فَتـىً لا يُبَالِـي[٦] المُدْلِجُـونَ بِنُـورِهِ إِلـى بابِـهِ أَلاَّ تُضِـيءَ الكَواكِـبُ[٧]

۞۞۞

يَصُـدُّ عـن الدنيـا إذا عَـنَّ سُـؤْدُدٌ ولـو بَـرَزَتْ في زِيِّ عَـذْرَاءَ كَاعِـبِ[٨]

۞۞۞

---

(١) آل عمران ١١٠.

(٢) تاريخ دمشق ٢٦/ ٢٨٦ تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، ط: دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م، وضعفه الألباني.

(٣) البيت لعلي بن جَبَلَة، العَكَوَّك (ت٢١٣هـ) ديوانه ص٦٤ تحقيق زكي ذاكر العاني ط: دار الساعة، العراق ١٩٧١م.

(٤) الجِرِشَّى: النَّفْس (ينظر: تهذيب اللغة ١٠/ ٢٨٠)

(٥) البيت للمتنبي،(ت٣٥٤هـ)، ديوانه ص٦٦، ط: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٣م.

(٦) في الأصل: تبالي.

(٧) البيت لأبي السمط مروان ابن أبي الجنوب (ت ٢٤٠هـ) (زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ١/ ٤٥٠ ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م)

(٨) البيت لأبي تمام (ت٢٣١هـ) والرواية في الديوان: عذراء ناهد.... (ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ص٤٠٦، تحقيق محمد عبده عزام، ط: دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة)

يـــرى العواقـــبَ في أثنـــاءِ فِكْرَتِـــه كأنَّ أَفْـــكَارَه في الغيـــبِ كُهَّـــانُ

لا طرفـــةَ منـــه إلا تَحْتَهَـــا عَمَـــل كالدهـرِ لا دَوْرَةٌ إلا لهـا شَـانُ[1]

۞۞۞

فتـىً يَشْـتَرِي حُسْـنَ الثنـاءِ بِمَالِـهِ ويَعْلَـــمُ أنَّ الدائـــراتِ تَـــدُورُ[2]

إذا لامَهُ أحدٌ على بَذْلِ مَالِه تَمَثَّلَ في مَقَالِه:

ومـا حاجَتِـي في المـالِ أَبْغِـي وُفُـورَه إذا لـم أَفِـرْ عِرْضِـي ولا وَفـرَ الوَفْـرُ[3]

تراه يغار على جارِه ومُلْتَزِمِه، غيرَتَه على أهلِه وحرَمِه، أخبارُهُ زهْر، وطلْعَتُه البدر، يليق بنظمِ مدائحِه الدُّر.

سَـلْ عنـه وانْطِـقْ بِـهِ وانظـرْ إليـه تَجِـدْ مِـلَاءَ المَسَـامِعِ والأفـواهِ والمُقَـلِ[4]

۞۞۞

يـكادُ يَحْكِيـه صـوتُ المُـزْنِ مُنْسَـكِبًا لـو كانَ طَلْـقَ المُحَيَّـا يُمْطِـرُ الذَّهَبَـا

والدهرُ لو لـم يَخُنْ والشمسُ لو نَطَقَت والليـثُ لـو لـم يَصِـدْ والبحرُ لـو عَذُبَا[5]

---

(١) الشعر لابن المُطَرِّف المنجم (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقري ٤/ ١١٠، تحقيق إحسان عباس، ط: دار صادر، بيروت ١٩٦٨م)

(٢) البيت لأبي نواس (ت١٩٨هـ) ديوانه برواية الصولي ص٩٩، تحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي ط:هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ٢٠١٠م.

(٣) البيت لأبي فراس الحمداني (ت٣٥٧هـ)ديوانه ص ٤١١،جمع وتعليق سامي الدهان، ط: مكتبة مروان العطية، بيروت ١٩٤٤م.

(٤) البيت لابن شرف القيرواني (ت٤٦٠هـ)، معجم الأدباء ٢/ ٤٣٦، والوافي بالوفيات ١/ ٣٣٨.

(٥) الشعر لبديع الزمان الهمذاني (ت٣٩٨هـ) ديوانه ص٣٤ تحقيق يسري عبد الغني عبد الله، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣م.

قد أَلْبَسَتْهُ المكارمُ والمجد، سَوَابغَ الثناءِ والحمد، فلا يجد شَانِيهِ لِشَيْنِه مَسْلَكا، ولا يبلغ طائرُ فِكْرِه مِن مَعَالِيه مُدْرَكا، وإذا كان مثل هذا الشخص يوجد ولو فرداً في كلِّ أوان، فكيف يصحُّ تعميمُ الذم لأبناء الزمان، نعم هذا الفرد الآنَ كالكبريت الأحمر، موجودٌ في السمع بعيدٌ عن النظر، وأما ضدُّه في الناس فكثير، ضَعْ يدَك على مَن شِئْتَ ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خبير.

زمـــانٌ قليـــلٌ مِـــن بَنيـــهِ نَجِيـــبُ وعَصْـرٌ وَفَـاءُ النـاسِ فيـه عَجِيـب[1]

٭٭٭

زمـــانٌ قَـــلَّ فيـــهِ النـــاس حتـــى كأنَّ النـــاسَ في فَلَـــكِ البُـــروجِ[2]

وكم ابتُلِينا بلئيم ذَمِيم، مَنَّاعٍ للخيرِ مُعْتَدٍ أثيم، عُتُلٍّ بعدَ ذلك زَنِيم، قُبْحُ خَلائقِه تُسَوِّدُ وجهَ الصباح، وخُبثُ سَلَائِقِه تُظْلِمُ ضوءَ المصباح، وفي مثله أقول من باب الإيهام، المعدودِ من مُحَسِّنات الكلام:

حَـــوَى لطبـــاعِ العالميـــن سَـــجِيَّةً وزادَ بمـــا قـــد جـــاءَ في نـــونِ والقَلَـــمِ

والأحسنُ لمن وَصَفَ مثلَ هذا القبيح، الميلُ إلى التصريح دون التلويح، لأني كثيراً ما تَعَرَّضْتُ [لأحدِ][3] هؤلاء اللئام، ورميتُه من قوس الإبْهَام، بما هو أشدُّ مِن وَقْعِ الحسام ورمي السهام، فأَثْنَى عليَّ وشَكَر، وحمل ذلك على المدح المُبْتَكَر، ومثلُ هذا

---

(١) البيت للأَرَّجَاني، أحمد بن محمد بن الحسين (ت٥٤٤هـ) ديوانه ١/ ٨٨ تحقيق قدري مايو، ط: دار الجيل، بيروت، لبنان ١٤١٨هـ.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في الأصل: لواحد.

الهِمْلَاجَة[1] وإنْ نُسِبَ إلى الفضلِ والآداب، فهي صفةٌ كقلائدِ الدر في أعناق الكلاب، ولله دَرُّ مَنْ خَاطَبَ مثلَ هذا الذي عنيناه، بما أجادَ سَبْكَ معناه في قالبِ مَبْنَاه، حيث قال:

لــــو تَلَفَّفْـــتَ في كِسَـــاءِ الكِسَـــائِيِّ	وتَفَرَّيْـــــتَ فَـــــروةَ الفَـــــرَّاءِ
وتَخَلَّلْـــتَ بالخليـــل وأضْحَـــى	ســـيبويهُ لديـــكَ رَهْـــنَ سِـــبَاءِ
وتَلَوَّنْـــتَ مِـــن سَـــوَادِ أبِـــي الأَسْـ	ـــوَدِ شـــخصاً يُدْعَـــى أبـــا السَّـــوْدَاءِ
لأَبَـــى اللهُ أنْ يَعُـــدَّكَ أهـــلَ الـ	فَضْـــلِ إلا مِـــن جُمْلَـــةِ اللُّؤَمَـــاءِ[2]

لَبَقٌ لأن الآدابَ والحِكَم، لا تَصْلُح إلا لمن بِلُطْفِ الشِّيَمِ اتَّسَم، ولا تأثيرَ لها بمن دُبغَ باللؤْمِ إِهَابُه، وامتلأ من الخبثِ جِرَابُه، ونَزَغَ به شيطانُه، وامتدَّتْ بالغِيِّ أَشْطَانُه[3]، ومثلُ هذا تَنْتَكِسُ الآدابُ بأخلاقِه، سِيَّما إذا أضيفَ إليها خُبْثُ أعْرَاقِه، إذ لا شُبْهَةَ أنَّ المَظْرُوفَ[4] يتغيرُ بتغيرِ مائه، فظَرْفٌ كماءِ السماءِ ينقلب سُمًّا في فمِ الأفعى، ويتكَوَّن دُرًّا في الصدَف، وربما ترى مثلَ هذا الإنسان يُظْهِر مجاهدةَ نفسِه للناظر، لِيُنْسِيَ الناسَ ما كان أولَ أمرِه في الآخِر، وما جِهَادُهُ لنفسِه إلا كاجتهادِ النحويِّ زيدِ القائل فيه الشاعر:

---

(١) الهَمْلَجَة: سير الدابة في يسر وسهولة، وأمر مُهَمْلَجٌ: مُذَلَّلٌ مُنقاد (ينظر: العين ٤/ ١١٨)

(٢) البيت لابن الرومي، علي بن العباس (ت٢٨٣هـ) ديوانه ١/ ٤١ شرح أحمد حسن بسج، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢م.

(٣) الشَّطَن: الحَبْل (ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري ٥/ ٢١٤٤ تحقيق أحمد عبد الغفور عطا، ط: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨٧م)

(٤) المظروف الذي يوضع في الظرف، والظرف هو ما يوضع فيه الشيء من إناءٍ ونحوه، ويكون من الزجاج وغيره، فإن كان من الزجاج فإن المظروف الذي داخله - سواء أكان ماءً أم خمراً أم لبنا - يأخذ لونه نفسه، وربما أخذ خصائصه.

أَرَى النَّحْـوِيَّ زَيْـداً ذا اجْتِهَـادِ جَـزَى الرَّحْمـنُ بالخَيْـراتِ غَيْـرَهْ
تَـرَاهُ ضارِبـاً عَمْـراً نَهَـاراً ويَجْلِـدُ إنْ خَـلاَ لَيْـلاً عُمَيْـرَهْ[1]

وقد طالَ ما امْتَحَنَنِي الدهرُ بمثل هؤلاء الناس، وأوْقَعَنِي مِن صُحْبَتِهم في كل خطر وباس، لكن:

مِحَنُ الفَتَى يُخْبِرْنَ عن فضلِ الفتى كالنـارِ مُخْبِـرَةٌ بفضـلِ العَنْبَـرِ[2]

والنوائب صَيْقَلُ الكرام، كما أنه صَدَأُ اللئام، ولولا وجود أفرادٍ من القسم الأول في هذا العالم، لوَجَبَت العزلةُ في هذا الوقت عن جميع بني آدم، وتَذَكَّرْتُ أبياتًا لحجة الإسلام الغزَّالي[3] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولا يحضرني ما قبلها، والذي أذكره قوله:

وصـرتُ بالعزلـةِ مُسْتَأْنِسـاً مِـن شـرِّ أولادِ بَنِـي آدَمِ
مـا في اختلاطِ النـاسِ خيـرٌ ولا الجاهـلُ بالأشـياءِ كالعالِـمِ
يـا لَائِمِـي في تَرْكِهِـم جاهـلا عُـذْرِيَ مكتـوبٌ علـى خاتَمِـي[4]

---

(١) جَلْدُ عُمَيْرة تعبير شاع استعماله عن الشعراء للاستمناء، والبيت لنور الدين محمد بن محمد الإِسْعَرْدِي (ت٦٥٦هـ) الغيث المنسجم في شرح لامية العجم، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ٤/ ٤٠٥ ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) البيت للصنوبري، أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٣٣٤هـ)، التمثيل والمحاضرة، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ص ١٠٨، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ط: الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٨١م.

(٣) محمد بن محمد بن محمد الغَزَّالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام، فقيه محدث فيلسوف متصوف، ولد سنة٤٥٠هـ ومات سنة ٥٠٥هـ (ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي ٦/ ١٨، تحقيق محمود الأرناؤوط ط:دار ابن كثير، دمشق، بيروت ١٩٨٦م)

(٤) ديوان الغزالي، جمعه واعتنى به محمد عبد الرحيم ص ١١١ ط: دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق.

قيل: نظروا بعد وفاته في خاتمه فإذا مكتوب عليه ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾[1]

ولسراج الدين سيدي عمر بن الفَارِض[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَلِي بعدَ أوطانِي حنينٌ إلى الفَلَا　　وبالوَحْشِ أُنْسِي إذْ مِنَ الإِنْسِ وَحْشَتِي[3]

ولولا أمنيةُ لقاء مرشدٍ عليم، أو مُنْجِدٍ كريم، لأَلِفْتُهُم أُلْفَةَ القائل:

عَوَى الذئبُ فاستأنَسْتُ بالذئبِ إذْ عَوَى　　وَصَوَّتَ إنسانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ[4]

مع اعتقادي بأن أكثرَ الأماني مُحَال، وأنَّ الحقَّ قولُ من قال:

ولا تكن عبدَ المُنَى فالمُنَى　　رُؤُوسُ أموالِ المَفَالِيسِ[5]

غير أنَّ التعليل، قد يَبْرُدُ به الغَلِيل، كما قيل:

لعلَّ وما تُغْنِي لَعَلَّ وإنها　　عُلَالَةُ صَبٍّ واستراحَةُ هَائِمِ[6]

وانتظار الفرج مرغوب، وعدمُ اليأس مطلوب، والأمر في ذلك ظاهر، وعليه قول الشاعر:

---

(١) الأعراف ١٠٢.

(٢) عمر بن علي بن مرشد الحموي، الشاعر المتصوف الملقب بسلطان العاشقين، ولد سنة٥٧٦هـ ومات سنة ٦٣٢هـ (ينظر: شذرات الذهب ٥/ ١٤٩)

(٣) ديوان عمر بن الفارض، ص٣٣، الناشر: دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٥م.

(٤) البيت للأُحَيْمر السعدي (ت ١٧٠هـ)، الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ٢/ ٧٧٤ ط: دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣هـ.

(٥) البيت لأبي بكر الخالدي، محمد بن هاشم بن وَعْلَة (ت٣٨٠هـ)، يتيمة الدهر للثعالبي ١/ ٢٢١.

(٦) البيت دون نسبة في ديوان الصبابة لأحمد بن حجلة المغربي ص٧٢ ط: مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧١م.

لا تَيْأَسَنَّ إذا حَوَيْتَ فضيلةً في العلمِ عن نيلِ المُرَامِ الأبْعَدِ
بينا تَرَى الإبْرِيزَ مُلْقىً في الثرَّى إذْ صَارَ تاجًا فوقَ مَفْرِقِ أَصْيَدِ[1]

هذا وقد طال الكلامُ واتسعَ المقام، وجرَى القلمُ في غير ميدان المرَام، ولكنه أَتَى بما يَجْلِي الخاطر، ويَرُوقُ الناظر، ويَحْلُو في مذاقِ سليمِ الطِّبَاع، وإنْ مَرَّ كثيرًا على أكثرِ الأسماع، وما المقصود مِن حلِّ معنى البيتين إلا إبداء النكَتِ المستطرَفة في الآداب، وإيراد الملَحِ المستظرفة في هذا الباب، وحيث انتهَى إلى هنا بنا الخطاب، ولم نخرج بحمدِ الله عنِ الصواب، فلنَرْجِع لإظهارِ ما في خبَايا زوايا البيتين، مِن المعنى الذي رَمَزَه الشاعرُ بِعَدُوِّ العينين، وما قَفَلَ به بابَ البيت الثاني مِن لفظ (مشغول)، حتى كاد لِدِقَّةِ صناعَتِه لا تَهْتَدِي لفَتْحِهِ العقول، وها نحن إن شاء اللهُ نفكُّ رمزَه، ونفتحُ كَنْزَه، ونَدْخلُ رِيَاضَه فنقتطف مَنْثُورَ معانيهَا الزاهِرَة، ونغوصُ بحارَه فنلتقط دُرَرَ مبانيها الفاخرة، حسبما يدركه الفكر الفَاتِر، ويُحَصِّلُه الفهمُ القاصر، فنقول: قال الشاعر:

أَشْكُو وتَشْكِينَ مِنَ الطُّولِ مِنْ قِصَرِ الليلِ إذا زُرْتِنِي

أقول: ما زالت العشاق، لدَهْشَتِهم بطيبِ التَّلاق، يَصِفون ساعات الوصال بالقِصَر وإنْ طالت، ويرْمُون أوقاتَ الهجر بالطول وإنْ سَاعَتُها زالت، وما ذاك إلا لِمَا جُبِلَت عليه القلوب، من الحرص على الازدياد من المرغوب، سِيَّما دَوَام وصالِ المحبوب، ولأن لذةَ الوصلِ تَحْكُمُ على العقل بالذهول عن غيرها، فلا يدري العاشقُ بأوقاته إلا إذا أَلَمَّ الفراقُ بسَيْرِها، فحينئذٍ يتفَقَّد تلك الأوقاتِ فتأخذه الحيرة، ويتخيلها لِفَقْدِها

(١) الأَصْيَد: يقال: مَلِكٌ أَصْيَد أي مفتخر مزهو بنفسه لا يلتفت لأحد حوله (ينظر: العين ٧/ ١٤٣)، والشعر لمحمد بن عبد الكريم الأنباري، سَدِيد الدولة (ت٥٥٨هـ)، الوافي بالوفيات ١/ ٤٠٩، والرواية فيه:... من العلم من نيل المرام الأبعد.

وإنْ طالت قصيرة، فيصفها حسبما تُرِيه البصيرة، ومن أَبْدَع المقال فقَصر وقتَ الوصالِ قولُ مَن قال:

لله أَيَّامـــي عَلَـــى رَامَـــةٍ[1] وطِيـبِ أوقاتِـي علَـى حَاجِـرِ[2]

تـــكادُ للســـرعَةِ في سَـــيْرِها أَوَّلُهـــا يَعْثُـــرُ بالآخِـــرِ[3]

وقول الآخر:

وليـــلٍ رَجَوْنـــا أنْ يَشِـــبَّ عِـــذَارُهُ فما اخْتَـطَّ حتى صَارَ بالفَجْرِ شَائِبَا[4]

وقول الآخر:

ومُرْتَجَّـــة الأعطـــافِ أمـــا قَوَامُهـــا فَلَـــدْنٌ وأمّـــا رِدْفُهـــا فَـــرَدَاحِ

سُـــرِرْتُ فَـكَادَ الليـلُ مِـن قِصَـرٍ بـهِ يطيـرُ ومـا غيـرُ السرورِ جَنَـاحُ[5]

وما أرق ما قالَ بعده من غير المعنى:

وبِـــتُّ وقـــد زَارَتْ بِأَنْعَـــمِ لَيْلَـــة يُعَانِقُنِـــي حتـــى الصبـــاحِ صَبَـــاحُ

---

(١) موضع في طريق البصرة إلى مكة، وهو إلى البصرة أقرب (ينظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي ٣/ ١٨ ط: دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م).

(٢) موضع قرب مكة قريب من فَيْد(ينظر: معجم البلدان ٢/ ٢٠٤)

(٣) الشعر للبهاء السنجاري (ت٦٢٢هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان١/ ٢١٦ تحقيق إحسان عباس، ط: دار صادر، بيروت.

(٤) البيت لإبراهيم بن يحيى الغَزِّي الأشهبي (ت ٥٣٤هـ)، وفيات الأعيان ١/ ٥٧، والرواية فيه:.. يَدبَّ عِذَاره.

(٥) البيت لابن الزَّقَّاق البَلَنْسِي، علي بن عطية (ت٥٢٨هـ)، ديوانه ص١٤٣ تحقيق عفيفة محمود يراني، ط: دار الثقافة، بيروت والرواية فيه في البيت الثاني: أَلَمَّت فبَات الليلُ من قِصَرٍ بها....

على عَاتِقِي مِن سَاعِدَيها حَمَائِلٌ وفي خَصْرِهَا مِن سَاعِدَيَّ وِشَاحُ[١]

ولِأَوْحَدِ فُضَلاءِ الروم، وفارسِ مَيدانها في حلِّ المنطوقِ والمفهوم، أفقه شُعَرَائِها الذين لَقِيتُهم، وأشعر فقهائها الذين أَلِفْتُهم، المَوْلَى الحسيب النسيب أبو بكر أفندي شرعباتي[٢] صَدْر الروم، دام في حِرَاسة الحيِّ القيوم، ومِن خَطِّه نَقَلْتُ من مجموعتِه المسماة بنزهة الأدباء وتحفة الظرفاء، قال فيها:

ليلُ الصدودِ وليلُ الوصلِ مالَهُما تَخالَفَا وهُمَا مِن عنصرِ الظُلَمِ
هذا يُرِيكَ زماناً لا انْتِهَاءَ له وذاك يُثْبِتُ أَنَّا[٣] غير مُنْقَسِمِ[٤]

وله من الموضع المذكور:

رُبَّ ليلٍ أطاعَني وأتاني بِحَبيبٍ قد جَلَّ عن إِسْرَاءِ
لو أَمَرْنَاه طُلْ لَطَالَ ولكنْ ضاقَ عن أنْ نَفُوهَ فيه بِطَاءِ[٥]

ومن الموضع المذكور لبعضهم:

ليلَى وليلِي نَفَى نَومِي اختلافُهما في الطُّولِ والطَّوْلِ[٦]يا طُوبَى لو اعْتَدلاَ
يجودُ بالطُّول ليلِي كلما بَخِلَتْ بالطَّوْلِ ليلَى وإنْ جَادَتْ به بَخِلَا[٧]

(١) الشعر لابن الزقاق، ديوانه ص ١٥٣.
(٢) لم أقف عليه.
(٣) هكذا في الأصل ولعلها (أَنَّا) من الأنين.
(٤) لم أقف على الشعر.
(٥) لم أقف على الشعر.
(٦) الطَّوْل: القدرة، وقيل: الفضل (ينظر: تهذيب اللغة ١٤/ ١٥)
(٧) البيت لأبي المكارم الفضل بن عبد القاهر (ت ٥٠٥هـ)، خريدة القصر وجريدة العصر، محمد بن محمد بن نفيس الدين، عماد الدين الكاتب الأصفهاني ٢/ ٣٨٦ ط: المجمع العلمي العراقي ١٩٦٨م.

ولبعضهم من الموضع المذكور:

ليـــلُ المحبـــةِ مَطْــوِيٌّ جوانِبُـــه مُشَـمّر الذيـلِ منسـوبٌ إلـى القِصَـرِ

مـــا ذاك إلا لأنَّ الصبـــحَ نَـــمَّ بِنَـــا فأَطْلَعَ الشمسَ مِن غَيْظٍ على القَمَرِ[1]

قلت: على وصفِ الصبح بالنميمةِ تذكرت قولَ الشريف الرَّضِي[2]:

بَـــرَدَ الســـوارُ لهـــا فأَحْـــــــمَيْتُ القلائـــدَ بالعِنَـــاقِ[3]

فقد قالوا في معناه: إن الحُلِيَّ يَبْرُدُ بالنسيم الذي يَطلعُ مع الصبح، فَيَنِمُّ بذلك للمعشوقة على طلوعِ النهار، فأراد بقوله (فأحميتُ القلائدَ بالعناق) تكذيبَ النسيم الذي نَمَّ لها على طلوع الصبح بِبَرْدِ السوار، وهو لطيفٌ إلى الغاية.

ومن قول الآخر في وصفِ الليلِ بالطول والقصر:

وإنمـا نَسْـتَطِيلُ الليـلَ مِـن سَـهَرٍ والليـلُ في طولِـه جـارٍ علـى قَـدَرِ

ليـلُ الهـوى سَـنَةٌ في الهَجْـرِ مُدَّتُـهُ لكنـه سِـنَةٌ فِـي الوصـلِ مِـن قِصَـرِ[4]

---

(١) الشعر للخباز البلدي، أحمد بن الحسين الموصلي (ت٦٣٩هـ)، الوافي بالوفيات ١/ ١٧٥.

(٢) محمد بن الحسين بن موسى العلوي، الشاعر المتفنن، نقيب الأشراف، ولد ببغداد سنة٣٥٩هـ ومات بها سنة ٤٠٦هـ (ينظر: تاريخ بغداد، أحمد بن علي، الخطيب البغدادي ٢/ ٢٤٦ تحقيق بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م)

(٣) ديوان الشريف الرضي ص٩٧، ط: مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي، العراق ١٤٠٦هـ.

(٤) الشعر للحسن بن علي بن مطران، يتيمة الدهر للثعالبي ٤/ ١٣٤، والرواية فيه:

أَخُـو الْهـوى يستطيل اللَّيـلَ فِـي سـهره وَاللَّيْـل فِـي طولـه جَـار علـى قَـدَره

ليـل الهـوى سَـنَةٌ فِـي الهجـر مدَّتـه لكنـه سِـنَة فِـي الوَصْـل مِـن قِصَـرِه

والبهاء زُهَير[1] أنصفَ ليلة الوصال، وما تركَ قُصُوراً حيث قال:

رَعَـــى اللهُ ليلــــةَ وصـــلٍ خَلَـــتْ ... ومــا خالَــطَ الصفــوَ فيهــا الكَــدَرْ

أتَـــتْ بغتـــةً ومضَـــتْ سُـــرْعَةً ... ومــا قَصَّــرَتْ بعــدَ ذاكَ القِصَــرْ[2]

والحاصل أن شِكَايَةَ شاعرِنا من قِصَرِ الليل للوصال سُنَّةُ أهلِ الغرام، قد أَتْعَبُوا في ميادين الطُّرُوسِ بها جَرْيَ الأقلام، ونَظَمَها شعراؤهم فأمْسَت بيوتُهم بها عامرة، ونثَرَها كُتَّابُ أنسابِهم فأصبحت رياضُ المنثورِ بها عاطرة، وهي في بيتِ شاعرِنا خَرِيدَةُ حُور، وفريدةُ قلائدِ نُحور، لأن شكواه القصرَ جاءت في قِصَرِ بيته من المقصورات الأَبكار، لِحَصْرِها بسورٍ من البيان يصونُها عن شنِّ غارات الأفكار.

وعلى كل حالٍ فالعشاق قد أوجبوا على أنفسهم السهر، لأن الليالِيَ إنْ كانت ليالي هَجْرٍ يستَلِذُّون فيها بالفِكْر، وإن كانت ليالي وصالٍ يغتنمونها خوفَ مرورِها كلمحِ البصر، ولهذا قال الشريف الرضي:

وخُـــذِ النـــومَ مِـــن جفـــوني فِـــإني ... قــد خَلَعْــتُ الكَـرَى علَــى العُشَّــاقِ[3]

قالوا جميعا: قد خَلَعَ ما لا يملك على مَن لا يَقْبَل، والألَذُّ ما يكون للعاشق المجهودِ انتظارُ الوصال، سِيَّما إذا حصلَ منَ المعشوق وعدٌ به وإنْ أَبْعَدَ وأطالَ وتجاوزَ في

---

(١) زهير بن علي بن محمد المُهَلَّبي، شاعر كاتب اختص بالملك الصالح الأيوبي، ومات سنة ٦٥٦هـ(ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغرى بردى ٧/ ٦٢ ط: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، القاهرة)

(٢) ديوان البهاء زهير ص١٢٣ شرح وتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد طاهر الجبلاوي، ط: دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.

(٣) ديوان الشريف الرضي ص٩٨.

المِطَال، وإلى هذا يشير قولُ كامِلِ المَذَاق، سيدي عمر [ابن][1]الفارِض سلطان العشاق:

عِدِينِـي بِوَصْـلٍ يـا سُـلَيْمَى ومَاطِلِـي　　　فعندِي إذا صَحَّ الهوى حَسُنَ المَطْلُ[2]

وما صبرَ هؤلاء القوم على ما في الهجرِ من الحرارة، إلا لأنَّ حلاوةَ العشق في الجوفِ لا تَدَعُ مَرارَة.

وقولُ شاعرنا (وتَشْكِينَ منَ الطول) ربما تبادَرَ في البَدَاهَة، لغير صاحب النَّبَاهة، أن فَحْوَى هذه الجملة، يُشْعِرُ بعدمِ تمكُّنِهِ من معشوقته في الجمْلة، حيث استطالَت على قَرْعِ أسماعِه، باستطالة ليلِ اجتماعِه، والأمر ليس كما يتَبَادَر، والفَهْمُ وإنْ لم يدركْ غيرَ ذلك فقد تَقَاصَر، بل مُرَادُ الشاعر بذكرِ شِكَايَتِها مِن الطول، الكنايةُ عن أمرين لازِمُهُمَا هذا المَقُول، أحدُهما أنَّ منزلتَه عندها في أعلى مراتب القَبول، والثاني بيانُ كمالِ هِمَّتِهِ وصَبَاوَتِه التي بلغ بها - تلك الليلة - فوق المأمول.

وبيانُ وجهِ الأول أنَّ شكايَتَها من طول الليل يستلزم سهرَها، وسهرها يستلزم رغبتَها بأَنِيسها الذي حضرها، ولولا أن منزلتَه عندها بأرفع مقام، ومحبتَه متمكنةٌ منها بالعظام، لما تَرَكَتْ لأجلِه طيبَ المنام، ولو لم يكن غرامُه كامنٌ منها في الفؤاد، لدَفَعَتِ السهادَ بالرقاد، وغيرُ هذا لا يُكَلِّفُها ارتكابَ مشقة السهر، ولولا ذلك لا يجد العاشق قدرةً على تحميلها ما ليس لها فيه مصطَبَر، إذ لا سبيل في شرع المحبة إلى حمل العاشق معشوقَه على ما ليس له فيهِ رغبة، لأنَّ سلطانَ الهوى مِن كلِّ سلطانٍ أقوى، ولا يصرف عنَانَ صاحبِه عن بلوغ مأربِه فيه إلا التقوى.

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) ديوان عمر بن الفارض ص١١١.

وممن اعترف لسلطان الهوى بالعزِّ على سلطانِه، مع عِظَمِ قَدْرِه في مُلكه وعلوِّ شانِه، فَسَلَّمَ له الجماعة بهذا الرأي السديد، الخليفةُ العباسيُّ هارون الرشيد[1]، حيث قال:

مَلَكَ الثَّلاَثُ الآنِسَاتُ عِنَاني ... وَحلَلْنَ مِن قلبي بكلِّ مكانِ

مَا لي تُطاوعني البريةُ كُلُّها ... وأُطِيعُهُنَّ، وَهُنَّ في عِصْيانِي

ما ذاكَ إلا أَنَّ سُلطانَ الهوى ... وبِهِ غَلَبْنَ أَعَزُّ مِن سُلطاني[2]

وممن اعتذرَ عن ذُلِّه - مع المُلْك - لِعِزِّ الهوى، فما ضلَّ في ذلك ولا غَوَى، وجديرٌ بأنَّ قَوْلَه في ذلك من المُرْقِصِ المُطْرِب، المستعينُ بالله[3] أحدُ خلفاء المغرب، حيث قال:

عَجَبًا يَهابُ الليثُ حدَّ سِناني ... وَأَهابُ لحظ فَواتِرِ الأجْفانِ

وأُنازِعُ الأهوالَ لا مُتَهَيِّبًا ... منها سوى الإعراضِ والهِجرانِ

وتملّكتْ نفسي ثلاثٌ كالدُّمَى ... زُهْرُ الوُجوهِ نَواعِمُ الأبْدانِ

حاكَمْتُ فيهنّ السُلوَّ إلى الصبا ... فقَضى بسلطانٍ عَلَى سلطاني

فَأبحْنَ مِنْ قلبي الحِمَى وتَركْنَني ... فِي عِزّ مُلْكي كالأسيرِ العَانِي

---

(١) هارون بن محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور، الخليفة العباسي الرابع، ولد سنة ١٤٩هـ ومات سنة ١٩٣هـ(ينظر: الأعلام للزركلي ٨/ ٦٢)

(٢) ديوان هارون الرشيد ص٢٧٣، جمعه وحققه سعدي ضناوي، ط: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

(٣) سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، من ملوك الأمويين بالأندلس، بويع سنة ٣٩٩هـ ومات قتيلاً سنة ٤٠٧هـ (ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ٤/ ٢٢٨، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ)

لا تَعذِلـوا مَلِـكاً تَذَلَّـلَ فِـي الهَـوَى ذُلُّ الهَـوى عِـزٌّ ومُلْـكٌ ثـانِ

مَـا ضَـرَّ[1] أنّـي عَبْدُهـنَ صبَابَـةً وبَنُـو[2] الزمـانِ وهُـنَّ مِـن عُبـداني[3]

ولهذا رَدَّ مَن عرَف قدرَ الهوى، وفي الغرام شَجَى، على ملك الأندلس الغالبِ بالله محمد بن يوسف

الخزرجي[4] حين قال:

أَيَـا رَبَّـةَ الخـالِ التـي أَذْهَبَـتْ نُسكِي علـى أيِّ حـالٍ كان لا بُـدَّ لـي مِنْـكِ

فإِمَّـا بِـذُلٍّ وهـوَ أَلْيَـقُ بالهَـوَى وإمـا بِعِـزٍّ وهـو أَلْيَـقُ بالمُلْـكِ[5]

فرد الصلاحُ الصَّفدِي[6] عليه، وقد أرشده بذلك وأَحْسَنَ إليه، فقال:

تَمَسَّـكْ بِـذُلٍّ فهْـو أَلْيَـقُ بالهَـوى لتُنْظَـمَ مِـن أهـل المحبـةِ في سـلْكِ

متـى لَاقَ بالعُشَّـاقِ عـزٌّ وسـطوةٌ كأنـكَ مِـن ذلِّ المحبـةِ في شَـكِّ[7]

---

(١) في الأصل: ما ضرني.

(٢) في الأصل: وبنوا.

(٣) الإحاطة في أخبار غرناطة ٤/ ٢٢٨.

(٤) محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، من بني الأحمر، ثاني ملوك الدولة النَّصرية بالأندلس، كان شاعراً أديبا، مات سنة ٧٠١هـ(ينظر: تاريخ ابن خلدون ٢/ ٩٩، تحقيق خليل شحادة، ط: دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٨م)

(٥) الوافي بالوفيات ١/ ٩١.

(٦) خليل بن أَيْبَك بن عبد الله الصفدي، أديب مؤرخ، ولد بصفد سنة٦٩٦هـ ومات سنة ٧٦٤هـ (ينظر: الوافي بالوفيات ١/ ٢٤٩)

(٧) الوافي بالوفيات ١/ ٩٢.

فإذا كان هذا حال الملوك مع الغرام، فكيف حال العوام[1] لكن:

لا يَعْـرُف الشـوقَ إلا مـن يُكَابِـدُهُ ولا الصبابـــةَ إلا مَـــن يُعَانِيهـــا[2]

فمن ذاق عرَف، وكما شاهَدَ وصف.

ومن هنا يَتَأَيَّدُ ما قلناه، ويتأَكَّدُ ما قَرَّرْنَاه، مِن أنَّ شكوى معشوقَةِ شاعرِنا من طول ليل الزيارة، كناية عن شغَفِها بهِ دَلَّ عليه بهذِه العبارة.

وأما بيانُ وجهِ الأمر الثاني المكَنَّى عنه مع ما قبلَه بقوله (تشكينَ من الطول) وهو كمالُ هِمَّتِه وصَبَاوَته التي بلغ بها تلك الليلة المأمولَ، وذلك أنه لما ثبت من هذا المقالِ بدليلِ اللزوم أن منزلتَه عندها عالية، لكونها باعتَ طيبَ المنام واشترت لذةَ وصلِه الغالية، كانت شِكَايَتُها من طول الليل لا علَى التحقيق، بل من باب إذا تَحَمَّلَتِ الأنفسُ ما لا تطيق، تكَلَّمَتِ الألسنُ بما لا يليق، فكأنه استَقْرَع[3] نَهْدَها، واسْتَفْرَغَ جهدَها، بالضم والعناق، ولَفِّ الساق بالساق، ورَفْعِ الكِرَاعِ، وشيل الشِّرَاع، وغَمْزِ النهود، ولثمِ الخدود، وشم عنبر الخالِ تحت السِّمْط[4]، وإلحاق الخلخالِ بالقُرْط، وهي وإن كانت بذلك أَرْغَب، لكنها يُسْرِع إليها قَبلَه النَّصَب، فتحاشت لمحبته عندها أن تقابلَه بالشكايةِ من جَوْرِه، فشَكَت طولَ الليل لتكَنِّي عن ذلك بغيره، وما أراد بذلك إلا إظهارَ تمامِ

(١) في الأصل: الأعوام.

(٢) البيت للأَبْلَه البغدادي، محمد بن بخْتِيَار (ت ٥٧٩هـ)، وفيات الأعيان ٤/ ٤٦٤.

(٣) يقال: اسْتَقرعَت الناقةُ: أرادت الفَحلَ (ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الزبيدي، مادة: قرع ١٢/ ٥٥٠ تحقيق مجموعة محققين، الناشر دار الهداية، بيروت)

(٤) العِقْدُ من الجواهر ونحوه (ينظر: جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد ٢/ ٦٦١، تحقيق رمزي منير بعلبكي، ط: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م)

ذُبُولِها بكثرة الضم والتقبيل، للين[1] مَعَاطِفِها ودقةِ خصرها النحيل، إذ لَيِّنَةُ المعاطفِ ذات الخصر المنْحُول، لا طاقة لها على الطُّول، وفي ذلك مع المعنيين أقول:

أَسْبَلَتْ شعرَها وقامت كَغُصْنٍ   تَتَثَنَّى تحتَه فأضحَتْ جَلِيلَهْ

إنْ شَكَى الخصرُ طولَه غيرُ بِدْعٍ   لنَحِيلٍ يشكُو الليالي الطَّوِيلَهْ[2]

فلِلَّه دَرُّ شاعرِنا مِن شاعر، أَوْدَعَ بيتَه نفائسَ الذخَائِر، وقد كان بناه للقُصُور، فَرَفَع مِن بنائه القُصُور، حَرَّرَ بالإتقان مَبَانِيه، فَرَقَّتْ بالبيانِ مَعَانِيه، فأَهَلَّ بِزَوَايَاه كلُّ مُنْفَرِدٍ غريب، إلا أن المتطفلَ عليه لا يجد لدخولِه طاقةً فيقف على الباب لطلبِ النصيب.

هذا بعضُ ما في خزائن هذا البيتِ العامر، من منظومِ الفرائدِ ومنثور الجواهر.

ثم قال:

عَدُوُّ عينيكِ وشَانِيهِما   أَصْبَحَ مشغولاً بمشْغُولِ

العدو ضد الصديق أو الولي، وسُمِع نادرا: عَدُوَّةُ الله، لأن فَعُول إذا كان بمعنى فاعل فمؤنَّثُه بغيرها، كرجل صَبُور وامرأة صَبُور، وقال الفراء: إنما أدخلوا فيها الهاء تشبيهاً بصَدِيقَة لأن الشيءَ قد يُبنى على ضده[3]، ذكر مثله الصلاح في شرح اللامية[4].

والعدوُّ في بيت شاعرِنا يحتمل أنْ يُرَاد به السُّهَادُ أو الرُّقاد مَجازًا فيهما، والمشغولُ يحتمل أنْ يرادَ به الليل الذي حصل به الوصل، ويراد باسم المفعول المصدر، ويكون

---

(١) في الأصل: للينة.

(٢) لم أقف على البيتين.

(٣) تاج العروس ٣٩ / ١٢ مادة: عدو.

(٤) الغيث المنسجم في شرح لامية العجم، صلاح الدين الصفدي ص١٤٦.

مضافًا إلى ياء المتكلم، ويحتمل حينئذٍ أنْ يرادَ به شُغلُهُ هو، وهو الشكايةُ من القِصَر، أو شغلُه بِشِكَايَتِها هي من الطول، وعلى كلٍّ فقول (أصبح مشغولاً بمشغول) جملة دعائية، ثم إنَّ كلاً[1] من احتمالات العدو الثلاثة يحتمل أن يستقلَّ بواحدٍ من كلٍّ من احتمالات المشغول الثلاثة، فهذه تِسْعُ احتمالات، وها نحن نبين وجوهَ تلك الاحتمالات ثم نبين كيفية ربط كلٍّ واحدٍ من احتمالات العدو بكل واحدٍ من احتمالات المشغولِ مع التعليل لذلك حسبما تُسَاعِدُ العبارة.

والعبدُ يُقْرَعُ بالعَصَا والحُرُّ تكفِيه الإِشَارَة[2]

فنقول: أمّا كونُ المراد بالعدو في البيت العدو الحقيقي وأنه ضرَبها مثلاً فهذا ظاهر، إذِ اللفظُ إذا أُطْلِقَ على حقيقته لا يحتاج إلى بيانِ وجهٍ ولا تعليل، ومنَ العادة أنَّ الضرائر أعداء، وكون العدوِّ ضُرَّتها مثلًا لأن مِن العادة مُعَاداة بعضِ الضرائر بعضا، سِيّما بُغْضهم للجميلة منهن، قال الشاعر:

كَضَرائرِ الحسناءِ قلنَ لوجْهِهَا حَسداً وبُغْضاً إنه لَذَمِيمُ

وأما وجه تسمية السهاد عَدُواً فهو إما لتَضَرُّرِ العينين به كتضرر العدو بعدوه، وإما لكونه ضد الرُّقَاد، فيكون شَبَّه الرُّقَاد أولاً بالصديق لأُلْفَتِهِ بالعينين والْتِذَاذِهما به واستراحتهما إليه، كما يَلْتَذُّ ويستريحُ الصديق بصديقه، ثم أَطلقَ على ضده _وهو الرقاد - اسمَ العدو.

وأما وجه تسميةِ الرقاد بالعدوِّ فهو باعتبار كونِ الرقاد يغلب على العينين، ولا

(١) في الأصل: كل.

(٢) البيت لأبي دُوَاد الإيادي، جارية بن الحجاج، الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني ١٦/ ٤٠٢ تحقيق سمير جابر، ط: دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.

يتمكنان مِن دَفْعِه، ويمنعهما من التصرف بمنفعتهما، فهو مُسَلَّطٌ عليهما بذلك كتسلط العدو الغالب، فتسميتُه عدواً بهذا الاعتبار.

هذه وجوه احتمالات عدوِّ العينين في البيت، وأما وجوهُ احتمالات المشغولِ:

فوَجْهُ كونِ المراد به الليل إما أن يكون باعتبار كون الشاعر ومعشوقته شَغَلَاه بتَجَاذُبِهما إياه إلى جهتين مختلفتين، حيث وصفاه بوصفين متضادين، فصارَ كمعمولٍ تَنَازَعَهُ عملُ عاملين فشغلا بوقوع عمَلِهِمَا عليه متعاقِبَين، وإما باعتبار اشتغاله بعملِ إِرَاءَةِ القِصَر للعاشق المَشُوق، وعملِ إِرَاءَةِ الطولِ للمعشوقة بالقدِّ المَمْشُوق، ولكنَّ عملَ إِرَاءَةِ الطول تعَلَّقَ مِنَ المعشوقةِ بضميرها، وعملَ إراءَةِ القِصَرِ تعلَّقَ بظاهرِ سَمِيرِها، فأَعْرَبَتْ هي عن مُنْتَصِبٍ عَمِلَ في ضميرِها الجرَّ، تريدُ الجَزْمَ، وأَعْرَبَ هو عن ساكنٍ تَحَرَّكَ للرفع فبني على الضم، فلذلك وصفَ الليلَ بالقصر ووصفَتْهُ بالطول، وبهذا الاعتبار أَطْلَقَ عليه اسمَ المشغول.

وأما وجهُ كونِ المراد به الشغل المضاف إلى ياء المتكلم، وكون الشكاية من قصر الليل فلأنّ أهم ما يكون للعاشق تَرَقُّب أوقات الوصال، فإذا حصَلتْ صار أخوَفَ ما يخافُه سرعة الزوال، لأنها عنده مِن أعظم النعم الواردة، إلا أنها كالنَّعَم الشاردة، فيريد أنْ يُقَيِّدَها بالشكر فتسبقُ على لسانه - لذهوله - الشكوى، فلا يستفيق منها إلا وقد حلَّ به من الفراق البلوى، فتكون هي شغلَه الذي عنَاهُ بلفظ المشغول، وقد أراد المصدرَ ولكنه عبَّرَ باسمِ المفعول[1].

وأما توجه كون المراد بالشغل شغله بشكواها من الطولِ، فلأنَّ العاشقَ عن أحوالِ

(١) في الأصل: باسم المشغول.

نفسِه مذهول، وبأحوال معشوقِه أبداً مشغول، وكلُّ أمرٍ يَدْهَمُه غيرُ أمرِ المعشوقِ يكون عنده كالمَنْسِي، ويشهد لذلك قولُ عنترة العبسي[1]:

ولقــد ذَكَرْتُــكِ والرمــاحُ نَوَاهِــلٌ مِنـي وبِيـضُ الهِنـدِ تَقْطُـرُ مِـن دَمِـي

فَــوَدِدْتُ تقبيــلَ الســيوفِ لأنهــا بَرقَـتْ كَبَـارِقِ ثَغْـرِكِ المُتَبَسِّـمِ[2]

فإذا كان هذا حالُ العشاق عند ملاقاة الأهوال، فاشتغالُ شاعرِنا بأحوال معشوقَتِه أَوْلَى إذا كان ذلك ساعة الوصال، والعاشق الصادقُ في سريرَتِه، إنْ بَعُدَ المحبوبُ عن بصرِه لا يَبْعُدُ عن بصيرته، ويشهد له قول جَمِيل[3]:

أُرِيــدُ لِأَنْسَــى ذِكْرَهــا فكَأَنَّمــا تَمَثَّـلُ لِـي لَيْلَـى بِـكُلِّ سَـبِيلِ[4]

وشكوى المحبوب لا شبهةَ أنها تُجَرِّعُ العاشقَ الغُصَص، سيّما إذا كان في وقتٍ يَرُومُ به انتهازَ الفرص، فصح بهذا التقرير عندَ العقول أن الشاعرَ أراد شغلَه بشكايتها من الطول، وحيث توجهَت هذه الاحتمالاتُ المذكورة، فلْنَرجع لتوجيه ربطِ الدعاء على كل واحدٍ من احتمالات العدو بكلِّ واحدٍ من احتمالات المشغول المسطورَة، فنقول:

إذا كان المراد بعدوِّ عينيها العدوّ حقيقةً، وبالمشغول الليل فيكون أراد أن يدعوَ

(١) عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية العبسي، الشاعر الفارس الجاهلي، أحد أصحاب المعلقات، مات نحو سنة ٢٢ قبل الهجرة (ينظر: الأغاني ٨/ ٢٣٧)

(٢) ديوان عنترة ص٢٠٠، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، ط: المكتب الإسلامي، دمشق.

(٣) جميل بن عبد الله بن معمر العُذْرِي القُضَاعِي، شاعر من عشاق العرب، مات سنة ٨٢هـ (ينظر: وفيات الأعيان ١/ ١١٥).

(٤) البيت ليس لجميل، بل هو لكُثَيِّر عَزَّة (ت ١٠٥هـ)، ديوانه ص ١٠٨ جمع وتحقيق إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت ١٩٧١م.

عليهِ بما يناسب عداوَته، وحيث كانت عداوتُه لعينيها[1] نَاسَبَ أن يدعوَ على عينيه، فأراد أن يدعوَ على عينيهِ بالعمى، ثم صان سَمْعَها عن ذكرِ العمى في الدعاء على عدو عينيها خشيةَ تَشَاؤُمِها بذلك، لكون المدعوّ عليه بالعمَى مضافاً لعينيها، فكَنّى عن ذلك بقوله (أصبحَ مشغولاً بمشغول) أي دخَلَ في الصباح حالةَ كونِه مشغولاً بالليل، فإنَّ مَنْ دخلَ في الصباح مشغولاً بالليل عن الصباحِ لم يَرَ الصباح، وعدمُ رؤيةِ الصباح بعد الدخول به تكونُ مِن فَقْدِ البصر، كأنه [دعا][2] عليه باستمرارِ الليل وكَنّى به عن إعْدَامِ آلةِ البَصَر، إذ الأعمى ليس له صبحٌ يُنْتَظر، وبهذا صرَّح مَن وَصَفَ ليلَ الهَجْرِ بالطول بعدَ أن وصفَ ليلَ الوصل بالقصر فقال:

عَهْـــدِي بنـــا وَرِدَاءُ الليـــلِ يجمَعُنـــا ... والليـــلُ أَطْوَلُـــهُ كاللَّمْـــحِ بالبَصَـــرِ

والآنَ ليْلِـــيَ مُـــذْ بَانُـــوا فَدَيْتُهُـــمُ ... ليـلُ الضريـرِ فَصُبْحِـي غيـرُ مُنْتَظَـرِ[3]

هذا على احتمال كون المرادِ بالمشغول الليل، وأما إذا كان المرادُ به شغله فعَلَى الاحتمالين اللذَيْن تقدما من كون شغلِه شكوى القصر أو شكواها هي الطول، فيكون قولُه عن العدوِّ حقيقةً (أصبح مشغولًا بمشغول) كنايةً عن دعواه عَلَيه بأن يصبحَ عاشقاً لها، وذلك لأن شغلَه المذكورَ مُسَبَّبٌ عن عشقها، فدعا عليه بالمسبِّبِ وأراد السببَ لاستلزامه له، وذلك إشفاقاً عليها وخوفاً على عينيها من وصولِ ضرر العدوِّ إليها، فطلبَ كونه يصبح مُحِباً عاشقاً لِيَأْمَنَ على عينيها مِن ضرره، ويَسْلَمَ هو وإياها من مكائدِ شرورِه وشَرَرِه، ولكن يتعينُ أن يكون العدو هنا أنثى لا ذكر ؛ إذِ العاشقُ لا

(١) في الأصل: بعينيها.

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) الشعر لعبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ) ديوانه ص٢٤٨، ط: دار صادر، بيروت.

يرضى بأن يكون لمعشوقِهِ عاشقًا غيره مثله، وذلك غَيْرَةٌ على المحبوب خوفَ الاشتراك، لأنَّ قلوبَ العشاق لا تقبل الاشتراك، ولا يرضى لمعشوقه أن يكون عاشقًا، إلا إذا كان أغْيَدَا، فلا يخاف من ذلك ضررا ولا يخشى الاعتدا، بل ربما الْتَذَّ بذلك وحصلَ مُنَاه، لتعريضه بحاله للمحبوب إذا اعترضَ مَن يَهْوَاه، كما قال بعضهم:

قلتُ لمحبوبِي وقد مَرَّ بِي مَحْبُوبُه كالقَمَرِ السَّارِي

هذا الذي يَأْخُذُ لي طَرْفُهُ مِن طَرْفِكَ الفَتَّاكِ بالثَّارِ[1]

قلت: لو كان لي حُكْمُ في هذا البيت الآخَر لقلت: مِن طرفِك البَتَّار، مبالغةً في الباتر، وإذا كان المعشوق مولعًا بالهجر حتى صارَ العاشق بالوصل غيرَ طامع، رضي بعشق محبوبِه ليجتمع وإياه في العشقِ وقَنَعَ بهذَا الجامع، والمأْيُوسُ يَقْنَع من المعشوق، ولو بتَلَاقي البصر في العَيُّوق[2]، وممن قَنِعَ بذلك ابنُ المعتز[3]، فقال حيث لم يجمعهما الخز والبز:

أَلَسْتُ أَرَى النجمَ الذي هو طَالِعٌ عليكِ فهذا للمحبينَ نَافِعُ

عسى يلتقِيَ في الأُفُقِ لَحْظِي ولَحْظُها فَيَجْمَعُنا إذْ ليسَ في الأرضِ جَامِعُ[4]

ومَيْلُ المحبِّ إلى ما يميلُ له المحبوب فرضٌ في شرع المحبة، إذ لا اختيارَ للمحب

---

(١) البيت لحسام الدين الحاجري، عيسى بن سنجر (ت٦٣٢هـ)، التذكرة الفخرية، بهاء الدين علي بن عيسى الإربلي ص٣٩، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط: دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م.

(٢) كوكب بإزاء الثريا يضرب به المثل في السمو والعلو (ينظر: العين ٢/ ١٧٩)

(٣) عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد، الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة، ولد في بغداد سنة ٢٤٧هـ، وقتل سنة ٢٩٦هـ (ينظر: وفيات الأعيان ١/ ٢٥٨)

(٤) ديوان ابن المعتز ص٣١١.

مع اختيارِ مَن مَلَكَ حواسَّه ولُبَّه، وربما وصلَ العاشق من ذلك إلى رتبةٍ يَلْتَذُّ فيها بتعذيبِ قلبه، إذا عرَف أنَّ المعشوقَ أحبه، وقد أعربَ عن هذا الحال مَن قال:

إنْ كانَ في تَعْذِيــبِ قلبــي رَاحَــةٌ ... لــكَ فاجْتَهِــدْ بــالله في تعذِيبِــهِ[1]

وقال الآخر:

تَعَشَّــقْتُ فيــه كلَّ شــيءٍ يحبُّــه ... مِن الجَوْرِ حتى صرتُ أعشقُ صَدَّهُ

ولا بُـدَّ لـي مِـن جَهْلَـةٍ في وِصَالِـه ... فهـل مِـن حليـمٍ أُوْدِعُ الحِلْـمَ عنـدَه[2]

وبالجملة فالعشق جنون، والجنون فنون.

رَجْعٌ لِمَا نحن فيه، هذا إذا كان المراد بالعدو العدوَّ حقيقةً، وأما إذا كان المراد به السُّهَاد فإن كان المراد بالمشغول الليل فيكون دعاؤُه على السهاد بأن يُصْبِح، أي يدخلَ في صبحِ تلك الليلة مشغولاً بالليل، كنايةً عن الدعاء بمواصلة ليلةِ الوصال لصباحِها بالاجتماع والاتصال، لأن السهادَ هو الأرَقُ الذي هو سهرُ الليل، فإذا دخلَ السهاد في الصبح مشغولاً بالليل لعدم رؤيتِه الصباح لم يخرج وقتُه بدخول[الصبح][3]، فيبقى النهار محلاًّ له ويتصل ليلُ وَصْلِه بصباحه، فيبقَى على ما كان عليه تلك الليلة مِن أفراحه، ولا يُلَام شاعرُنا ذلك، وكيف وقد قيل فيما هنالك:

عَـرِّجْ علـى حَـرَمِ المحبـوبِ مُنْتَصِبًـا ... في قِبْلَةِ الحبِّ [و][4]اعذرْنِي على سَهَرِي

---

(١) البيت لابن وكيع التِّنِّيسي، الحسن بن علي (ت ٣٩٣هـ)، يتيمة الدهر ١/ ١٣١.

(٢) البيت لابن نُبَاتَة السعدي، عبد العزيز بن محمد (ت ٤٠٥هـ)، يتيمة الدهر ١/ ٢٩١.

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) ساقط من الأصل.

وانظرْ إلى الخالِ دونَ الثغرِ فوقَ لَمىً ... تَجِدْ بِلَالًا يُرَاعِي الصبحَ في السَّحَرِ[1]

وبمناسبة الخال تذكرتُ قولَ ابن المعتز، بيتين، وقيل هما للبَاعُونِيَّة[2]:

كأنما الخالُ تحتَ القُرْطِ في عُنُقٍ ... بَدَا لنَا مِن مُحَيًّا جَلَّ مَنْ خَلَقَا

نَجْمٌ بَدَا في عمودِ الصبحِ مُسْتَتِرًا ... تحتَ الثريَّا قريب الشمسِ فاحترَقَا[3]

وفي هذين البيتين تشبيهُ أربعةٍ بأربعة، وهو الخالُ والقُرط والعنق والمُحَيًّا، شَبَّهَهَا بالنجم المحترقِ وعمودِ الصبح والثريا والشمس، وهو تشبيه بديع، غير أنه فاته الترتيب، ولم يَسْلَم من الحشو، وقد أدركَ الترتيبَ مع عدم الحشو مَن قال:

عيونٌ وأَصْدَاغٌ وفَرْعٌ وقامَةٌ ... وخالٌ وجَنَّاتٌ وفرْقٌ ومَرْشَفُ

سيوفٌ وأَلْحَانٌ وليلٌ وبَانَةٌ ... ومسكٌ وياقوتٌ وصُبْحٌ وقَرْقَفُ[4]

رَجْعٌ لما نحن فيه، هذا إذا كان المراد من المشغول الليل، وإما إذا كان المراد به الشغل، وكان المرادُ بالشغل شكواه مِن قِصَر الليل، فيكون قد دعا على السهادِ بأن

---

(١) الشعر لابن نباتة المصري، محمد بن محمد الفارقي (ت ٧٦٨هـ)، ديوانه ص١٠٢ ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) عائشة بنت يوسف بن أحمد الباعوني، شاعرة أديبة فقيهة، أصلها من الأردن، ماتت في دمشق سنة ٩٢٢هـ(ينظر: الأعلام ٣/ ٢٤١).

(٣) ديوان عائشة الباعونية ١/ ٣١٢ تحقيق محمد صلاح الخيمي، ط: دار التراث العربي، دمشق ١٩٨١م.

(٤) القَرْقَفُ: اسم للخمر (ينظر: تهذيب اللغة ٩/ ١٠٨) والشعر لتقي الدين البدري، أبو بكر بن عبد الله (ت٨٩٤هـ)، نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار، عبد الغني النابلسي، تحقيق أحمد فريد المريدي ١/ ١٥٠ ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

يدخلَ في صبحِ تلك الليلة مشغولاً بشكواه من قصرها لعله يصل طُرَّةَ تلك الليلة بجانبٍ من غُرَّةِ الصباحِ إذا أصبح مثله مشتكيًا من القصر، فيَحْصُلُ للعاشق بذلك ما أراد مِن تمام بلوغ الوَطَر، وأما إذا كان المراد بالشغل شغله بشكوى محبوبتِه من الطول، فيكون قد دعا على السهادِ بأن يصبحَ مشغولاً بشكواها من طول الليل، والسهادُ لا يبلغ هذه المرتبةَ إلا إذا صار عاشقـًا لعينيها مغرمـًا بلحظها، فيصبح صديقًا بعد أن كان عدوا، ومحبًّا بعد أن كان شانِئا، فيلزم من ذلك ملازمتُه لعينيها، وحيث صار صديقًا لعينيها يلزم التذاذُهُما به واستراحتُهُما إليه، كما يَلْتَذُّ ويستريح الصديق بالصديق، وفي الحقيقة هذا دعاءٌ منه على عينيها بالسهر، لكنه كَنَّى بألطفِ عبارةٍ خلَبَ بها العقولَ وسحر، وانظر إلى احتشامه في خطاب محبوبته، وكمالِ آدابه ولطفِ رِقَّته، وانظر إلى قول الآخر حيث..[1]...بما به تَجَاهَر، وعلى الدعاء تَجَاسَر، حين قال:

مـا لِهَـذِي العيـونِ قاتَلَها اللـهُ ... تُسَـمَّى لَوَاحِظًـا وهْـوَ نَبْـلُ

ولهـذا الـذي يُسَـمُّونَه العِشْـ ... ـقَ مَجَـازاً وفي الحقيقـةِ قَتْـلُ[2]

وأخف وزرًا[3] من هذا الشاعر قول الآخر، حيث رده في الآخر:

أَيُّهَـا المُعْـرِضُ صَفْحًـا ... عـن خِطَابِـي وجَوَابِـي

لا أَزَالَ اللهُ عمُـري ... أو يُرِينِـي بِـكَ مَـا بِـي

رَبِّ فاجْعَلْـهُ دُعَـاءً ... خَائِبًـا غيـرَ مُجَـابِ[4]

---

(١) كلمة مطموسة في الأصل.

(٢) الشعر لابن النجار الكاتب، إبراهيم بن سليمان بن حمزة (ت٦٥١هـ)، الوافي بالوفيات ٢/ ٢٢٢.

(٣) في الأصل: وأخف وزاد.

(٤) لم أقف على قائله، وهو دون نسبة إلى أحد في ديوان الصبابة لشهاب الدين أحمد بن حجلة

رَجْعٌ لما نحن فيه، هذا إذا كان المراد بالعدو السهاد، وأما إن كان المراد به الرُّقاد وبالمشغول ليلة الوصل والاتحاد، فيكون الشاعرُ أرادَ أولاً أن يدعوَ على عينيها بأن تصبحَ هاجرةً للرقاد ليَتَّصِلَ يومُه بليلته، وهذا أيضـًا كناية منه عن بقاءِ هِمَّته، ثم إنه تحاشى المحبوبةَ هنالك، وصانَ سمعها عن التصريح بذلك، فشبَّهَ الرقادَ بالعدو من حيث الاعتبار الذي قدَّمْناه، ثم أضافه لعينيها ليتمَّ له الكناية عن الأمر الذي عناه، ولما كان ليلُ وَصْلِها مشغولاً بأمور من جملتها مواصلة السهاد وإبعاد الرقاد، كان تلك الليلة عن أعينها طريدا، ومن جفونها شريدا، فهو مشغولٌ تلك الليلة بِبُعْدِه، والليلة مشغولةٌ بِطَرْدِه، فإذا دخلَ في الصباح مشغولاً بذلك، مطروداً كما كان تلك الليلة هنالك، لزِمَ أنْ تَبْقَى في ذلك الصباحِ أعينُ المحبوبة خالية، ويتصلَ نهارُه بليلته الخالية.

هذا إذا كان المراد بالمشغول الليل، وأما إن كان المراد به الشغل المضاف إلى الشاعر، وهو شِكَايَتُه من القِصَر أو شكايتها من الطول فالمعنى في قوله (أصبح مشغولاً بمشغول) أي دخل في ذلك الصباحِ مشغولاً بشكايتهِ من القِصَر مِثْلِي، أو مشغولاً بشكايتها من الطول كما أنا مشغول بذلك، فلا يجدُ الرقادُ في ذلك الصباح وقتًا يخلو به عن الشغل لِيَغْشَى عينيها بأذياله ويكحل جفنيها،إذ المشغولُ لا يُشْغَل، كما هو معلومٌ لا يُجْهَل.

هذا ما تَيَسَّرَ للفهمِ القاصرِ إدْرَاكُه في هذا الوقت من معنى البيتين، واحتمالات ما تضَمَّنَاه من لفظ المشغول وعدو العينين، وتوجيه تلك الاحتمالات التسع، بقدر ما أَعَارَني الوقت من الوُسْع.

وبمناسبة العاشق والمعشوق والكنايات، قد عَنَّ لي أن أختمَ ذلك بحكايةٍ هي من

ص٦٧، ط: دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٠.

ألطف المسامرات، وأظرف ما يُعَدُّ في مثل هذا الموضع من مناسبات المحاضرات، وذلك ما حدَّث به عبد الله بن حمدون[1] حيث قال: دخلت على المعتصم[2] يوماً فوجدته متفكرا، فامتنعتُ من السلام ووقفت، فقال لي بعد ساعة: مَنْ أَذِنَ لك في الدخول؟ فقلت: مَوْلاك، فقال: ما لك لا تسلم؟ فقل: خشيتُ أن أَحُولَ بينك وبين ما أنت فيه، فقال: هي حُجَّة، ثم لم أَزَلْ في مُذَاكَرَتِه وتهييج نشاطه حتى استدعى بالغناء، فحضرَت جاريةٌ حسناء وغنت:

حـــيِّ طيفًـــا مـــنَ الأحبّـــةِ زارا ... بعـــدَ أن أَبْعَـــدَ الكـــرَى أَسْـــمَارا

طارِقـــًا في المنـــامِ تحـــتَ دُجَـــى اللّيْـ ... ـــلِ ضَنِينـــًا بـــأنْ يَـــزُورُ نهـــارَا

قلـــتُ: مَـــا بالُنَـــا جُفِينَـــا وكنَّـــا ... قبـــلَ ذاكَ الأســـماعَ والأبصـــارَا

...[3]...كمَـــا عهـــدتَ ولكـــنْ ... منـــع الحَلْـــيُ أهلَـــهُ أنْ يُعَـــارَا[4]

فرفع المعتصم رأسه إلي وقال: ما معنى (منع الحلي أهله أن يعارا) وكنت عالماً بذلك، فقلت: لا أعلم يا أمير المؤمنين، قال: فمَن يعلمه؟ قلت: محمد بن مروان[5]، فقال: هو محبوسٌ بمالٍ عليه لنا، قلت: أعلم، وليس أحدٌ يخبرك غيره، قال: أخرجوه

(١) لم أعرفه.

(٢) محمد بن هارون الرشيد العباسي، الخليفة العباسي الثامن، ولد سنة١٧٩هـ ومات سنة ٢٢٧هـ (ينظر: تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٢)

(٣) جملة مطموسة في الأصل، وتتمة البيت: قال إنا كما

(٤) الشعر لعمر بن أبي ربيعة (ت ٩٣هـ)، ديوانه ص ١٤٣ تحقيق عادل سليمان جمال، ط: مطبعة المدني، القاهرة.

(٥) ورد ذكر اسمه في مصادر كثيرة، ولم أعرف عنه سوى ما ذكره صاحب الأغاني ٧/ ٢٤٥ من أنه محمد بن مروان الأبزاري.

إلى لعنة الله ولو ذهب مالي عليه وجِئْنِي به، فذهبتُ وأخرجته وقلت له: إن أمير المؤمنين مُسَائِلُك عن شيءٍ فقل له لا أعلم، فإذا قال لك: من يعلمه فقل له: أحمد بن محمد البَارِقِي[1]، ثم دخلنا على المعتصم فسلم محمد[2] فرد عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال له: ما معنى (منع الحلي أهله أن يعارا) فقال: لا أعلم يا أمير المؤمنين، فقال: من يعلمه؟ قال: أحمد بن محمد البارقي، فقال: أتريدون أن تُخرجوا الآخرَ من الحبس وعليه خمسة آلاف ألف وقد جَنَحَ لكَسْرِها؟! قلنا: يا أمير المؤمنين ليس في خَدَمِك من يعرف هذا غيره، قال: امضيا وأخرجاه الساعة، فأخرجناه وقلت له: إن أميرَ المؤمنين يسألك عن شيءٍ فلا تُعَرِّفْهُ به، وعَرِّفْهُ قصورَك عنه، ثم دخلنا على المعتصم فسلم فرد عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم قال: يا أحمد صَعُبَ عليك إخراجُ المال؟ فأجابه بجواب حسنٍ ووعده أن يعطيَه، فقال: إني لا أطالبك بعد وقوع نظري عليك، هذا يَقْدَحُ في الكرم، ولكن هو مَوْهُوبٌ لك، هات قل لي ما معنى (منع الحلي أهله أن يعارا) قال: لا أعلم يا أمير المؤمنين، فضرب بيده إلى لحيته وقال: عَزَمْتُم عليَّ إخراجَ مَن في السجن بسبب نصف بيت؟! قال: فقلت: يا أمير المؤمنين أنا أخبرك به، قال: فأين كنت إلى الآن؟ فقلت: إن هذين كانا في حبس أمير المؤمنين، فجعلتُ إنكاري لذلك سبباً لإخراجهما، فقال: وهذه عشرة آلاف درهم، قلت: أخبرَني عبدُ الصمد بن المعَذَّل[3] قال: قدم علينا البصرةَ رجلٌ تاجر واسع النعمة، وكان له ثمانون جارية يتمنى من إحداهن الولد، فلم يُرْزَقْه، فلم يزل يَنْذُر النذور حتى رُزِق ولداً ذكراً بعد يأس منه، فشغف به شغفًا عظيمًا ومَنَعَ من

---

(١) لم أعرفه.

(٢) هكذا في الأصل، والصواب: أحمد.

(٣) عَبد الصَّمَد بن المُعَذَّل بن غيْلان بن الحكم العبديّ، من بني عبد القيس، من شعراء الدولة العباسية، ولد ونشأ في البصرة، مات سنة ٢٤٠هـ (ينظر: الأعلام ٤/ ١١).

إخراجه من الدار خوفًا عليه، فلما شبَّ اختار له عشرين معلمـًا من أهل الآداب والشعر والفضائل، وكنتُ أحدَهم، فلم نزل نؤدبه حتى مَهرَ، فلما كانت نوبتي قال لي: قد علمتُ أن لله سماءً وأرضًا ودنيا وخلقا، وإلى متى لم أخرج لمعاينة ذلك؟ فأشرت على أبيه بإخراجه فأَبَى، وبنَى له قبةً عاليةً تشرف على واد، وبين الوادي والبصرة فرسخان وميل، فأَجْلَسَه بها، قال ابن المعذل: فجلست معه يومـًا أُفَاوِضُه الأحاديث، وهو كالساهي يديم النظر إلى سطح دار كانت قريبةً من القبة، وإذا بجاريةٍ أشرفت من وراء سِتْرٍ لم أر أحسن منها جمالاً ولا قدا، فأقبل ينظر إليها والجارية تنظر إليه وأنا أُوْهِمُه أني لست أراها، ثم انقضت نوبتي وانصرفت، فلما عادت النوبة إليَّ عدتُ فوجدته عليلاً وقد أحضروا له الأطباء والمعالجين، فخَلَوْت بأبيه وقلت: عليَّ علاجُه فدَعني وإياه، ففعل، فأقمت تسعة أيامٍ وعِلَّتُهُ تزداد، وهو يراقب الموضعَ فلا يرى أحدا، فلما كانت عشية الليلة العاشرة نزلت له الجاريةُ كأنها الشمس المضيئة، فنظر إليها فنطق لسانه ونشط جَنَانُه، فقال منشدا:

حَيِّ طيفـًا من الأحبةِ زارا.... الأبيات الثلاثة.

فأجابته الجارية تقول:

إنَّ حُبِّـــي كمـــا علمـــتَ ولكـــن   مَنـــعَ الحلـــيُ أهلَـــه أن يُعَـــارَا

فقال المعتصم: ما أراك صنعت شيئـًا، بل زدتنا حيرة، قلت: يا أمير المؤمنين، إذا كان عندك حلي يُعَار ثم انكسرَ أيمكنُ إعارَتُه؟ قال: لا، قلت: هذه الجارية أخبرتْه أنها كانت طَامِثا، فَنَزَّهَتِ الفتى أن تكلمَه حتى طَهُرَت، قال: والله أحسنت، لقد أتيتَ بها بيضاءَ نَقِيَّة، فقلت: إن أهلَ الظُّرْف يكنون عن الطمث بكسر الحلي، فقال: المعتصم: ما فعلَ الفتى؟ فقلت: أطَّلَع أبوه على الحال فبَذَل لأهلها المال وزوَّجه بها، انتهى.

وعلى ذكر العدوِّ والحلي تذكرتُ قول القائل:

أمـــا وبيـــاضِ مَبْسَـــمِكَ النَّقِـــي وسُـمْرَةِ مِسْـكِهِ اللعْـسِ الشَّـهِيِّ[1]

ورُمَّـــانٍ مِـــنَ الكافـــورِ يَعْلُـــو عليـــه طوَابِـــعُ النَّـــدِّ الذَّكِـــيِّ[2]

وقـــدٍّ كالقضيـــبِ إذا تَثَنَّـــى خَشِـيتُ عليـهِ مِـن ثِقَـلِ الحُلِـيِّ[3]

قلت: وهذه الأقسام، يجب البِرُّ بها عند أهل الغرام، ومن أعظم أقسامهم للحبيب القَسَمُ باللقاء..[4]....قال الآخر:

قَسَـــمًا..[5].. وأَعْظَـــمُ أقسَـــا مِ المحبيـــنَ باللِّقَـــا بِالتَّدَانِـــي[6]

ومن القَسَم بأوصاف المحبوب قولي من قصيدة:

قَسَـــماً بِفَتْـــكِ الحاجبيـــنِ وفِعْـــلِ هَاتِيـــكَ العُيُـــونْ

وبِمُرْهَـــــفٍ جَرَّدْتَـــــهُ مِـــن غِمْـــدِ ألحـــاظِ الجُفُـــونْ

فَهَزَمْـــتَ جيـــشَ تَصَبُّـــرِي فيـــه بأَسْـــرَعَ مـــا يَكُـــونْ

وبرَيِّـــقِ الحُسْـــنِ الـــذي في الوجنتيـــنِ لـــه فُنُـــونْ

وبِطُـــرَّةٍ رَامَـــتْ تُسَـــتِّرُ حُسْـــنَ غُرَّتِـــكَ المَصُـــونْ

---

(١) اللَّعَسُ: سواد يعلو شفة المرأة البيضاء (ينظر: العين ١/ ٣٣٤)

(٢) النَّدُّ نوع من الطيب (ينظر: جمهرة اللغة ١/ ١١٥)

(٣) الشعر لابن النبيه، علي بن محمد (ت ٦١٩هـ)، ديوانه ص ٥٤١ ط: دار صادر، بيروت.

(٤) جملة مطموسة في الأصل.

(٥) كلمة مطموسة في الأصل.

(٦) لم أقف عليه.

فَبَـــدا كَبَـــدْرٍ سَـــاطِعٍ مِـــنْ بيـــنِ أطـــرَافِ الغُصُـــونْ
وبقَامَـــةٍ مثـــلِ القَنَـــا وال..[1].. بـــل لا يَسْـــتَوُونْ
مـــا غيَّـــرَ الهُجْـــرَانُ أشْـــواقِي ولا أجـــدُ السـكونْ
كلا ولا خُنْـــتُ العُهُـــودَ فكيـــفَ يـــا بَـــدْرِي تَخُـــونْ

وليكن هذا آخر ما أردنا إيرادَه في هذا المحل، بعد أن كشفْنَا القناع عن البيتين وحَلَلْنا إشكالاً لم يكد منهما يَنْحَل، وكأني بأحمقَ يقف على توجيهات تلك الاحتمالات فيُبَارِزها بالاعتراض، ويطلق جوادَ فِكْرِهِ المِكَرَّ المِفَرَّ بين زهور تلك الرياض، وينظر للتوجيهات بالقِصَر والطول فيقع فيها بالطويل العريض، ويحاول خدشَ تلك الوجوه الحسان بأظافرِ نقيضِ العكسِ وعَكْسِ النقيض، فأقول له: إن خدودَ هذه الوجوه الحسان، لا تتحمل النظرَ أيُّها المِعْيَان، فإن فيها ما هو كالتفاح يُسْتَنْشَق ويُفْرَك، ومنها ما هو كالورد يُشَمُّ ولا يُدْعَك، وأما خالُها الذي هو ليلُ الوصال، فهو كالمسك يُستعمل كيف أمكنَ وعلَى كلِّ حال، ومثل هذه الأبحاث الأدبية، نكاتها تكفي بأدنى مطابقةٍ عقلية، ولا تتوقف على اللزوم البيِّن في العقل، ويَدُلُّكَ على ذلك ما أَخْبَرَ به السَّعْدُ[2] حيث قال في بحث: «هل» إذا رأتِ الفعلَ في حَيِّزِها تَذَكَّرَتْ عهوداً بالحِمَى فحَنَّت إلى الإِلْفِ المألوف وعانَقَتْهُ لم تَرْضَ بافتراق الاسم بينهما، بخلافِ إنْ لم تَرَه في حيزِها تَسَلَّتْ عنه ذاهلةً»[3]، وقد ضَمَّن هذا المعنى العلامة المرحوم شيخنا

---

(١) كلمة مطموسة في الأصل.

(٢) يقصد السعد التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، من أئمة العربية والبيان والمنطق، ولد بخراسان سنة ٧١٢ هـ ومات سنة ٧٩٣هـ (ينظر: الكامل لابن الأثير ٤/ ٥٣)

(٣) شرح الأشموني لألفية ابن مالك، علي بن محمد الأشموني ١/ ٣٨، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

أحمد أفندي المَنِيني[1] شارح العَيْنِي فقال:

إذا غـابَ مَـن أهـوَى تَسَـلَّيْتُ بالنَّـوَى ذُهُـولاً وليـس الميـلُ إلا لَـهُ يُلْفَـى

فحالـي كَهَـلْ في النحـوِ إنْ غـابَ إلْفُهَـا تَسَـلَّتْ وإنْ أُلْفِـي تَذَكَّـرَتِ الإلْفَـا[2]

هذا وإني كلما حَرَّرْتُ حرفاً في السطور، أَعْتَرِف على نفسي بالقصور، فأخشى الذمَّ ولا أرجو المدح، لقلة أهل التعديل وكثرة أهل الجَرْح، والسلامة تجارةٌ رابحَة، لمن كانت بُغْيَتُه ناجِحة، وهذا أقصى ما هنالك، وليت شعري أَنَّى لي بذلك.

عَلَـى أَنَّنِـي راضٍ بِـأَنْ أَحْمِـلَ الهَـوَى وأَخْلُـصَ منـه لا عَلَـيَّ ولا لِيَـا

ولِفَيَّاضِ الجُودِ والإنعام، كمالُ الحمدِ في كلِّ بدءٍ وختام.



(١) أحمد بن علي بن عمر بن صالح، شهاب الدين المَنِيِني، أديب من علماء دمشق، نسبته إلى قرية منين بدمشق، ولد سنة ١٠٨٩هـ، ومات سنة ١١٧٢هـ(ينظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل بن علي الحسيني ١/ ١٣٣ ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م)

(٢) لم أقف على الشعر.



بُلُوغُ المَأْرَب في أَخْبارِ العَقْرَب

جلال الدين عبد الرحمن
ابن أبي بكر السيوطي
ت ١١٩ هـ



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، محمد بن عبد الله النبي الخاتم الأمين، ورضي الله عن الآل والأصحاب والتابعين، وبعد...

فهذه رسالة بديعةٌ صنفها الإمامُ العلامة جلال الدين السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يتحدث فيها عن العقرب، ذاكِرًا بأسلوبه البديع أوصافَها وخِلْقَتَها وطباعها، حيث بَسَط الكلام في الحديث عن هذه الحشرة من الناحية اللغوية والفقهية والحديثية، كما أورد المصنف أخبارًا للعقرب مع مشاهير الزمان، وذكر عددًا من الفوائد المتعلقة بعلاج لدغتها وكيفيةِ طردها من البيوت، وغير ذلك كثير.

وقد اعتمدتُ في تحقيق هذه الرسالة البديعة على خمس نسخٍ خَطِّية، بيانها كما يأتي:

الأولى: نسخة دار الكتب المصرية، وهي تقع تحت رقم ٣٢٣٢٥٧، خَطُّها نسخٌ واضح، بعض الكلمات ملونة بالحُمْرة، وهي تقع في ١٢ لوحة، في كل لوحة صفحتان، عدا اللوحة الأولى فهي صفحة واحدة، وفي كل صفحة ١٢ سطرًا تقريبا، ولم يُذكر فيها اسمُ الناسخ ولا تاريخُ النسخ، وقد رَمَزْتُ لها بالرمز (ر)، وهذه النسخة جعلتها أصلًا لتمامها ووضوحها.

الثانية: نسخة مكتبة الأزهر، وهي تقع تحت رقم ٣٠٢٥٣٠، وهي نسخة خطها رقعة تَصْعُبُ قراءَتُه، فيها كثير من الطَّمْس، عدد لوحاتها ٨، وفي كل لوحة صفحتان، وفي كل لوحة ٢٢ سطرًا تقريبا، ولم يذكر فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، وقد رمزت لها بالرمز (ز).

الثالثة: نسخة مكتبة الأزهر، وهي تقع تحت رقم ٢٨٨٣١، وهي نسخة رديئة جدا، بها سَقْط كبير في أولها وآخرها يبلغ ثلثي الرسالة، وسيتضح ذلك في التحقيق إن شاء الله، وهي تقع في أربع لوحات، في كل لوحة صفحتان، عدا الأولى والأخيرة ففي كلٍّ صفحةٌ واحدة، ولم يُذكر فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، وقد رمزت لها بالرمز (هـ).

الرابعة: نسخة دار الكتب الوطنية بتونس، وهي تقع تحت رقم ٤٧١، وهي نسخة غايةٌ في الرداءة، ولم أتبين منها إلا بعض الجمل هنا وهناك، وخطها مغربيٌّ دقيق، وبها طمس وسقط وبياض لا تخلو منه صفحة، وعدد لوحاتها ٦ لوحات، في كل لوحة صفحتان، وعدد الأسطر في كل صفحة ٣٧ سطرًا في كل صفحة، ولم يذكر بها اسمُ الناسخ ولا تاريخ النسخ، وقد رمزت لها بالرمز (ط).

الخامسة: نسخة دار الكتب المصرية، المكتبة التيمورية، وهي تقع تحت رقم ٢١٤ حديث تيمور، وهي نسخة خطها أقرب إلى الرقعة، ولكنه مقروء، وهي تقع في ٦ لوحات، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة ٢٧ سطرًا تقريبا، ولم يُذكر فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، وقد رمزت لها بالرمز (ت).

والحمد لله أولًا وآخرا.

الدكتور عاصم عبد ربه محمد محمود



ترجمة المصنف

من أفضل التراجم للإمام السيوطي ترجمته لنفسه وإخباره عن أحوال نفسه التي ذكرها في كتاب (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة) حيث قال[1]:

«وإنما ذكرت ترجمتي في هذا الكتاب اقتداءً بالمحَدِّثين قبلي، فَقَلَّ أنْ أَلَّفَ أحدٌ منهم تاريخًا إلا ذكر ترجمته فيه، وممن وقع له ذلك الإمام عبد الغافر الفارسي في (تاريخ نيسابور)، وياقوت الحموي في (معجم الأدباء)، ولسان الدين ابن الخطيب في (تاريخ غرناطة)، والحافظ تقي الدين الفارسي في (تاريخ مكة)، والحافظ أبو الفضل بن حجر في (قضاة مصر)، وأبو شامة في (الروضتين)، وهو أورعهم وأزهدهم، فأقول: أما جدي الأعلى همام الدين، فكان من أهل الحقيقية ومن مشايخ الطرق، ومَن دونه كانوا من أهل الوجاهة والرياسة، منهم من ولي الحكم ببلده، ومنهم من ولي الحسبة بها، ومنهم من كان تاجرًا بنى مدرسةً بأُسْيُوط[2] ووقف عليها أوقافًا، ومنهم من كان مُتَمَوِّلاً، ولا أعلم مَن خدم العلم حق خدمته إلا والدي.

وأما نسبتنا بالخضيري فلا أعلم ما تكون إليه هذه النسبة إلا الخُضَيْرِيَّة[3]، محلة

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي ١/ ٣٣٦ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

(٢) مدينة عظيمة في صعيد مصر، معظمها غربي النيل، وإليها ينسب الإمام السيوطي (ينتظر: معجم البلدان ١/ ١٩٣)

(٣) محلة ببغداد، على الجانب الشرقي منها، بها سوق، ونسبتها إلى خضير أحد أشهر خدم أمير الموصل (ينظر: معجم البلدان ٢/ ٣٧٧)

ببغداد، وقد حدثني من أثق به أنه سمع والدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يذكر أن جده الأعلى كان أعجميًّا، أو من الشرق، فالظاهر أن النسبة إلى المحلة المذكورة.

وكان مولدي بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة، وحُمِلتُ في حياة أبي إلى الشيخ محمد المجذوب، وهو رجل كان من كبار الأولياء بجوار المشهد النفيسي، فبَرَّكَ عَلَيَّ، ونشأتُ يتيمًا[1] فحفظت القرآن ولي دون ثماني سنين، ثم حفظت العمدة، ومنهاج الفقه والأصول، وألفية ابن مالك، وشرعت في الاشتغال بالعلم من مستهل سنة أربع وستين، فأخذت الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ، وأخذت الفرائض عن العلامة فَرَضِيِّ زمانِه الشيخ شهاب الدين الشَّارَمْسَاحِي، الذي كان يقال عنه: بلغ السن العالية، وجاوز المائة بكثير -والله أعلم بذلك- قرأت عليه في شرحه على المجموع.

وأُجِزْتُ بتدريس اللغة العربية في مستهل سنة ست وستين، وقد أَلَّفتُ في هذه السنة، فكان أولَ شيءٍ أَلَّفته (شرح الاستعاذة والبسملة)، وأوقفت عليه شيخنا شيخ الإسلام علم الدين البُلْقِينِي، فكتب عليه تقريظًا، ولازمته في الفقه إلى أن مات، فلازمت ولَدَه، فقرأت عليه من أول التدريب لوالده إلى الوكالة، وسمعت عليه من أول الحاوي الصغير إلى العدد، ومن أول المنهاج إلى الزكاة، ومن أول التنبيه إلى قريب من الزكاة، وقطعة من الروضة، وقطعة من تكملة شرح المنهاج للزركشي، ومن إحياء الموات إلى الوصايا أو نحوها.

وأجازني بالتدريس والإفتاء من سنة ست وسبعين، وحضر تَصْدِيرِي، فلما توفي لزمت شيخ الإسلام شرف الدين المَنَاوي، فقرأت عليه قطعة من المنهاج، وسَمَّعْتُه

(١) مات والده وعمره خمس سنوات.

عليه في التقسيم إلى مجالسَ فاتَتْنِي، وسَمعت دروسًا في شرح البهجة ومن حاشيته عليها ومن تفسير البيضاوي.

ولزمت في الحديث والعربية شيخنا الإمام العلامة تقي الدين الشبلي الحنفي، فواظبت أربع سنين، وكتب لي تقريظًا على شرح ألفية ابن مالك وعلى جمع الجوامع في العربية تأليفي، وشهد لي غير مرةٍ بالتقدم في العلوم بلسانه وبنانه، ورجع إلى قولي مُجّردًا في حديث، فإنه أورد في حاشيته على الشفاء حديث أبي الحمراء[1] في الإسراء، وعزاه إلى تخريج ابن ماجة، فاحتجت إلى إيراده بسنده، فكشفتُ ابن ماجة في مظنته فلم أجده فمررت على الكتاب كله فلم أجده، فاتهمتُ نظري، فمررت مرة ثانيةً فلم أجده، فعدت ثالثةً فلم أجده، ورأيته في معجم الصحابة لابن قانع، فجئت إلى الشيخ فأخبرته، فبمجرد ما سمع مني ذلك أخذ نسخته وأخذ القلم فضرب على لفظ (ابن ماجة)، وأَلْحَقَ(ابنَ قانع) في الحاشية، فأَعْظَمْتُ ذلك وهِبْتُهُ لعظم منزلة الشيخ في قلبي واحتقاري في نفسي، فقلت: ألا تصبرون لعلكم تراجعون؟! فقال: إنما قلدتُ في قولي:(ابن ماجة)، البرهانَ الحلبي، ولم أنفك عن الشيخ إلى أن مات.

ولزمت شيخنا العلامة أستاذ الوجود محيي الدين الكافِيَنْجِي أربع عشرة سنة، فأخذت عنه الفنون من التفسير والأصول والعربية والمعاني وغير ذلك، وكتب لي إجازةً عظيمة، وحضرت عند الشيخ سيف الدين الحنفي دروسًا عديدة في الكشاف والتوضيح وحاشيته عليه وتلخيص المفتاح والعضد.

---

(١) يقصد ما رواه ابن قانع حيث قال: حَدَّثَنَا القَاسِمُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَمَّادٍ الدَّلاَّلُ، نا إِبرَاهِيمُ بنُ إِسحَاقَ الصِّينِيُّ، نا عَمرُو بنُ ثَابِتٍ، عَن أَبِي حَمزَةَ، عَن سَعِيدِ بنِ جُبَيرٍ، عَن أَبِي الحَمرَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا عَلَى الْعَرْشِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ أَيَّدْتُهُ بِعَلِيٍّ»(معجم الصحابة ٣/ ٢٠٢ تحقيق صلاح بن سالم المِصْرَاتي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ) وفي سنده عمرو بن ثابت وهو متروك.

وشرعت في التصنيف في سنة ست وستين، وبلغت مؤلفاتي ثلاثمائة كتاب، سوى ما غَسَلْتُه ورجعت عنه، وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب التَّكْرُور(١)، ولما حججت شربت من ماء زمزم لأمور، منها: أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر.

وأَفْتَيْتُ من مستهل سنة إحدى وسبعين، وعقدت إملاء الحديث من مستهل سنة اثنتين وسبعين، ورزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع على طريقة العرب والبلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة، والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقول التي اطلعت عليها، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحدمن أشياخي فضلاً عمن دونهم، أما الفقه فلا أقول ذلك فيه، بل شيخي فيه أوسع نظرًا، وأطول باعًا، ودون هذه السبعة في المعرفة: أصول الفقه والجدل والتصريف، ودونها الإنشاء والترسل والفرائض، ودونها القراءات، ولم آخذها عن شيخ، ودونها الطب.

وأما علم الحساب فهو أَعْسَرُ شيءٍ عليّ وأبعده عن ذهني، وإذا نظرت إلى مسألة تتعلق به، فكأنما أحاول جبلاً أحمله.

أقول ذلك تَحَدُّثًا بنعمة الله علي، لا فخرًا، وأي شيءٍ في الدنيا حتى يُطْلَبَ تحصيلُه بالفخر!؟ وقد أزف الرحيل، وبدا الشيب، وذهب أطيب العمر، ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفًا بأقوالها وأدلتها العقلية والقياسية، ومداركها ونقوضها، والموازنة

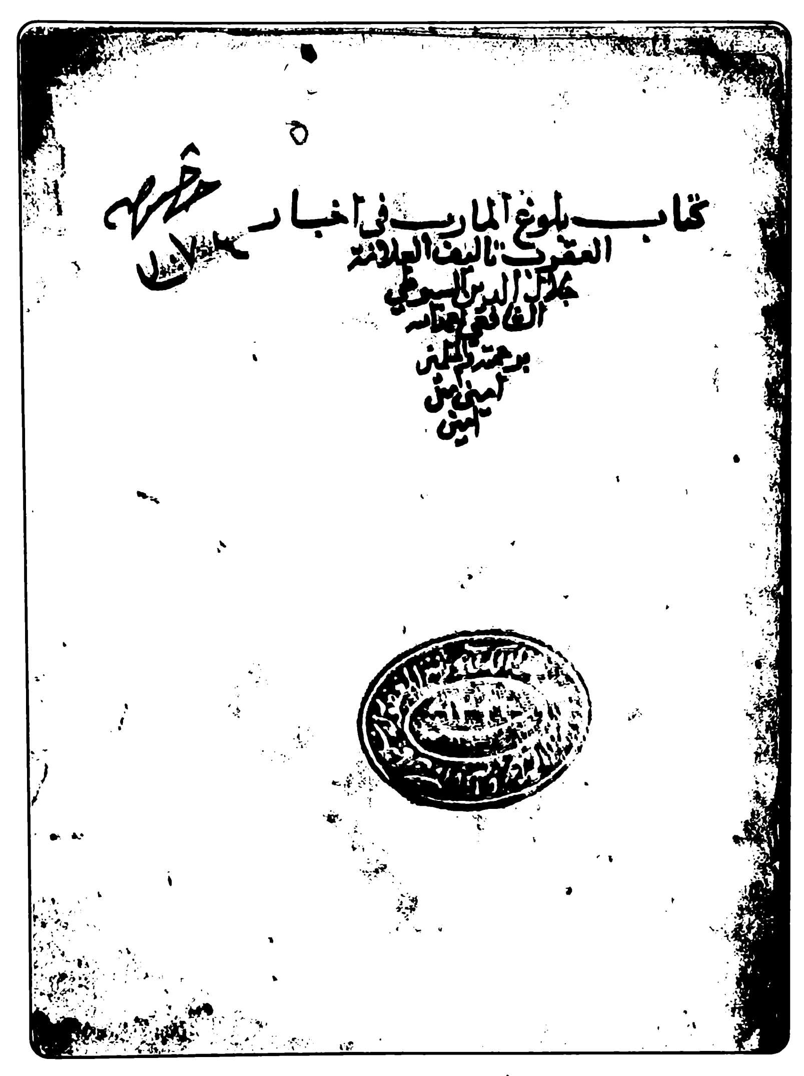
(١) بلاد تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب، وأهلها أشبه الناس بالزنوج.(ينظر: معجم البلدان ٢/ ٣٨)

بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله، لا بحولي ولا بقوتي، فلا حول ولا قوة إلا بالله».

وقد توفي السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٩١١ هـ[1]



(١) الضوء اللامع ٤/ ٦٥، والكواكب السائرة ١/ ٢٢٦، والأعلام ٣/ ٣٠٠.


كتاب بلوغ المارب في اخبار العقرب تاليف العلامة جلال الدين السيوطي الشافعي رحمه الله

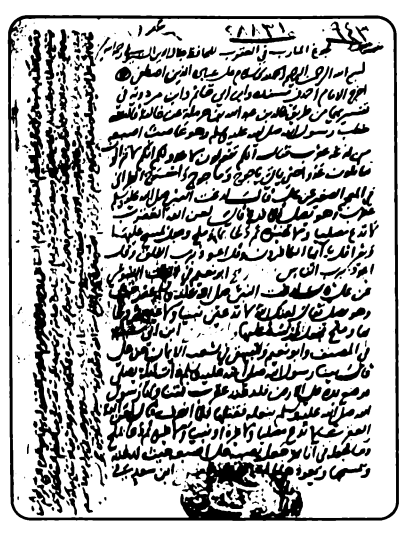
صفحة العنوان من النسخة (ر)

اللوحة الأولى من النسخة (ر)

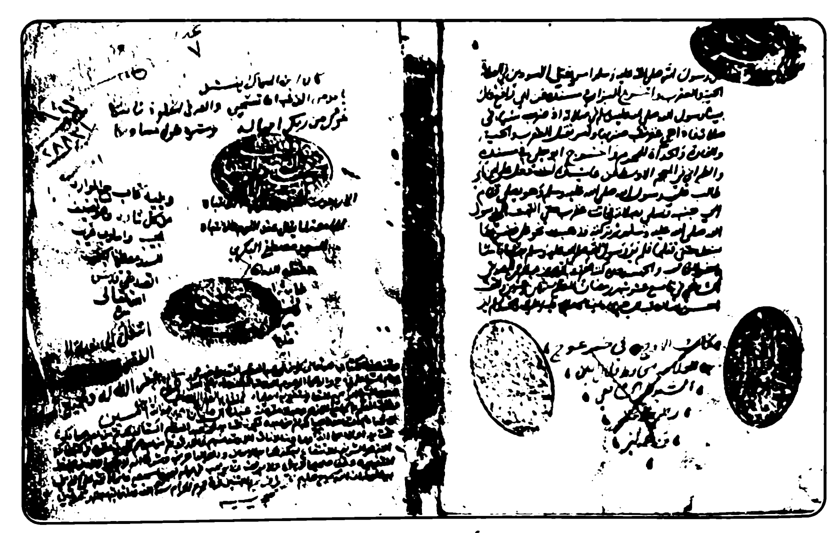
اللوحة الأخيرة من النسخة (ر)

اللوحة الأولى من النسخة (ز)

اللوحة الأخيرة من النسخة (ز)



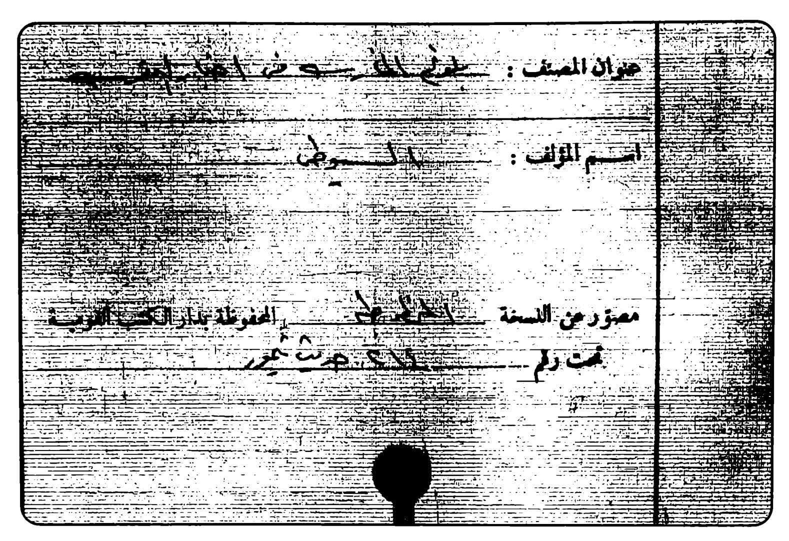
الصفحة الأولى من النسخة (هـ)



اللوحة الأخيرة من النسخة (هـ)

اللوحة الأولى من النسخة (ط)

اللوحة الأخيرة من النسخة (ط)



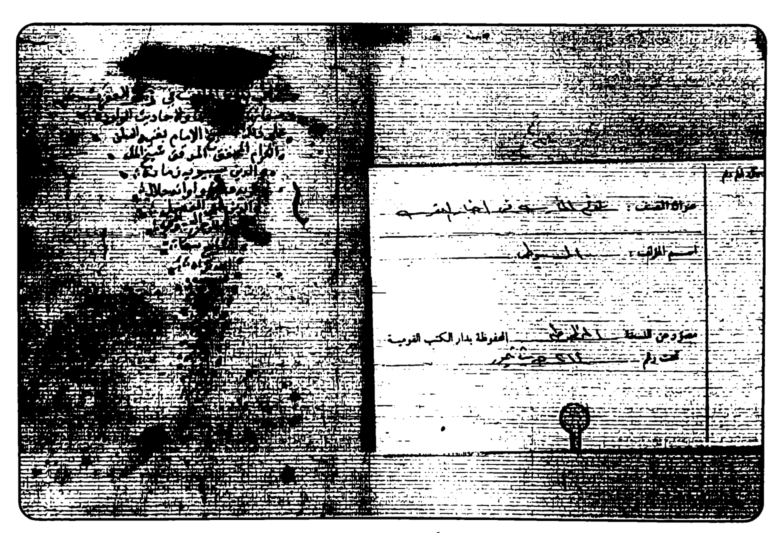
عنوان المصنف : بلوغ المأرب في أخبار العقرب

اسم المؤلف : للسيوطي

مصور من النسخة ... المحفوظة بدار الكتب القومية

تحت رقم ...

صفحة العنوان من النسخة (ت)



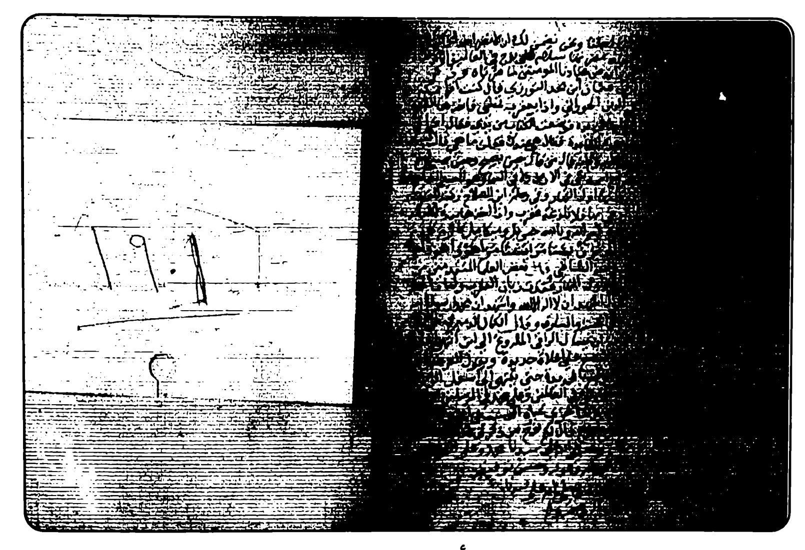
عنوان المصنف : بلوغ المأرب في أخبار العقرب

اسم المؤلف : للسيوطي

مصور من النسخة ... المحفوظة بدار الكتب القومية

تحت رقم ...

اللوحة الأولى من النسخة (ت)



اللوحة الأخيرة من النسخة (ت)

بُلوغُ المأْرَبِ في أَخْبارِ العَقْرَب

تأليف العلامة جلال الدين السيوطي الشافعي تغمده الله برحمته والمسلمين آمين آمين آمين[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[ربِّ يَسِّر يا كريم.. قال الشيخُ الإمام، والعالم الهُمَام، الحافظ جلالُ الدين السيوطي الشافعي عفى الله عنه:][2] الحمد لله، وسلامٌ على عبادِه الذين اصطفى، هذا جزءٌ لطيفٌ في أخبارِ العقرب يُسَمَّى بُلُوغُ المأْرَب[3].

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ط و هـ وفي ز: تأليف الشيخ الهمام، والحبر البحر الفَهَّام الحافظ جلال الدين الشيخ عبد الرحمن السيوطي نفعنا الله ببركاته والمسلمين أجمعين، وفي ت: كتاب بلوغ المأرب في ذكر العقرب وصفاتها وأقواتها والأحاديث الواردة على ذلك، للشيخ الإمام بقية السلف الكرام، المحقق المدقق شيخ الملة والدين، سيبويه زمانه، فريد عصره وأوانه، جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن السيوطي الشافعي، سقى الله ثَرَاه صَوْبَ الرحمة والرضوان، وأسكنه أعلى فراديس الجنان، آمين.

(٢) ساقط من ز، وفي ط: صلى الله على سيدنا ومولانا، وما بعده مطموس حتى قوله: الحمد لله وسلام.....

(٣) في ت: قال الشيخ الإمام العلامة الشيخ الكبير سيدي جلال الدين..نفعنا الله تعالى به وببركاته آمين.

ذِكْرُ أسمائها[1]:

العقربُ للذكر والأنثى، والجمع عقارب، ويقال للذكر: عُقْرُبَان والأنثى عقربة وعَقْرَبَاء بالمد، غير منصرف[2]، وعُقْربَان أيضا كالذكر، ذكَرَه في القاموس[3]، ومن أسمائها الشِّبْرِع،كَزِبْرِج، والشَّبْوَة، ويقال شبوة بلا أل، عَلَم، والشَّوْشَب وشَوْلَة، عَلَم، والفِرْضِخ والرِّشْك بالفارسية، والعَنْقَفِيرُ والشَّامِذ والفِصْعِل - بالفاء - والفِصْعِلْ كزبرج، وقيل هما اسمان للصغيرِ مِن وَلَدِها، والقِصْعِل بالقاف، كذلك في القاموس[4]، وغلط الصَّغَانِيُّ[5] في تغليطه الجوهري[6] بقوله: الصواب بالفاء[7] ؛لأنهما لغتان صحيحتان.

والشَّبَاةُ العقربُ ساعةَ تُولد، وقيل هي عقربٌ صفراء، وكنيتُها أمُّ عِرْيط وأم العِرْيَط وأم سَاهِرَة وأم قِصْعِل، وبنو مُقَيِّدَة العقارب.

---

(١) العناوين كلها مطموسة في النسخة ط.

(٢) في ت: مصروف.

(٣) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي ١/ ١١٧ تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة ٢٠٠٥م.

(٤) القاموس المحيط ١/ ١١٨.

(٥) الحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني، أعلم أهل عصره باللغة، ولد بالهند ومات ببغداد سنة ٦٥٠هـ(ينظر: الأعلام خير الدين الزركلي ٢/ ٢١٤ ط: دار العلم للملاين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م)

(٦) إسماعيل بن حماد، من أئمة اللغة، صاحب الصحاح، ولد في فاراب ومات في نيسابور سنة ٣٩٣هـ(ينظر: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، جمال الدين يوسف بن تغرى ٤/ ٢٠٧، الناشر: دار الكتب المصرية)

(٧) الراموز على الصحيح، السيد محمد بن السيد حسن ص٣٢، تحقيق محمد علي عبد الكريم الرديني، ط:دار أسامة - دمشق - الطبعة الثانية ١٩٨٦م.

ذكر حالها:

[وهي - أي][1] العقرب أنواع، سودٌ وخضرٌ وصفر، وهي مائية الطباع كثيرة الولد كالسمك والضَّبّ، ولها [ثمانية][2] أرجل، وعيناها في ظهرها، وشر ما تكون إن كانت حاملا، وقيل إنَّ حَتْفَهَا في ولادتِها لأن أولادها إن استَوَى خَلْقُها تأكل بطنَها وتخرج فتموت الأم، ورَدَّهُ الجَاحِظ[3] وقال: أخبرني مَن أثق به أنه رأى العقربَ تلدُ مِن فِيها مرتين وتحمل أولادَها على ظهرها، وهي على قدر القمل كثيرة العدد[4].

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا هو الصواب.

ومن شأنها أنها لا تضرب الميتَ ولا النائم حتى يتحرك شيءٌ من بدنه، وإذا لَسَعَت فَرَّت فِرارَ خائف، ولا تسبح ولا تتحرك إذا أُلقِيَت في الماء، وتحرِصُ على أكل الجراد، وربما ضرَبَتِ الحجرَ والمَدر، ومِن أحسن ما قيل في ذلك، شعر:

رأيتُ على صخرةٍ عَقْرَبَا ... وقد جَعَلَتْ ضَرْبَهَا دَيْدَنَا
فقلتُ لها إنها صَخْرَةٌ ... وطَبْعكِ مِن طَبْعِها أَلْيَنَا
فقالت صدقتَ ولكنني ... أُرِيدُ أُعَرِّفهَا مَن أنا

وهي مع صغرها تقتل الفيلَ والبعيرَ والأفعى بلسعها.

---

(١) ساقط من (ر) و (ط) و(ز)

(٢) ساقط من ط.

(٣) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، الأديب المتكلم المعتزلي الناقد، صاحب التصانيف الكيرة، أصيب بالفالج آخر عمره ومات بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ (ينظر: الأعلام / ٧٤)

(٤) ينظر: الحيوان، الجاحظ ٥/ ١٩٢ ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

قال عمارةُ اليَمَنِي[1]:

إذا لم يسَالِمْكَ الزمانُ فحَارِبِ ... وبَاعِدْ إذا لم تَنْتَفِعْ بالأقَارِبِ

ولا تَحْتَقِرْ كَيْدًا ضعيفًا فربما ... تموتُ الأفاعِي مِن سُمُومِ العقَارِبِ

فقد هَدَّ قِدَمًا عَرْشَ بِلْقِيسَ هُدْهُدٌ ... وخَرَّبَ فَأْرٌ قبلَ ذا سَدَّ مَأْرِبِ[2]

والعقارب القتالة تكون في موضعين، [بشَهْرَزُور][3] وبعَسْكَر مُكَرَّم[4]، [وهي][5] جَرَّارَات تَلسع فتقتل، وربما تَنَاثَر لَحْمُ من لسَعَتْه حتى لا يدنو منه أحد إلا وهو ممسك أنفه مخافة إعْدَائِه.

وبنَصِيبِين[6] عقاربُ قَتّالة يقال إن أصلَها من شَهرزور.

قال الجاحظ: وكان في دار نصر بن حجاج السُّلَمِي[7] عقارب إذا لسعت قتلت، فَدَبَّ ضيف لهم إلى بعض أهل الدار فضرَبَتْه عقرب في مذاكيره، فقال نصر:

---

(١) عمارة بن علي بن زيدان الحكمي المذحجي اليمني، مؤرخ ثقة، وشاعر فقيه أديب، ولد في زبيد باليمن ومات سنة ٥٦٩ هـ (ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن خلكان ٣/ ٤٣١ تحقيق إحسان عباس، ط: دار صادر، بيروت)

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر، عماد الدين الأصفهاني ٢/ ٥٢٧ تحقيق شكري فيصل، ط: المطبعة الهاشمية، دمشق ١٩٥٩م.

(٣) ساقط من ط، وشهرزور بلدة واسعة بين إِرْبِل وهمذان (ينظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي ٣/ ٣٧٥ ط: دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م)

(٤) مدينة كبيرة بقرب الأهواز شرقي العراق (ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار محمد بن عبد الله الحميري، تحقيق إحسان عباس، ط: مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠م)

(٥) ساقط من ط.

(٦) بلدة كانت تمر بها القوافل على طريق الموصل إلى الشام (ينظر: معجم البلدان ٥/ ٢٨٨)

(٧) نصر بن حجاج بن عِلاط السلمي، شاعر جميل من أهل المدينة، مات في خلافة عثمان رضي الله عنه (ينظر: الأعلام ٨/ ٢٢)

دَارِي إذا نَامَ سُكانُها أقَامَ الحدودَ بها العقربُ

إذا غَفَلَ الناسُ عن دِينهم فإنَّ عقاربَها تَضْرِبُ[1]

فدخل حَوَّاءٌ[2] إلى الدار فقال: هذه عقاربُ تُسْقَى من أسودَ سَالِخ[3]، ونظر إلى موضع في الدار فقال: احفروا ههنا، فحفروا فوجدوا أَسْوَدَين ذكرًا وأنثى.

وقال بعضهم: الجَرَّارة نوع من العقرب صغيرة الجسم لا يقوم ذنَبُها على جسمها كما تفعل العقارب، بل تجره على الأرض، ولذلك سُميت الجرارة، وهي توجد ببلاد المشرق.

وعن ذي النُّون المصري[4] رَحِمَهُ اللَّهُ أنه خرج يومًا لغسل ثيابه على شاطئ النيل فإذا بعقرب أقبلت كأعظم ما يكون، وإذا بضفدع قد خرج من الماء فاحتملها على ظهره وعَبَر، قال ذو النون: فعبرت خلفها في الماء إلى أن أتت الجانب الأخر وصَعَدَتْ وأنا أتبعها، إلى [أن][5] أتت شجرةً تحتها غلام نائم وهو سكران، وقد أقبل إليه تِنِّين[6]،

---

(١) الحيوان للجاحظ ٤/ ٣٦٥.

(٢) في ر: فدخلوا حوًّا، والحَوّاء: الحاوي، الذي يتعامل مع الحيات ويستخرجها (ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري، تحقيق حسين العمري وآخرين ٣/ ١٦٢٠ ط:دار الفكر المعاصر، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٩م)

(٣) الحية التي تسلخ جلدها كل عام (ينظر: لسان العرب، مادة: سلخ ٣/ ٢٢٦)

(٤) ثَوْبان بن إبراهيم الإخميميّ المصري، أبو الفيض، أحد الزهاد العباد المشهورين، نوبيّ الأصل من الموالي، كانت له فصاحة وحكمة وشعر، توفي سنة ٢٤٥ هـ (ينظر: تاريخ بغداد، أحمد بن علي، الخطيب، البغدادي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ٨/ ٣٩٠ ط: دا الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ)

(٥) ساقط من ر.

(٦) نوع من الحيات (ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٣٠٣)

فظَفرت[1] العقربُ ولزمت ذراع التنين حتى قتلَته ورجعت إلى الماء وعبرت على ظهر الضفدع إلى الجانب الآخر، فأنشأ ذو النون رَحِمَهُ اللَّهُ يقول:

يـــا راقـــدًا والجليـــلُ يحفظُـــه   مِـــن كلِّ ســـوءٍ يكـــون في الظُّلَـــمِ

كيـــف تنـــامُ العيـــونُ عـــنْ مَلِـــكٍ   تأتيـــكَ منـــه فوائـــدُ النعَـــمِ

فانْتبَه الفتى فأخبره ذو النون الخبر، فتابَ وسَاح.

وقال في ربيع الأبرار: زعموا أن أرض حِمْص[2] لا تَعِيش بها العقارب لطِلَّسْم، وإن طُرِحَت فيها عقربٌ غريبة ماتت من ساعتها[3].

وقالت العرب: «كنت أظنُّ أنَّ العقربَ أشدّ لسعةً من الزُّنْبُور فإذا هو هِي»[4]

وقالوا:

ومـــن لـــم يكـــنْ عقربًـــا يُتَّقَـــى   مَشَـــتْ بيـــن أثوابِـــهِ العقـــربُ[5]

وقالوا: «أَعْدَى مِن العقربِ»منَ العداوة، و«في النُّصْحِ لسعُ العقارب»، و«بَكَّرَتْ

(١) يقال: ظَفَر فلان في وَجْهِ فلان إذا غَرَزَ ظُفْره في لحمه فعقره (ينظر العين، الخليل بن أحمد ٨/ ١٥٨ تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت)

(٢) مدينة شامية كبيرة بين حلب ودمشق (ينظر: معجم البدان ٢/ ٣٠٢)

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، محمود بن عمر الزمخشري ٥/ ٤٣٩ ط: مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

(٤) الأمالي، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ص٢٤٠ تحقيق عبد السلام هارون، ط: دار الجيل، بيروت ١٩٨٧م.

(٥) لم أقف على قائله.

شَبْوَةُ تَزْبَئِرُّ[(١)]»، و«دَبَّت إلينا عقاربُهم»، و«سَرَت إلينا شَبَادِعُهُم»[(٢)]، و«تلدغُ العقربُ وتمضي»، يُضْرَب للظالم في صورةِ مظلومٍ ويشتكي ويزعم أنه ظُلِم.

وقال بعضهم:

إنْ عَـادَتِ العقـربُ عدْنَـا لهـا   وكانـت النَّعْـلُ لهـا حَاضِـرَة[(٣)]

ومِن كلام بعض البلغاء في رسالة: «ومَن ذا الذي يَلُومُ الأَرَاقِمَ على النَّهْشِ بالنَّاب، والعقاربَ على اللسع بالأذناب، وأَنَّى لها أن تُذَمَّ وقد أُشْرِبَت خِلْقَتُها السُّم؟»[(٤)].

ذِكْرُ الأحاديث الواردة فيها والآثار والرُّقَى:

أخرج ابن ماجة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لَدَغَتِ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقربٌ وهو في الصلاة فقال: «لعن اللهُ العقرب، ما تَدَع مصليًا ولا غير المصلي، اقتلوها في الحِلِّ والحرم»[(٥)].

[وأخرج][(٦)] الحاكم في تاريخه عن الضحاك بن قيس قال: قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) شَبْوَة اسم للعقرب، لا تدخلها الألف واللام، وتَزْبَئِرُّ: تنتفش (ينظر: مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميداني ١/ ١٠٠ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: دار المعرفة، بيروت)

(٢) الشَّبْدَعُ: العقرب (ينظر: مجمع الأمثال ١/ ٣٢٨)

(٣) البيت للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ت ٩٥هـ(الحيوان للجاحظ ٤/ ٣٦٦)

(٤) ينظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي ٤/ ٤٦٢ تحقيق مفيد قميحة، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

(٥) سنن ابن ماجة ١/ ٣٩٥ رقم ١٢٤٦، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، وصححه الألباني.

(٦) ساقط من ط.

من الليل يتهجد فلدغته العقرب في أصبعه [فقال: «لعن الله][1]العقرب، ما تكاد تَدَعُ أحدا» ثم دعا بماءٍ في قدحٍ فقرأ عليه قل هو الله أحد الله الصمد ثلاثا، ثم صَبَّه على أصبعه، ثم رُئِيَ بعد ذلك على المنبر عاصِبًا مِن لدغة العقرب[2].

[وقال ابن سعد][3] في الطبقات: أنبأنا هشام بن القاسم الكناني، حدثنا المسعودي عن القاسم قال: «لُسِعَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدعا بماءٍ ومِلحٍ ثم أَدْخَلَ يدَه فقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ رب الفلق وقل أعوذ برب الناس حتى ختَمَها» [4].

وأخرج أحمد في مسنده، وابن أبي حاتم وابن مَرْدَوَيْه في تفسيرهما من طريق خالد بن عبد الله بن حرملة، عن خالته قال: خطب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو عاصبٌ أصبعَه من لدغة عقرب، فقال: «إنكم تقولون لا عَدُوَّ لكم، وإنكم لا تزالون[5] تقاتلون عدوًّا حتى يأتيَ يأجوجُ ومأجوج» [6].

وأخرج الطبراني في المعجم الصغير عن علي رضي الله [تعالى][7] عنه [قال][8]:

---

(١) ساقط من ط.

(٢) حياة الحيوان ٢/ ١٨٨.

(٣) ساقط من ط.

(٤) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد البغدادي ٢/ ١٦٣ تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

(٥) في ت: لتزالون.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٢٧١ رقم ٢٢٦٨٧ تحقيق السيد أبو المعاطي النوري، ط: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، ومن هذا الموضع تبدأ النسخة هـ فما قبل ذلك ساقط كله من هذه النسخة.

(٧) ساقط من ز و ط.

(٨) ساقط من ط.

لدغتِ النبيَّ ﷺ عقربٌ وهو يصلي، فلما فرغ قال: «لعن الله العقرب، لا تدع مُصَليًا ولا غيره، ثم دعا بماءٍ وملح وجعل يمسح عليها ويقرأ قل يا أيها الكافرون وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس»[1].

وأخرج أبو نعيم في الطب النبوي عن علي كرم الله وجهه قال: لدغت النبيَّ ﷺ عقربٌ فقال: «لعنكِ اللهُ، لا تَدَعِين نبيًّا ولا غيره»، ثم دعا بماء وملح فجعل يمرسه عليها[2].

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، والمستغفريُّ في الدعوات، وأبو نعيم، والبيهقي في شعب الإيمان عن علي كرم الله تعالى وجهه ورضي عنه قال: بينما رسول الله ﷺ ذات ليلة يصلي فوضع يده على الأرض، لدغته عقرب، فتناولها رسول الله ﷺ بنعله فقتلها، فلما انصرف قال: «لعن الله العقربَ، لا تدع مصليًا ولا غيرَه، ولا نبيًّا ولا غيرَه»، ثم دعا بملحٍ وماءٍ فجعله في إناءٍ ثم جعل يصبه على أصبعه حيث لدغته ويمسحها ويقرأ قل هو الله أحد وبالمعوذتين[3].

[وفي رواية ابن مسعود رضي الله عنه: ثم دعا رسول الله ﷺ بإناءٍ فيه ماءٌ وملح فجعل يضع موضعَ اللدغة في الماء والملح ويقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق

---

(١) المعجم الصغير، سليمان بن أحمد الطبراني ٢/ ٨٧ رقم ٨٣٠، تحقيق محمد شكور، ط: المكتب الإسلامي، عمان، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

(٢) الطب النبوي،أبو نعيم الأصفهاني ٢/ ٥٥١ رقم ٥٧١ تحقيق مصطفى خضر، ط: دار ابن حزم، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

(٣) المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة ٥/ ٤٤ رقم٢٣٥٥٣ تحقيق كمال يوسف الحوت، ط: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

وقل أعوذ برب الناس حتى سَكَنَت[1]][2].

وأخرج ابن سعد في الطبقات، والباوَرْدِي في الصحابة عن جَبَلَةَ[3] بن الأزرق - [و][4]كان من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى إلى جانب جدارٍ كثير الحجارة، [ولفظ الباوردي[5]: وادٍ كثيرِ الأَحْجِرَة[6]][7]، صلى ظهرًا وعصرًا فلما صلى الركعتين جلس، فخرجت إليه عقربٌ فلدغته فغُشِيَ عليه، فَرَقَاه الناس[8]، فلما أفاق قال: «إنَّ الله شَفَانِي وليس برُقْيَتِكم»[9].

[وأخرج مسلمٌ وابنُ ماجة عن بُرَيْدَة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«لا رقيةَ إلا من عينٍ أو حُمَّةٍ»[10].

وورد من حديث عِمْرَان بن حُصَيْن أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والطبراني

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ١٦٩ رقم ٢٣٤٠ حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه عبد العلي عبد الحميد حامد،أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٢) ساقط من ت و هـ.

(٣) في ز: خالد بن الأزرق.

(٤) ساقط من ز.

(٥) في ز: الماوردي.

(٦) في ز: الأحجار.

(٧) ساقط من هـ.

(٨) في ت: فرقاه الله.

(٩) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٠١ رقم ٣٧٨٢.

(١٠) صحيح مسلم ١/ ١٣٦ رقم ٤٤٧ ط: دار الجيل، بيروت ١٣٣٤هـ.

في الكبير، والبيهقي من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه أبو داود والطبراني في الكبير، والحاكم، ومن حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه البزَّار، وقال ابن عبد البر في التمهيد[1]: «الحُمَّةُ لدغةُ العقرب»[2].

وأخرج أحمد عن أنسٍ قال: «رَخَّصَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرقية من العين والحُمَّة والحيات والعقارب»[3]][4]

وأخرج مسلم والحاكم وصححه واللفظ له عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل يقال له عمرو بن حَزْم - وكان يَرْقِي من الحية - فقال: يا رسول الله، إنك نهيت عن الرُّقَى وأنا أرْقِي من الحية، قال: «فقُصَّها عليّ»، فقصها عليه فقال: «لا بأس بهذه، هذه مواثيق»، قال: وجاء خالي - وكان يرقي من العقرب - فقال: يا رسول الله، أنا أرقي من العقرب، فقال:«من استطاع منكم أن ينفعَ أخاه فليفعل»[5].

وأخرج أحمد والأئمة الستة عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: بعثَنَا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سَرِيَّةٍ ثلاثين راكبا، فنزلنا بقومٍ من العرب فسألناهم أن يُضَيِّفُونا فأَبَوْا، فلُدِغَ سيدُهم، فقال:فأَتَوْنَا فقالوا: فيكم أحدٌ يرقي من العقرب؟ فقلت: نعم أنا،

(١) في ز: وأخرجه من حديث النسائي، أخرجه من حدث جابر، أخرجه عن ذاك ابن عبد البر في التمهيد.....

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد البر القرطبي ٢٣/ ١٥٨ تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ١٣٨٧ هـ.

(٣) مسند أحمد ٣/ ١١٨ رقم ١٢١٩٤ وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) ساقط من هـ.

(٥) صحيح مسلم ٧/ ١٩ رقم ٥٨٥٩ و٥٨٦١.

ولكن لا أفعلُ حتى تُعْطُونا شيئا، قالوا:فإنا نعطيكم ثلاثين شاة، فقال: فقرأتُ عليها الحمدَ سبعَ مرات فبَرِئ، [فلما برئ][1] وقبَضْنَا الغنمَ عَرَضَ في أنفُسِنَا منها، فكففنا حتى أتينا النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكرنا له ذلك له فقال:«أما عَلِمْتَ أنها رقية؟ اقْتَسِمُوها واضْربوا لي معكم بسهم»[2].

وأخرج مسلم عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لدَغَت رجلاً من الأنصار منا عقربٌ ونحن جلوس مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال رجل: يا رسول الله أَرْقِي؟ قال:«من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل»[3].

وأخرج أبو نعيم عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلًا منن الأنصار قال: أَفِي العقرب رُقية؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»[4].

وأخرج ابن أبي شيبة وابن ماجة وأبو نعيم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لُدغ رجل من الأنصار على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكروه للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه ما نام مِن لدغةٍ أصابته من عقرب، فقال:«أمَا إنه لو قالَ حين أَمْسَى: أعوذ بكلمات الله التامات كلِّها من شرِّ ما خلق لم تضره لدغةُ عقربٍ حتى يصبح»[5].

وأخرج مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله ماذا لقيتُ من عقربٍ لدغتني البارحة

---

(١) ساقط من ر و هـ.
(٢) مسند أحمد ٣/ ١٠ رقم ١١٠٨٥ وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.
(٣) صحيح مسلم ٧/ ١٨ رقم ٥٨٥٧.
(٤) الطب النبوي لأبي نعيم ٢/ ٥٥٤ رقم ٥٧٥.
(٥) الطب النبوي لأبي نعيم ٢/ ٥٥٥ رقم ٥٧٦.

فقال:«أما إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك» (١).

وأخرج أبو يَعْلَى في مسنده، وابن عدي في الكامل عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«من قال حين يصبح أعوذُ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثَ مراتٍ لم تَضُرَّه عقربٌ حتى يمسي، ومن قالها حين يمسي لم تضره حتى يصبح» (٢).

وأخرج أحمد، والترمذي وحَسَّنَه، والنسائي، وابن السُّنِّي في عمل اليوم والليلة، وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قال إذا أمسى ثلاث مرات أعوذ بكلمات الله التامات كلِّها مِن شر ما خلق لم تضره حُمَّة تلك الليلة» قال سُهَيل: فكان أهلنا قد تَعَلَّمُوها فكانوا يقولونها كلَّ ليلة، فلُدِغت جاريةٌ منهم فلم تجد لها ألما(٣).

وأخرج أحمد عن رجل مِن أَسْلَم أنه لُدِغ فذَكَر ذلك للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو أنك قلت حين أمسيتَ أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك»(٤).

وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وأبو نعيم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان في المدينة رجل يسمَّى أبا مذكور يرقي من العقرب وينفع الله بها، فقال رسول الله

---

(١) صحيح مسلم ٨/ ٧٦ رقم ٧٠٥٥.

(٢) نحوه في مسند أبي يعلى الموصلي ١٢/ ٤٤ رقم ٦٦٨٨ ط: دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، وقال حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

(٣) مسند أحمد ٢/ ٢٩٠ رقم ٧٨٨٥ وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) مسند أحمد ٨/ ١١ رقم ٧٨٨٥ وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أبا مذكور، ما رقيتك هذه؟ اعْرِضْها عليّ» فقال أبو مذكور: شَجَّة ملح قَرْنِيَّةٌ مُلْحَةُ بَحْرٍ قَفْطَا[١]، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنه لا بأس بها، إنما هذه مواثيق أخذها سليمان بن داود على الهوام»[٢].

قال محمد بن إسحاق الثقفي: زاد رجل في هذه الرقية: شجة قرنية ملحة بحر فقطا، وقفطية موسى مسها والمسيح يلبسها[٣] ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٤] قال محمد بن إسحاق: قرأت ما لا أُحْصِي من هذه الرقية على عقربٍ فوقفت.

وأخرج أبو نعيم[٥] من طريق إبراهيم بن علقمة عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذُكر عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقية الحية فقال: «اعْرِضوها علي» قال: فعرضوها عليه: بسم الله شجة قرنية، ملحة بحر فقطا، فقال: «هذه مواثيق أخذها سليمان بن داود على الهوام ولا أرى بها بأسا» قال: فلُدغ رجل وهو مع علقمة فرقاها بها فكأنما نُشِطَ من عِقَال.[٦]

وأخرج ابن السُّنِّي وأبو نعيم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن جبريل علمها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: هي بالرومية تقول: الحمد لله على الملدوغ، ثم يقول:

---

(١) قال صاحب مرقاة المفاتيح: «أَمَّا أَلْفَاظُهَا فَكَمَا ضَبَطْنَاهُ بِالْقَلَمِ عَلَى مَا سَمِعْنَا مِنْ أَفْوَاهِ الْمَشَايِخِ وَرَأَيْنَاهُ بِخُطُوطِهِمْ، وَأَمَّا مَعَانِيهَا فَلَا تُعْرَفُ، صَرَّحَ بِهِ الْعُلَمَاءُ، لَكِنَّهَا لَمَّا كَانَتْ مَعْرُوضَةً لَدَيْهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَازَ أَنْ يُرْقَى بِهَا.» (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري الهروي ٧/ ٢٨٦٨ ط: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م) قلت: والأقرب أن هذه الألفاظ سريانية.

(٢) الطب النبوي لأبي نعيم ٢/ ٥٥٢ رقم ٥٧٣.

(٣) في ت: والمسيح مسها.

(٤) إبراهيم ١٢.

(٥) في ز: وأخرج إبراهيم.....

(٦) الطب النبوي لأبي نعيم ٢/ ٥٥٣.

شجة زجة قرنية ملحة بحر فقطا، يرقي بها على السكين سبع مرات ويغرس السكين في الأرض[1].

وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن خالد قال: لما حمل نوح في السفينة ما حَمَل جاءت العقرب تحجل قالت: يا نبي الله أدخلني معك، قال: لا، أنت تلدغين الناس وتؤذينهم، قالت: لا، احملني معك فلك الله عليَّ أن لا أَلْدَغَ مَن يصلي عليك تلك الليلة[2].

وأخرج ابن عساكر عن أبي أُمَامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قال حين يمسي: صَلَّى الله على نوحٍ وعلى نوحٍ السلام لم تلدغه عقرب تلك الليلة»[3].

وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يلتقي الخَضِرُ وإِلْيَاسُ كل عام في الموسم، فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات» بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله، ما شاء الله، لا يصرف السوء إلا الله، ما شاء الله، ما كان من نعمة فمن الله، ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله «قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: من قالهن حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات آمنه الله تعالى من الغرق والحرق والسرق ومن الشيطان والسلطان ومن الحية والعقرب»[4].

وأخرج ابن سعد من طريق منصور بن المعتمر عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان قاعدًا في ناس من أصحابه فمر به

---

(١) الطب النبوي ٢/ ٥٥٠.

(٢) تاريخ دمشق، علي بن هبة الله ابن عساكر ٦٢/ ٢٥٧ تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، ط: دار الفكر، بيروت ١٩٩٥ م.

(٣) تاريخ دمشق ٥٢ / ٢٥٦.

(٤) تاريخ ابن عساكر ٩ / ٢١١.

الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهما صبيان فقال: «هاتوا بَنِيَّ حتى أعوذهما بما عَوَّذَ إبراهيم ابنيه إسماعيل وإسحاق، وضمهما إلى صدره ثم قال: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عينٍ لامَّة» وكان إبراهيم يقرأ مع هؤلاء الكلمات فاتحة الكتاب، وقال منصور: عَوِّذ بها فإنها تنفع من العين ومن كل وجع ولدغة، وقال: اكتبها[1].

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا غزا أو سافر فأدركه الليل قال: «يا أرض، ربي وربك الله، أعوذ بالله من شر كلِّ أسدٍ وأسودٍ وحيةٍ وعقرب، ومن [ساكني البلد][2] ومن شر والدٍ وما ولد»[3].

وأخرج الطبراني [وأبو عمر بن حَيَّوَيْه][4] في جزئه المشهور عن طَلْق بن علي قال: لدغتني عقرب فرقاني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومسح بيده[5].

[وأخرج مالك في الموطأ، وابن سعد في طبقاته عن نافع أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَقى من العقرب، ورُقي ابن[6] له واكتوى من اللَّقْوَة[7]][8].

وأخرج الحاكم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن لكل

---

(١) طبقات ابن سعد ١/ ٣٨٩.

(٢) في ز: ساحات الليل.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك١/ ٦١٥ رقم ١٦٣٧ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) في ز: أبو حسوب، وفي ر: بن حيوتة.

(٥) المعجم الكبير للطبراني ٨/ ٣٣٣ رقم ٨٢٤٤.

(٦) في ز: من له.

(٧) في ز: من اللوقة.

(٨) ساقط من هـ واللَّقوة داءٌ يَأْخُذ فِي الْوَجْه يعوجّ مِنْهُ الشِّدْق(ينظر: تهذيب اللغة ٩/ ٢٢٧)

شيء شرفا، وإن أشرف المجالس ما استُقبِل به القبلة، وإنكم تَجَالَسُون بينكم بالأمانة، واقتلوا الحية والعقرب في صلاتكم، ولا تستروا جُدُرَكم»[1].

وأخرج ابن أبي شيبة والحاكم وصححه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بقتل الأسودين في الصلاة الحية والعقرب[2].

وأخرج ابن أبي شيبة عن سليمان بن موسى قال: رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا يصلي جالسًا فقال له: «تُصَلِّي جالسا» فقال: إن عقربًا لسعتني، قال: «فإذا رأى أحدكم عقربًا وإن كان في الصلاة فليأخذ نعله اليسرى فيقتلها بها»[3].

وأخرج البزار في مسنده عن أبي رافع قال: بينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاته إذ ضرب شيئًا في صلاته، فإذا هي عقرب ضربها، وأمر بقتل العقرب والحية والفأرة والحِدَأَة للمحرم[4].

وأخرج أبو يعلى في مسنده والطبراني في المعجم الأوسط عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دخل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصلي فقام إلى جنبه، فصلى بصلاته، فجاءت عقرب حتى انتهت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم تركته فذهبت نحو علي فضربها بنعله حتى قتلها، فلم ير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتلها بأسا[5].

---

(١) الحاكم ٤/ ٣٠٠ رقم ٧٧٠٦، وقال الذهبي: «في سنده محمد بن معاوية كذبه الدارقطني فبطل الحديث».

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٣/ ٢٨٣ رقم ١٣٢٦٩.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٣/ ٥٧٣ رقم ٥٠٠٦.

(٤) مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو ٩/ ٣٣٠ رقم ٣٨٨٧ تحقيق مجموعة محققين، ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

(٥) مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي التميمي ٨/ ١٨٤ رقم ٤٧٣٩ تحقيق حسين سليم أسد، =

وقال عبد الرزاق في المصنف: عن الثوري عن منصور عن إبراهيم أنه كره أن تحرق العقرب بالنار لأنه مُثْلَة[1].

وقال ابن عبد البر في التمهيد: قال ابن وهب: أخبرني ابن سمعان قال: سمعت رجالًا من أهل العلم يقولون: إذا لُدغ الإنسان فنهشته حية أو لدغته عقرب فليقرأ الملدوغ بهذه الآية ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2] فإنه يعافَى بإذن الله تعالى[3].

وذكر في التمهيد أيضًا عن سعيد بن المسيب قال: بلغني أنه من قال حين يمسي: سلام على نوح في العالمين لم تلدغه عقرب[4].

وقال عمرو بن دينار إن مما أُخِذَ على العقرب ألا تضر أحدًا قال في ليل ولا نهار:سلام على نوح في العالمين[5].

وفي تفسير القشيري وغيره أن الحية والعقرب أتيا نوحًا فقالتا: احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحدًا ذَكَرَك، فمن قرأ حين خاف مَضَرَّتها ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩

= ط: دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، وقال حسين سليم أسد: إسناده ضعيف، وعند هذا الموضع تنتهي النسخة هـ.

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني ٥/ ٢١٣.

(٢) النمل ٨.

(٣) التمهيد لابن عبد البر ٢٣ ١٥٦.

(٤) التمهيد ١٢ / ٢٤١.

(٥) تفسير القرطبي، محمد بن أحمد ١٠ / ٣٧٠ تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى ١٩٦٤م.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝٨٠ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] ما ضرتاه[2].

وذكر الحافظ فخر الدين عثمان بن مجد التّوزِي قال: كنت أقرأ بمكة على الشيخ تقي الدين الحوراني وإذا بعقرب تمشي، فأخذها الشيخ بيده وجعل يقلبها في يده، فوضعت الكتاب من يدي، فقال: اقرأ، فقلت: حتى أَتَعَلَّمَ هذه الفائدة، فقال: هي عندك، قلت: ما هي؟ قال: ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «من قال حين يصبح وحين يمسي:بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم لم يضره شيء»[3]، وقد قلتُها أول النهار[4].

وفي رحلة ابن الصلاح رقية للعقرب ذَكر أن الإنسان يرقي بها فلا تلدغه، وإن لدغته لا تضره، وهي: باسم الله وباسم جبريل وميكائيل، كازم كازم ويزازم فتيز إلى مرن إلى مرن يشتامر ايشتامر اهوذا هوذا هى لمظا[5]، أنا الله الراقي والله الشافي[6].

وقال بعض العلماء المتقدمين: من قال في أول الليل وأول النهار: عقدت زُبَانَى[7]

---

(١) الصافات ٧٩، ٨٠، ٨١.

(٢) لم أقف عليه في تفسير القشيري، وهو في تفسير الثعلبي أحمد بن محمد الثعلبي ٥/ ١٧٠ تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

(٣) مسند أحمد ١/ ٦٢ رقم ٤٤٦ وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٤) حياة الحيوان ٢/ ١٩٣.

(٥) أغلب الظن أن هذه الرقية من كلام السريان.

(٦) حياة الحيوان ٢/ ١٩١.

(٧) في ر: زبائن، وزُبَانَى العقرب: قَرْنَاها، وهُما زُبَانَيانِ، كأَنَّها تَدْفَعُ بهما(ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، علي بن سيدة ٩/ ٦٤ تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م)

العقرب ولسان الحية ويد السارق، ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله أَمِنَ من العقرب والحية والسارق[1].

وقال الكمال الدميري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «من الرقى المجربة النافعة أن يَسْأل الراقي إلى أين انتهى أعلى الوجع من العضو، فيضع على أعلاه حديدة ويقول العزيمة ويكررها وهو يجرد موضع الألم بالحديدة حتى ينتهي إلى أسفل الوجع،فإذا اجتمع الوجع في أسفله جعل يمص ذلك الوجع حتى يذهب جميع الألم، ولا اعتبار بفتور العضو بعد ذلك»[2].

كذا رأيت هذه الزيادة في حرف الحاء من كتاب حياة الحيوان للكمال الدميري بعد نقل ما تقدم للمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي هذه: سلام على نوح في العالمين، وعلى محمد في المرسلين، من حاملات السم أجمعين، لا دابة بين السماء والأرض إلا وربي آخذٌ بناصيتها أجمعين،كذلك نجزي المحسنين، إن ربي على صراط مستقيم، نوح نوح، قال لكم نوح مَنْ ذَكَرَنِي لا تلدغوه، إن ربي بكل شيء عليم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[3].

[4]ذِكْرُ فوائدَ ونوادرَ منثورة في عجائب المخلوقات:

---

(١) حياة الحيوان ٢/ ١٩٢.

(٢) حياة الحيوان ١/ ٣٩٤.

(٣) حياة الحيوان ١/ ٣٩٤.

(٤) من هذا الموضع إلى النهاية من إضافات الناسخ كما سيذكر آخره، وهو ساقط من ز، وفي آخر النسخة ز: «وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله وحده»، وساقط أيضًا من ت، وفي خر النسخة ت: «تم ذلك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم»

إذا عُلِّقَ شيءٌ من عروق شجر الزيتون على مَن لسعته العقرب برأ من وقته[1].

وفي مفردات ابن البيطار خاصية حَبِّ الأُتْرُجّ النفع من لدغ العقارب، يشرب منه مثقالًا مقشرًا بماء فاتر، وإن دُق ووضع على موضع اللدغة كان نافعًا لها، وعصارة ثمر الآس لمن عضته ال...[2]..ولمن لسعته العقرب.

ومما يوافق لسعة العقرب ورق البَاذَرَنْجَوَيْه[3]، وهو الريحان الأترجي ضِمَادا، وكذا طبيخُه صَبًّا، وخاتم البَازَهْر[4] وضعًا على موضع اللدغة.

وقال أحمد بن يوسف: حجر البازهر نافع من سم العقرب إذا لبس في خاتم ذهب ونقشت فيه صورة عقرب والقمر في العقرب في وتدٍ من أوتاد الطالع ثم طُبع به في كندر ممضوغ والقمر في العقرب.

قال ابن البيطار: والبصاق كُلُّهُ عامةً ضدٌّ للحيوانات القاتلة للإنسان بلسعها ونهشها عامة، وهو يقتل العقرب، وذكر مما ينفع لدغ العقارب دِهْن البَلَسَان وأكل البندق مع التين والسَّذَاب وتعليق..[5].. في العضد، وتقطير لبن التين البري والبستاني على موضع اللسعة، وأكل الثوم وبزر الحُمَّاض، وشرب لبن الخس، والتلطخ بالخِطْمِي مع زيت وخل، وشدخ الخنفساء وربطها على اللسعة.

---

(١) عجائب النباتات والمخلوقات، عمر بن مظفر بن الوردي ص٢٠ تحقي نور محمود زناتي، ط: جامعة عين شمس، القاهرة.

(٢) مطموسة في ر.

(٣) نبتة عطرية لها زهر يميل إلى الحمرة، وهي ربيعية وصيفية (ينظر: تذكرة داود الأنطاكي ١/ ٦٦).

(٤) نوع من الأحجار منه حيواني ونباتي، يسحق ويوضع على لدغة العقرب (ينظر: مطالع البدور ومنازل السرور، علي بن عبد الله الغزولي ص٢٢٥ ط: مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٦٦م)

(٥) كلمة مطموسة.

ورأيت في مجموع لأبي الحسين أحمد بن الرشيد بن الزبير: من طلى يديه بدهن الفجل وأمسك عقربًا أو غيرها من الهوام لم تضره، وإن ألقيت فجلًا بعد أن تمضغه على عقرب ماتت لوقتها، ومن بخر بزرنيخ أحمر وسمنِ بقرٍ أو شحمها البيتَ هرب منه العقارب وسائر الهوام، والعُصْفُر البري - وهو زهر المرار، وهو شوك الجمال - إذا دُق طريًّا وسقي منه مَن لسعته العقارب والحيات والأفاعي مِثقالًا نفع.

وفي كتاب الفلاحة: إن رَكِبَ ملسوعُ العقربِ حماراً وجعل وجهه إلى ذنبه صار الوجع فيه.

قال: وإن تقدم إلى أذن الحمار وقال: إني لدغت، ذهب الوجع.

وقال بعضهم مُلْغِزًا في عقرب:

ومـا حَـدُّهُ قَـد يَتَّقِـي النـاسُ شـرَّهُ ... عَلَـى أنـه وَاهِـي القُـوَى وَاهِـزَ البَطْشِ

فـإنْ ضَاعَفُـوا نصـفَ اسـمِهِ كان طائـرا ... وإنْ ضاعفوا باقِيه كان مِن الوَحْشِ[1]

وقال عز الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز الحلبي المعروف بابن العجمي[2] مُلغزًا في العقرب:

ومـا اسـمٌ رُبَاعِـيٌّ إذا مـا عَدَدْتَـه ... تـراه بـلا شـكٍّ يزيـد علـى عَشْـرِ

لــه منــزلٌ إنْ شـئتَ في أَبْـرُجِ السَّـمَا ... ومَنْزِلُـه في الأرض بـادٍ لـذي حجْـرِ

(١) لم أقف عليه.

(٢) محمد بن أحمد (كمال الدين) بن عبد العزيز، عز الدين ابن العجمي، كاتب، من أهل حلب، درّس في عدة مدارس بالقاهرة وغيرها، وخلف أباه في كتابة الإنشاء، ومات سنة ٦٧٣هـ (ينظر: الأعلام ٥/ ٣٢٢)

ومعكوسُهُ سِتْرٌ إذا ما رفَعْتَه رأيتَ جَمالًا جَلَّ بَارِيهِ كالبدرِ

وتصحيفُه أَرْجُوهُ مِن خالقِ الوَرَى يَمُنُّ به قولًا إذا خِفْتُ مِنْ وِزْرِي[1]

وفي تاريخ اليافِعِي في حوادث سنة تسع وخمسمائة أن بعض الملوك قال له منجموه إنه يموت في الساعة الفلانية من يوم كذا في سنة كذا من عقرب تلدغه، فلما كان قبل الساعة المذكورة تجرد من لباسه وركب فرسًا بعد أن غسله ونظفه وسرح شعره ودخل به إلى البحر خوفًا مما ذكر، فبينما هو كذلك إذ عطست فرَسُه فخرج من أنفها عقرب فلدغته فمات[2].

وفي تاريخ الصلاح الصفدي عن أبي الحسن علي بن محمد بن بسام البغدادي قال: كنت أتعشق خادمًا لخالي أحمد بن حمدون، فقمت يومًا لأدب إليه، فلما قربت منه لسعتني عقرب فقلت لوقتي:

ولقد سَرَيْتُ مع الظلام لموعدٍ حَصَّلْتُه مِن غادرٍ كذابِ

فإذا على ظهرِ الطريق مُعَدَّةٌ سوداءُ قد عَرَفَتْ أَوَانَ ذَهَابِي

لا بارَكَ الرحمنُ فيها عَقْرَبًا دَبَّابَةً دَبَّتْ عَلَى دَبَّابِ[3]

وفي تذكرته حكى المبرد عن إسحاق بن الفضل الهاشمي قال: كانت لي جارية وكنت شديد الوجد بها، وكنت أهاب ابنة عمي، فقمت إليها فضربتني عقرب في

---

(١) الوافي بالوفيات للصفدي ٢/ ٧٤.

(٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي ٣/ ١٥٢ وضع حواشيه خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

(٣) مطالع البدور للغزولي ص٣١٤.

طريقي، فرجعت وأنا أتأوه، فانتبهَت ابنة عمي وسألتني عن حالها فأخبرتها فضحكت وأنشدت:

وداري إذا نـــام ســـكانُها ... تُقِيـمُ الحـدودَ بهـا العقـربُ

إذا رامَ ذو حاجـــةٍ غفلـــةً ... فـــإنَّ عقارِبَهـــا تَرْقُـــبُ

ثم دعت جواريها وقال: عزمت عليكن أن لا تقتلن عقربًا بقية هذه السنة[1].

وقال أبو محمد عبد الجبار بن حَمْدِيس[2] الصقلي يصف العقرب:

ومُشْـرِعَةٍ بالمـوت للطعـن صَعْـدَةً ... فـلا قِـرْنَ إنْ نادتْـه يومـًا يجيبُهـا

تُذِيـقُ الذُّعَـافَ السُّـمَّ في وخـزِ إبـرةٍ ... إذا لَسَـعَت، مـاذا يُلَاقِـي لَسِـيعُها[3]

إذا لـم يكـن لـونُ البَهَـارَةِ لَوْنُهـا ... فَمِـنْ يَرَقَـانٍ دَبَّ فيهـا شُـحُوبُها

لهـا صـورةٌ خُصَّـت بمنكـرِ صُـورَةٍ ... تَـرَى العيـنُ منهـا كلَّ شـيءٍ يُرِيبُهـا

وقـد نَصلَـت للطعـن مَحْنِـيَّ أَسْـمَر ... بشـوكة عُنَّـابٍ قَتيـل[4] زَبِيبُهـا

ولـم تـر عيـن قبلهـا سَـمْهَرِيَّةً ... مُنَظَّمَـةً نظـمَ الفريـد كُعُوبهـا[5]

---

(١) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧/ ٥١ تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م.

(٢) في ر: ابن خميس، وهو عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي، شاعر مبدع، ولد وتعلم في جزيرة صقلّيّة، ورحل إلى الأندلس سنة ٤٧١ هـ فمدح المعتمد بن عباد، ومات سنة ٥٢٧هـ (ينظر: وفيات الأعيان ١/ ٣٠٢).

(٣) في ر: بنسيبها.

(٤) كلمة ساقطة من ر، والتكملة من الديوان.

(٥) ديوان ابن حمديس الصقلي ص٦١ ط: دار صادر، بيروت ١٩٩٩م.

وقال أبو مروان عبد الله بن سرية البَلَنْسِي[1]:

دَبَّ العِذَارُ بخدِّهِ لمَّا انْثَنَى ... لما دَنى مِن لثمِ فيه الأَشْنَبِ

لا غَرْوَ إنْ خَشِيَ الرَّدَى في لَثْمِه ... فالريقُ سمٌّ قاتلٌ للعقربِ[2]

قال صاحب المغرب: وقد ذكروا أن من خواص ريق الإنسان أنه يقتل العقرب، وهو مجرب[3].

وقال ابن حمديس[4].

يا ليل هل لنهاري فيك إشراقُ ... وقد نَفَى النومَ عن عينيَّ إِبْرَاقُ

عساكرُ البَقِّ تجري فيك زاحفةً ... كما تَبَدد وسط البيت سُمَّاقُ

من عقربٍ فمُها قد حازَ إبرتَها ... كأنما لَدغُها بالنار إحراقُ[5]

وقال أبو تمام[6]:

فيا أيها السّاري اسْرِ غَيرَ مُحاذر ... جَنانَ ظلامٍ أوْ ردىً أنتَ هائبُهْ

---

(١) بل البيتان لأبي الصلت الداني، أمية بن عبد العزيز ت ٥٢٩هـ.

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى العمري٩/ ٥٧٠، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة الأولى ١٤٢٣م.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في ر: حمدين.

(٥) ديوان ابن حمديس ص٤٣.

(٦) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام، الشاعر الأديب المصنف، أحد أمراء البيان، ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر، وتوفي في الموصل سنة ٢٣١هـ (ينظر: خزانة الأدب للبغدادي ١/ ١٧٢)

فقـدْ بَـتّ عبـدُ الله خـوفَ انتقامـهِ ... علـى اللّيـل حتـى مـا تَـدِبُّ عقاربُـهْ[1]

وقال الحسن بن رشيق[2] يخاطب علي بن أبي الرجال[3] الكاتب وقد لدغته عقرب:

لا مَسَّـنَا السـوءُ بعدهـا بيـدٍ ... فيـك ولا زِلْـتَ وَافِـيَ العـددِ

فمـا أنـتَ يـا علـيُّ فِـدَا ... عينـي عـدو العُـلَا وذِي الحَسَـدِ

إن الـذي قـد شـكوتَ مِـن حُمَّـةِ الـ ... عقـربِ جـزءٌ ممـا شَـكَت كَبِـدِي

ولـم يصبنـي الـذي أُصِبْـتَ بـه ... وحـدي ولكـن لـم يَبْـقَ مِـن أَحَـدِ

عجبـتُ منهـا عَـدَتْ علـى رجـلٍ ... فيـه رُقَـى الأُفْعُـوَان والأسـد

مـا ذاك إلا شـيءٌ وُقِيـت بـه الـ ... عيـنُ تدبيـر واحـدٍ صمـد

بلغـتَ أقصـى الـذي قد..[4]..بـلا ... نقـصٍ ولـو صَـحَّ لقلـتُ زِدِ

...[5]..ذنـب وأَجْـرُ آخِـرَةٍ ... حسـبُكَ مـا قـد ابتُلِينـا وقَـدِ

---

(١) لم أقف عليه في ديوان أبي تمام، وهو في الحماسة المغربية، أحمد بن عبد السلام الجرّاوي ١/ ٣٢٨تحقيق محمد رضوان الداية،الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة الأولى١٩٩١م.

(٢) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، أديب باحث مصنف، ولد بالمغرب، ورحل إلى القيروان واشتهر بها، ومات سنة ٤٦٣هـ في صقلية (ينظر: وفيات الأعيان ١/ ١٣٣)

(٣) علي بن أبي الرجال الشيباني، أبو الحسن المغربي القيرواني، عالم بالفلك، منجم، رياضي، مولده بفاس وإقامته في القيروان، مات سنة ٤٣٢هـ(ينظر: الأعلام ٤/ ٢٨٨)

(٤) كلمة مطموسة في ر.

(٥) كلمة مطموسة في ر.

والحمـــــد لله أيّ سَـــــــــابِغَةٍ   مِـــن نِعَـــمِ الله عنـــديَ الجُـــدُدِ[1]

وأخرج الزبير بن بكار في في الموفقيات، والديلمي في مسند الفردوس عن علي كرم الله تعالى وجهه ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن المُسُوخ فقال: «هم ثلاثة عشر: الفيل والدب والخنزير والقرد والجِرِّيث[2] والضب والوطواط والعقرب والدُّعْمُوص[3] والعنكبوت والأرنب وسهيل والزهرة» فقيل: يا رسول الله وما سبب مسخهن؟ قال: «أما الفيل فكان رجلًا جبارًا لوطيًّا لا يدع رطبًا ولا يابسًا، وأما الدب فكان مؤنثًا يدعو الرجال إلى نفسه، وأما الخنزير فكان من النصارى الذين سألوا المائدة، فلما نزلت كفروا، وأما القرد فيَهُودٌ اعتدوا في السبت، وأما الجريث فكان ديوثًا يدعو الرجال إلى حليلته، وأما الضب فكان أعرابيًّا يسرق الحجاج بمِحْجَنِه، وأما الوطواط فكان رجلاً يسرق الثمار من رؤوس النخل، وأما العقرب فكان لا يسلم أحد من لسانه، وأما الدعموص فكان نمّامًا يفرق بين الأحبة، وأما العنكبوت فامرأة سحرت زوجها، وأما الأرنب فامرأة كانت لا تطهر من الحيض، وأما سهيل فكان عشارًا باليمن فمسخه الله شهابا، وروي أن رسول الله صلى الله عليه سلم كان إذا رآه يلعنه، وأما الزهرة فكانت بنتًا لبعض ملوك بني إسرائيل، افتتن بها هاروت وماروت فمسخها الله شهابا»[4].

---

(١) لم أقف على الأبيات.

(٢) نوع من السمك (ينظر: العين ٦/ ٩٨)

(٣) دابة سوداء تكون في غدران الماء (ينظر: تهذيب اللغة ٢/ ١١٤٨)

(٤) كنز العمال للهندي ٦/ ١٧٨ رقم ١٥٢٥٤وقال ابن الجوزي في الموضوعات: هَذَا حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ على رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ينظر: الموضوعات ١/ ١٨٦ تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٩٦٦م)

وقال محمد بن يوسف الشيرازي[1] المعروف بالحكيم في نظم ذلك مع زيادات أخر:

يـا سـائلي عـن نبـأ المَمْسُـوخِ	مـن قـول ذي البيـان والرسـوخِ
أُنْبِيـكَ عـن أحوالهـا فاسـتمعِ	ومنتهَـى أعدادِهـا تنتفـعِ
قـد مسـخَ الله مـن ابـنِ آدَمَـا	عشـرينَ صنفًـا رَكِبُـوا المَآثِمَـا
الكلـبُ والعقـربُ والخنزيـر	والـدب والقنفـد والزنبـور
والفيـل والسـهيل والقمـري	والليـث والخَفَافِـشُ الـبري
والزهـرة الزهـراء ثـم العَقْعَـقُ	والعنكبـوت الفَاخِـتُ المُطَـوَّقُ
والقـرد والضـب مـع ابـن عُـرْس	وفـأرة مـع ابـن آوَى النجـسِ
رماهـم الحرمـان بالخـذلان	لمـا جَـرَوا في طاعـة الشـيطان
فالفيـل كان عاصيًـا لربـه	بأكلِـه الرِّبَـاء ثـم حُبِّـه
ثـم السـهيلُ كانَ عَشَّـارَ اليمـنْ	تـراه في أفـقِ السـماء كالوَثَـنْ
والليـث كان واعظًـا شـريرا	والقـرد قـومٌ خالَفُـوا الزَّبُـورا
ومـؤذيَ الجـارِ تَـرَى الزنبـورا	وإبْـنُ عـرسٍ نَبَّـشَ القبـورا
إنَّ ابـنَ آوَى قـد عَـدا في النفـخِ	وكان قَصَّابًـا رُمِـي بالمسـخ
وفي الخفافيـش أَخِـي فاعْتَبِـرَا	كُـنَّ نسـاءً لـم تُـوَارِ الطُّـرَرَا

(١) لم أقف عليه.

والضَّبُّ كان يقتلُ الحُجَّاجَا ... والدب كان يفسد الفِجَاجَا

والعنكبوت عَصَتِ الأزواجا ... وخالَفَتْ سادَاتِها لَجَاجَا

وفي الخنازير اعتَبِرْ فإنها ... خالفَتِ المسيحَ ما كان نَهَى

وكانت الفأرة قِدَمًا نَائِحَة ... تفسدُ بالنَّوْحِ القلوبَ الصالحة

يا أيها الإنسان لا تَحْتَكِرُ ... وانْظُرْ إلى القُمْرِيِّ كيف تُبْصِرُ[1]

وجدت هذه الفائدة ونقلت من أصلٍ بخط العلامة العمدة الفهامة سيدي عبد القادر المرشدي المالكي، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولكل المسلمين أجمعين، ونقلت هذه الفائدة لما اشتملت عليه من الزوائد التي خلا عنها هذا المؤلَّف، غفر الله لنا ولمؤلفه ولقارئه ولمالكه ولكل المسلمين أجمعين[2].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وعِتْرته وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا أبدًا إلى يوم الدين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.



---

(١) السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير، علي بن أحمد بن نور الدين العزيزي ٣/ ٣٥٥ ط: المطبعة الخيرية، القاهرة ١٣٠٤هـ.

(٢) في ط بعد هذه الفقرة أبيات شعر لم أتبين منها شيئًا لشدة الرداءة وشيوع الطمس في هذه النسخة.





قِصَّةُ حَدَثَتْ في مجْلِسِ الحَجَّاجِ الثَّقَفِيّ

أبو عبد الله الكرخي



مقدمة

الحمد لله وحدَه، والصلاة والسلام على مَن لا نبيَّ بعده، ورضي الله عن آل بيته وأصحابه والتابعين ومن سار على دربهم إلى يوم الدين....

فهذه رسالةٌ لطيفة تروِي قصةَ مناظرةٍ جرت في مجلس الحجاج بن يوسف الثقفي مع شاب، رواها أبو عبد الله الكَرْخِي، ولنا مع صحة هذه المناظرة ومع راويها ثلاثَ وقفات:

الأولى: أنني - على طول البحث - لم قف على مَن ذَكَر هذا الكتاب أو نسبه للكرخي المذكور، وكل ما هنالك أنني وجدت هذه المخطوطة اللطيفة الوحيدة في مكتبة جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، تحت رقم ٤٨٦٤ (الشعائر والتقاليد) وهي نسخة حسنة خطها معتاد، وهي أربع لوحات، في كل لوحة صفحتان، وعدد الأسطر في كل صفحة ٢١ سطرًا تقريبا.

الثانية: أنَّ كثيرًا من الشيعة قد أردوا هذه المناظرة في كتبهم، ولكنهم أضافوا عليها - كعادتهم- ما ليس منها، حيث ذكروا أن الشاب المذكور هو الباقر محمد بن علي زين العابدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ [1] وهو أمر باطل قطعا، فلو افترضنا أن هذا الخبر جرى في أول سنةٍ من سنوات تَوَلِّي الحجاج أمر العراق فإن الحجاج بدأت ولايته على العراق ما بين سنة٧٥ هـ وسنة ٧٨هـ، وحينها كان الباقر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد تجاوز العشرين من عمره، لأنه ولد سنة٥٧هـ، كيف يكون غلامًا صغيرًا في مجلس الحجاج؟!.

---

(١) جامع أحاديث الشيعة، إسماعيل المعزي الملايري ٢/ ٤٦، ط: مطبعة المهر، قم، إيران ١٣٧٢هـ.

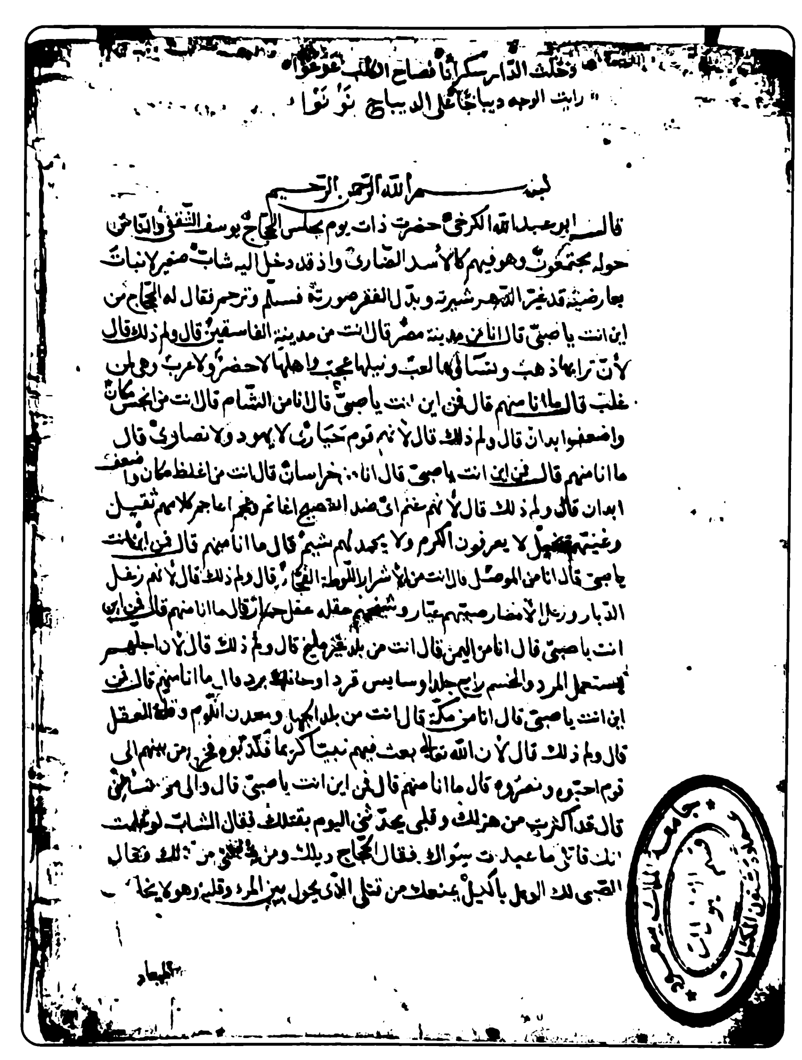
الثالثة: أنني فتشت كتب التراجم والطبقات والتاريخ فلم أقف على من يسمى (أبو عبد الله الكرخي)، غير أنني وقفت في تاريخ بغداد[1] على مَن سماه:أَحْمَد بن الحَسَن بن أَحمَدَ، أَبُو عَبْد الله المعدل الكرخي، وذكر أنه مؤدب وأنه من رواة الأحاديث، وأنه توفي سنة اثنتين وثلاثمائة، ولا أظنه هو، فإن أحدًا لم ينسب إليه هذا الكتاب، كما أنه - مما ذُكِر عنه - من رواة الأحاديث الموَثَّقين، فلا أظنه يروي مناظرة كهذه لا سند لها.

ومجمل القول أنني أوردتُ هذه المناظرة للطفها وبديع ما فيها من أدب، فلينظر القارئ إليها نظرتَه لأخبار الأدب وقصائد الشعر وسير الشعراء، لكن الأمانة العلمية اقتضت أن أشير إلى أنها لا سند لها.

والحمد لله أوله وآخره.



(١) تاريخ بغداد ٥/ ١٣٧.



وخلت الدار سكرانا فصاح القلب غوغواه
رأيت الوجه ديباجا على الديباج نونوا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابو عبدالله الكرخي حضرت ذات يوم بمجلس الحجاج يوسف الثقفي والناس
حوله مجتمعون وهو فيهم كالأسد الضاري واذ قد دخل اليه شاب صغير لا نبات
بعارضيه قد غير الدهر بشرته وبدل الفقر صورته فسلم وترحم فقال له الحجاج من
اين انت يا صبي قال انا من مدينة مصر قال انت من مدينة الفاسقين قال ولم ذلك قال
لأن ترابها ذهب ونساءها لعب ونيلها عجب واهلها لا حضر ولا عرب وهي لمن
غلب قال ما انا منهم قال فمن اين انت يا صبي قال انا من الشام قال انت من انجس مكان
واضعف ابدان قال ولم ذلك قال لأنهم قوم حيارى لا يهود ولا نصارى قال
ما انا منهم قال فمن اين انت يا صبي قال انا من خراسان قال انت من اغلظ مكان واضعف
ابدان قال ولم ذلك قال لأنهم غتم اي ضد الفصيح اغاتم عجم اعاجم كلامهم ثقيل
وغنيهم بخيل لا يعرفون الكرم ولا يحمد لهم شيم قال ما انا منهم قال فمن اين انت
يا صبي قال انا من الموصل قال انت من الاشرار اللوطة الفجر قال ولم ذلك قال لأنهم رجال
الدبار ورجال الامضار صبيتهم عيار وشيخهم عقله عقل حمار قال ما انا منهم قال فمن اين
انت يا صبي قال انا من اليمن قال انت من بلد غير مليح قال ولم ذلك قال لأن اجلهم
يستعمل المرد والخسم [illegible] جلدا وسايس قردا وحائك برد قال ما انا منهم قال فمن
اين انت يا صبي قال انا من مكة قال انت من بلد الجهل ومعدن اللؤم وقلة العقل
قال ولم ذلك قال لأن الله تعالى بعث فيهم نبيا كريما فكذبوه وفر من بينهم الى
قوم احبوه ونصروه قال ما انا منهم قال فمن اين انت يا صبي قال وإلى من نسبتني
قال قد اكثرت من هزلك وقلبي يحدثني اليوم بقتلك فقال الشاب لو علمت
انك قاتلي ما عبدت سواك فقال الحجاج ويلك ومن [illegible] من [illegible] فقال
الصبي لك الويل بالكيل يمنعك من قتلي الذي يحول بين المرء وقلبه وهو لا يخاف

الصفحة الأولى من المخطوط

[illegible] قد ضلع [illegible] عمرنا [illegible] لنا شيء من الذي [illegible]
[illegible] والعطل قد مات [illegible]

جاءت سليمان هامة فقالت السلام عليكم يا نبي الله قال سليمان عليه السلام يا هامة اخبريني انت لم لا تاكل
الزرع قالت يا سليمان ان آدم عصى ربه بسبب ذلك فمن اجل ذلك لا اكل الزرع فقال سليمان يا هامة كيف
لم تشربي الماء قالت يا سليمان ان الله تعالى اغرق قوم نوح بالماء ومن اجل ذلك تركت شرب الماء قال سليمان يا هامة
كيف تركت العمارة وسكنت الخراب قالت يا سليمان كل عمارة تصير خرابا فمن اجل ذلك تركت العمارة واخترت
الخراب قال سليمان يا هامة فما صياحك اذا جلست في الخراب قالت يا سليمان اقول [illegible] لبني آدم
كيف ينام شديدا قال سليمان يا هامة ما تقولين اذا مررت على بيوت الناس قالت يا سليمان اقول
اين الذين يرعون ويفتخرون بنعمهم واموالهم وهم اليوم مغبونون وناعسون في قبورهم قال سليمان
يا هامة فما صياحك اذا جلست على بيوت الناس قالت يا سليمان اقول تزودوا فان خير الزاد [illegible]
[illegible] لبعد سفركم قال سليمان يا هامة كيف لا تخرج بالنهار قالت يا سليمان من [illegible]
على انفسهم من ذلك لا اخرج بالنهار قال سليمان ثم يرمون الخلايق بالحصان على خلقك قالت يا سليمان
فانا ناصح لهم وهم يحسبون لا يجيبون الناصح قال سليمان سبحان من خلق النور والطيور يا ابن آدم [illegible]
منها هذه النصيحة وازجروا [illegible] واتركوا اذا [illegible] ليس [illegible] الفضل عند الله [illegible] انتهى
خلق الانسان من اربعة عشر شيئا اربعة من الاب واربعة من الام وستة من خزائن الله تعالى
اما الاربعة التي من الاب الجلد والعظم والعصب والعروق واما الاربعة التي من
الام والشحم والشعر والدم [illegible] واما الستة التي من خزائن الله تعالى السمع والبصر والشم
والذوق والحس [illegible] نقل من [illegible] عن الاوراد الامام فخر الدين الرازي [illegible]
ارسله بالتحرير الى السلطان غياث الدين [illegible] واضرب على هذه الاوراد بالاخلاص [illegible]
[illegible] يا رفيع الدرجات وقضاء الحاجات وتحصيل مقاصد الدنيا والاخرة [illegible]
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين يوم الاحد مائة مرة لا اله الا الله الملك الحق المبين
[illegible] مرة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد [illegible] سلم [illegible] ابراهيم [illegible]
[illegible] مائة مرة سبحان الاول المبدئ سبحان الاول سبحان من لم يبق [illegible] سبحانه
[illegible] سبحانه وتعالى يوم الخميس مائة مرة لا اله الا الله خالق كل شيء وهو على كل شيء [illegible]
[illegible] الجمعة مائة مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
[illegible] ان [illegible] امتثالا لامر [illegible]
[illegible]

اللوحة الأخيرة من المخطوط

قِصَّةُ حَدَثتْ في مجْلِسِ الحَجَّاجِ الثَّقَفِيّ

أبو عبد الله الكرخي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال أبو عبد الله الكرخي: حضرتُ ذات يومٍ مجلسَ الحجاج بن يوسف الثقفي والناس حوله مجتمعون، وهو فيهم كالأسد الضَّارِي، وإذ قد دخل إليه شابٌّ صغير لا نباتَ بِعَارِضَيْه، قد غيرَ الدهرُ شِرَّتَه[1]، وبدَّلَ الفقرُ صورته، فسَلَّمَ وتَرَحَّم، فقال الحجاج: مِنْ أين أنت يا صبي؟ قال: أنا من مدينة مصر، قال: أنت من مدينة الفاسقين، قال: ولِمَ ذلك؟ قال: لأنَّ ترابَها ذهب، ونساؤها لُعَب، ونِيلُهَا عَجَب، وأهلها لا حضرٌ ولا عرب، وهي لِمَن غَلَب، قال: ما أنا منهم، قال: فمِن أين أنت يا صبي؟ قال: أنا من الشام، قال: أنت من أنجسِ مكانٍ وأضعفِ أبدان، قال: ولم ذلك؟ قال: لأنهم قوم حَيَارَى، لا يهودٌ ولا نصارى، قال: ما أنا منهم، قال: فمِن أين أنت يا صبي؟ قال: أنا من خُرَاسان، قال: أنت من أَغْلَظِ مكان وأضعف أبدان، قال: ولم ذلك؟ قال: لأنهم غَنَمٌ أَغَانِم[2]، وعَجَمٌ أعاجم، كلامهم ثقيل، وغَنِيُّهُم بخيل، لا يعرفون الكرم، ولا تُحمد لهم شِيم، قال: ما أنا منهم، قال: فمن أين أنت يا صبي؟ قال: أنا من المَوْصِل، قال: أنت من الأشرار، اللَّوَطَة الفجار، قال ولم ذلك؟ قال: لأنهم زَغَلُ[3] الديار، وزغل

(١) الشِّرَّةُ: النشاط والعنفوان (ينظر: الفائق في غريب الحديث والأثر، محمود بن عمر الزمخشري ٢/ ٢٣٤ تحقيق علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة - لبنان، الطبعة الثانية)

(٢) جمع مثل غنم وأغنام، ولكنه جمع على غير قياس

(٣) الزغل: الغِشُّ (ينظر: المعجم الوسيط ١/ ٣٩٥)

الأمصار، صبيهم عَيَّار، وشيخهم عقلُه عقلُ حمار، قال: ما أنا منهم، قال: فمن أين أنت يا صبي؟ قال: أنا من اليمن، أنت من بلدٍ غيرِ مَلِيح، قال: ولم ذلك؟ قال: لأن أَجَلَّهم يستعمل المُرْد، و..[1]... دَابِغُ جلدٍ أو سَائِسُ قرد أو حائك بُرْد، قال: ما أنا منهم، قال: فمِن أين أنت يا صبي؟ قال: أنا من مكة، قال: أنت من بلدِ الجهل، ومَعْدِنِ اللؤم وقلةِ العقل، قال: ولِمَ ذلك؟ قال: لأن الله تعالى بعث فيهم نبيًّا كريمًا فكذبوه، فخرج مِن بينهم إلى قومٍ أحبوه ونصروه، قال: ما أنا منهم، قال: من أين أنت يا صبي؟ قال: وإلى متى تسألني؟ قال: قد أكثرْتَ مِنْ هَزْلِك، وقلبي يحدثني اليوم بقتلك، فقال الشاب: لو علمتُ أنكَ قاتِلِي ما عبدتُ سواكَ، فقال الحجاج: وَيْلَك، ومن يمنعني من ذلك؟ فقال الصبي: لكَ الويل، يمنعك مِن قتلي الذي يحُولُ بين المرء وقلبِه وهو لا يخلف الميعاد، فقال الحجاج: هو الذي يعينني على قتلك، فقال الصبي: حاشا لله أن يعينكَ على قتلي، وإنما يغويك الشيطان، وأنا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الحجاج: لم أَقْتُلْكَ إلا بحُجَّة أحتجُّ بها عليك من كلامِك، قال: وما هي؟ قال: أخبرني من أين أنت، قال: من طَيْبَة، قال: وما طيبة؟ قال: مدينة يثرب، بها النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ، معدن التأويل، والتحريم والتحليل، والأنساب والأجداد والآباء، وأنا مِن نسل بني غالبٍ من سلالة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قال: فاغتاظ الحجاج من كلامه، وأمر بقتله، فقامت إليه وُجوهُ دولتِه وأكابر مملكته وقالوا: أيها الأمير سألناك بالله إلا ما عفوتَ عن هذا الشاب، فقال الحجاج: لا تطيلوا فلا بد مِن قتله، ولو نادى ملك من السماء بأن لا تقتله قَتَلْتُه، فقال الصبي: تَخْسَأُ يا حجاج، ومن أنت حتى يناديك ملكٌ من السماء، فقال الحجاج: لم أقتلك إلا بحجة أحتج بها عليك، قال: وما هي؟ قال: أخبرني ما الذي يجب عليك في كلِّ يومٍ وليلة؟ قال: خمس صلوات، قال: وفي كل عام: قال صيامُ شهر رمضان، قال: وفي عمرك؟ قال: الحج إلى بيت الله الحرام، قال الحجاج: أخبرني ما الذي يقرب

---

(١) كلمة لم أتبينها.

العبد إلى الله تعالى؟ قال: الصلاةُ والصيام والحج، قال الحجاج: إنا نتقرب إلى الله تعالى بدمِ رجلٍ يقول إن الحسنَ والحسينَ أولادُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله تعالى يقول في كتابه العزيز ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[1] فقال الصبي: اسمع يا حجاج، قال الله تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[2] فقال الحجاج: صدقت يا صبي[3]، قال: فأخبرني عن أفضل العرب، قال: قريش، قال: ولِم ذلك؟ قال: قال: لأن محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم، قال: فمن أشجع العرب: قال قريش، قال: ولم ذلك؟ قال: لأن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منهم، قال: فمن أكرم العرب؟ قال: بنو[4] طيء، قال: ولم ذلك؟ قال: لأن حاتمًا[5] منهم، قال: فمن أبخل العرب وأقذرها وأقلها خيرا؟؟ قال: بنو[6] ثقيف، قال: ولِم ذلك؟ قال: لأنك يا حجاجُ منهم، قال: فاغتاظ الحجاج من كلامه وأمر بقتله، فقامت إليه وُجوهُ مملكَتِه وأكابرُ دولته وقالوا: هذه أعناقنا دون رأس

---

(١) الأحزاب ٤٠.

(٢) الحشر ٧.

(٣) في الخبر سقط، وتمامه ما ذكره ابن عساكر في تاريخه قال: اجتمعوا عند الحجاج فذكر الحسين بن علي فقال الحجاج: لم يكن من ذرية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده يحيى بن يعمر، فقال له: كذبت أيها الأمير، فقال: لتأتيني على ما قلت ببينة ومصداق من كتاب الله تعالى وإلا قتلتك، قال «وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ» إلى قوله «وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى» فأخبر الله عز وجل أن عيسى بن مريم من ذرية آدم بأمه،والحسين بن علي من ذرية محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمه،قال: صدقت فما حملك على تكذيبي في مجلسي؟ قال: ما أخذ الله على الأنبياء «لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ» قال الله عز وجل «فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ» قال فنفاه إلى خراسان (تاريخ دمشق١٢/ ١٥٢)

(٤) في الأصل: بني.

(٥) في الأصل: حاتم.

(٦) في الأصل: بني.

الشاب، ونسألك بالله أن تعفو عنه فإنه لا يستحق القتل لذكائه، فعفى عنه.

ثم قال له: من أين مَنْشَأك؟ قال: بين السماء والأرض، قال الحجاج: فأخبرني عن الجَدْي الذي في السماء هل هو ذكر أم أنثى؟ قال: يا حجاج أكشف لي عن ذنَبِه حتى أقول لك ما هو، فضحك الحجاج.

ثم قال له: أخبرني فيم ترعى قرونُ الجمال؟ قال: في وَرَقِ الحجارة، فقال الحجاج: يا بعيدَ الذهن، وهل للحجارة أوراق، فقال الصبي: يا أَبْلَم[1]، وهل للجِمَال قُرُون؟.

فقال الحجاج: أخبرني من أين أنت يا صبي؟ قال: مِن أبي وأمي، قال: فمن أين أتيتَ؟ قال: من وراك، قال: وإلى أين قاصد؟ قال: أَمَامِي، قال: وعلى أي شيءٍ جئت؟ قال: على الأرض، فقال الحجاج: كأنك يا صبيٌّ عاشقٌ؟ قال: نعم وأنا في العشق غارق، قال الحجاج: ولمن تعشق يا صبي؟ قال: أعشقُ ربي الذي أرجو أن يفرج كربي ويخلصني اليوم منك، فقال الحجاج: وأنت تعرف ربَّك؟ قال: نعم، قال: بماذا عَرَفتَه؟ قال: بكتابه المُنْزَلِ على قلب نبيه المرسل، قال: وأنت تحفظُ القرآن؟ قال: والقرآنُ هاربٌ مني حتى أحفظه؟ قال: فاسْتَحْكَمْتَه؟ قال: قد أَنْزَلَ الله كتابه مُحْكَمًا، قال: فاسْتَظْهَرْتَه؟ قال: حاشا الله أن أَنْبذه وراء ظهري، قال[2]: فكيف أقول؟ قال: قل هل قرأتَه وعلمتَ ما فيه، قال: هل قرأتَه وعلمتَ ما فيه؟ قال:نعم قرأته وعلمت ما فيه، قال: فإن كنت قرأته وعلمت ما فيه فأخبرني عن أي آيةٍ فيه أعظم، وأي آيةٍ فيه أحكم، وأي آية فيه أعدل، وأي آية فيه أَخْوَف، وأي آية فيه أرْجى، وأي آية فيها عشر آيات بينات، وأي آية فيها قول الأنبياء، وأي آية فيها قول أهل الجنة، وأي آية فيها قول أهل النار، وأي آية فيها قول إبليس لعنه الله، فقال الصبي: اسمع يا حجاج الجواب بعون

---

(١) أَبْلَمَ الرجلُ: سكت (ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس ١/ ٢١٩ تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)

(٢) في الأصل: قل.

الملك، أما أعظم آية في القرآن فهي آية الكرسي، وأما أحكم آية فهي قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾[1] الآية، وأما أعدل آية فهي قوله تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[2] وأما أخوف آية فهي قوله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾[3] وأما أرجى آية فهي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[4] وأما الآية التي فيها عَشْرُ آيات بينات فهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾[5] الآية، وأما الآية التي صدق فيها الهود والنصارى فهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾[6] فصدقوا جميعاً، فليس هم على شيء، وأما الآية التي كذب فيها الأنبياء فهي قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[7] فهم الأسباط إخوة يوسف الصديق عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأما الآية التي قالها الله تعالى خالصاً لنفسه فهي قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[8] وأما الآية التي فيها قول الملائكة فهي قوله تعالى ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[9] وأما الآية التي فيها قول الأنبياء فهي قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا

---

(١) النحل ٩٠.

(٢) الزلزلة ٧ و ٨.

(٣) المعارج ٣٨.

(٤) الزمر ٥٣.

(٥) البقرة ١٦٤.

(٦) البقرة ١١٣.

(٧) يوسف ١٨.

(٨) الذاريات ٥٦.

(٩) البقرة ٣٢.

بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[1] وأما الآية التي فيها قول أهل الجنة فهي قوله تعالى ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[2] وأما الآية التي فيها قول أهل النار فهي قوله تعالى ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾[3]

وأما الآية التي فيها قول إبليس لعنه الله فهي قوله تعالى ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[4] الآية.

فقال الحجاج: سبحان الله وبحمده، ما رأيت صبيًّا على صغر سنه أعطاه الله العلم والعقل والمعرفة وسرعة الجواب إلا أنت.

فقال الصبي: يا حجاج، لا تعجب من ذلك ؛ فإنني مِنْ أَهْلِهِ بعون الله وقدرتِه، فقال الحجاج: أخبرني عن موضع العقل منك، قال في الدماغ، قال: فأين موضع الحياء منك؟ قال: في الوجه، قال: فأين موضع الحِشْمَة منك؟ قال: في العين، قال: فأين موضع السمع منك؟ قال: في الأذنين، قال: فأين موضع الشم منك؟ قال: في الأنف، قال: فأينت موضع الذوق منك؟ قال: في اللسان، قال: فأين موضع الحلاوة منك؟قال في اللسان، قال: فأين موضع الحلاوة منك؟ قال: في الحلقوم؟ قال: فأين موضع الفرح منك؟ قال: في القلب؟، قال: فأين موضع الريح منك؟ قال: في الرئة، قال فأين موضع الغضب منك ؟ قال: في المرارة، قال: فأين موضع الضحك منك؟ قال: في الطحال، قال: فأين موضع الرحمة منك؟ قال: في الكبد، قال: فأين موضع اللهو منك؟ قال: في

(١) إبراهيم ١١.
(٢) فاطر ٣٤.
(٣) المؤمنون ١٠٧.
(٤) ص ٨٢.

النَّفْس، قال فأين موضع القوة منك؟ قال: في الكفين، قال: فأين موضع الضعف منك؟ قال: الساقين والقدمين.

فقال الحجاج: أحسنت وأَجْمَلْتَ يا صبي، فأخبرني عن ابن آدم ماذا ينفعه وما يضره، قال: من أراد البقاء - ولا يبقى إلا الله تعالى - فلْيُبَاكِر بالغداء ولا يتمشى في العشاء، ويخفف في الصيف الرداء ويثقل في الشتاء، ويحفظ الرأس وما حَوى، والجوف وما وَعى، ومن ابتدأ في أكله بالملح فإنه يُصْرَف عنه واحدٌ وسبعون نوعًا من البلاء، ومن أفطر كل يوم على سبع زبيباتٍ حُمْر لم يَرَ ما يضره في بدنه، ومن أفطر كل يوم على سبع تمرات قَتَلَت كلَّ دودة في بطنه، ومن أفطر كل يوم على الشعير بالزبيب الأسود فإنه يمنع البخار أن يصعد إلى عينيه، ولا تكثر من أكل القَدِيد فإنه يُضْعِف الحَيْل ويُقِلُّ المُجَامَعة، ولا تأكل لحم البقر فإنه داء، ولبنها دواء، وسمنها شفاء، وجلدها حداد[1]، وأكل اللحم ينبت اللحم و..[2].. أَكْلُ قريش، ولا تجامع عجوزًا[3] فإنها تأخذ منك ولا تعطيك، ولا تجامع تحت شجرة مثمرة، ولا تنكح في الحمام فإنه يورث الارتعاش، ولا تطيل النظر إلى جَامَات الحمام فإنه يضعف البصر، والتَّخَتُّمُ بالعقيق أمانٌ من الفقر، ولا تأكل وأنت جنب فإنه يورث النسيان، ولا تكنس البيت بخرقةٍ فإنه يورث الفقر، ولا تُخَلِّل أسنانك بعود القصب فإنه سم، ولا بعود الريحان فإنه يورث الحُفَرَ في الأسنان، ولا بعود الطَّرْفَاء[4] فإنه يورث اليَرَقَان[5]، ولا بعود الآس فإنه يورث النتن في الفم، والنظر إلى الماء الجاري يُحِد البصر، والنظر إلى وجه العالم يورث البركة، والنظر إلى وجه

---

(١) هكذا في الأصل، ولم أفهم المراد، ولعلها حذاء.

(٢) كلمة مطموسة في الأصل.

(٣) في الأصل: عجوز.

(٤) جنس من النبات منه الأَثْل (ينظر: المعجم الوسيط ٢/ ٥٥٥)

(٥) داء يصيب الناس والزرع (ينظر: جمهرة اللغة ٢/ ٧٩٨)

الوالدين يزيد في العمر، والتردد في المصحف يزيد في الرزق، والنظر إلى الوجه المليح عبادة، وعليك بالمرهم الأكبر، وهي الكسرة اليابسة على الريق، فإنها تَلفّ ما على وجه المعدة من البلغم، وعليك بالقيء في الحمام، وإياك وشرب الماء على الريق فإنه يضعف القلب، ولا تنكح على الريق فإنه يضعف القوة، وإذا ضللت في طريق فاقرأ سورة تبارك، وإذا عطشت فاقرأ سورة يس فإنك تروى بإذن الله تعالى.

فقال الحجاج: أحسنت وأجملت يا صبي، فهل عندك علم بالزرع؟ قال: نعم، أجوده ما التفت سُنْبُلتُه وغلظت قصبته، وجفت حبته.

قال: فهل عندك شيءٌ في معرفة الكَرْم؟ قال: أجوده ما غلظ عودُه، وكبر عنقوده، قال: فما تقول في النخل؟ قال: أجوده ما غلظ..[1]..، ودنا ارْتِقَاه، وصغر في لحمِه نواه، وأخذت حلاوته باللَّهَاة.

قال: فما تقول في السماء؟ قال: هي مد البصر، ومسكن النجوم والشمس والقمر، قائمة بغير عمد، مظلة لمن تحتها من العدد.

قال: فما تقول في الأرض؟ قال: واسعة الطول والعرض.

قال: فما تقول في المطر: قال: أجوده ما ملأ الآبار وفاض على الأودية والأنهار.

قال الحجاج: أحسنت وأجملت يا صبي فأخبرني عن النساء أيتهن أجمل؟ قال: ذات الدلال الكامل والجمال القاتل، التي صَغُرَ ثديُها، واحمرَّ خدُّها، واسود شعرها، ورق خصرها، وارتج رِدْفها، وثقل كتفها، وغَزَلت عيناها، وتكلمت شفتاها، التي ليس لها في الجمال نظير، ولا في البهجة خطير، قرة عين الصغير والكبير، كما قال فيها الشاعر حيث يقول:

---

(١) كلمة لم أتبينها.

ولـــو أنهـــا للمشـــركين تَعَرَّضَـــت لاتَّخَذُوهـــا دونَ أصنامِهـــم رَبّـــا

ولـو أنهـا في الغـربِ لاحَـتْ لراهـبٍ[1] لخَلَّـى سـبيلَ الشـرقِ واتَّبَـعَ الغَرْبَـا[2]

فقال الحجاج: أحسنت وأجملت يا صبي، فما تقول في جارية سنها عشرون[3]؟ قال: نزهة للناظرين، قال: فابنة الثلاثين؟ قال: لذة للمستمتعين، قال: فابنة الأربعين؟ ذات لحم وشحم ولين قال: فابنة الخمسين؟ قال: ذات بنات وبنين، قال: فابنة الستين: قال: آيةٌ للسائلين، قال: فابنة السبعين؟ قال: عجوز في الغابرين، قال: فابنة الثمانين؟ قال: ليس تصلح لدنيا ولا دين، قال فابنة التسعين؟ قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال: فابنة المائة؟ قال: لا تسأل عن أصحاب الجحيم، قال: فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه.

ثم قال: يا صبي أريد أن تصفهم لي نظما كما وصفتهم نثرا، قال: حبًّا وكرامة، وأنشد يقول:

متـى تَلْـقَ بنـتَ العَشْـرِ قـد بـانَ ثديُهـا كلؤلـــؤِ الغـــواصِ يهتـــزُّ جِيدُهـــا

وأمـــا ابنـــة العشـــرين لا شـــيءَ مثلَهـــا فتلـــك التـــي تهفـــو بهـــا وتُريدُهـــا

وبنـــت الثلاثيـــن الشِّـــفَا في حديثِهـــا هي العيشُ لم تَهْرمْ ولـم يَجْفُ عودُها

وإنْ تَلْـــقَ بنـــتَ الأربعيـــنَ فَغِبْطَـــةٌ خيـــارُ النســـا طُوبَـــى لمـــن يَسْـــتَفِيدُها

وأمَّـــا ابنـــةُ الخمســـينَ لله دَرُّهـــا بعقـــلٍ وتدبيـــرٍ تُزَيِّـــي وَلِيدَهـــا

---

(١) في الأصل: لله والراهب.

(٢) حماسة الظرفاء ص ١٦، ولم أقف على قائله.

(٣) في الأصل: عشرين.

وأمــا ابنَــةُ الســتينَ قــدْ رَقَّ جِلْدُهــا وفيهــا بَقَايَــا والحريــصُ يُرِيدُهــا
وأمــا ابنــةُ الســبعينَ يَرْعَــشُ رأسُــها مــن الليــل مِقْــلَاقٌ قليــلٌ[1] رُقُودُهــا
وأمـا ابنـة الثمانيـنَ التـي قـد تَضَعَّفَـتْ مــن الكِبَــرِ المُفْنِــي وقَــلَّ مُرِيدُهــا
وأمــا ابنــة التســعينَ لا دَرَّ دَرُّهــا قــد خَلَعَــتْ عُمُــرًا وقُــدَّ وَرِيدُهــا
وإن زادتِ العَشْــرُ اللــواتي فَلَيْتَهــا تَغْــرَقُ في بحــرٍ وحــوتٌ يَقُودُهــا[2]

فقال الحجاج: أحسنتَ وأجملتَ يا صبي، فأخبرني عن أولِ مَن نطَقَ بالشعر، فقال: آدم عله السلام حين قتل قابيل أخاه هابيل، فبكى آدم بكاءً شديدًا وأنشد يقول:

تَغَيَّــرَتِ الْبِــلادُ وَمَــنْ عَلَيْهَــا فَوَجْــهُ الأَرْضِ مُغْبَــرٌّ قَبِيــحْ
تَغَيَّــرَ كُلُّ ذِي لَــوْنٍ وَطَعْــمٍ وَقَــلَّ بَشَاشَــةُ الْوَجْــهِ الصَّبِيــحْ
بَكَــتْ عينــي فَحُــقَّ لهــا بُكَاهــا وَدَمْــعُ العيــن مُنْهَمِــلٌ سَــفُوحْ
قَتَــلَ قَابِيــلُ هَابِيــلًا أَخَــاهُ فَــوَا أســفِي علــى الْوَجْــهُ الْمَلِيــحْ[3]

فقال الحجاج: أحسنت وأجملت يا صبي، فأخبرني عن أجود شعر نطق به العرب في الكرم، قال: حاتم طيءٍ حيث قال:

وأُكْـرِمُ الضيـفَ حتمًـا حيـن يطرقُنِـي قبـلَ العيـالِ علـى عِـزٍّ وإرْسَـالِ[4]

---

(١) في الأصل: من الليل قليلا رقودها.
(٢) الأمالي، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ص٩٧ تحقيق عبد السلام هارون، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
(٣) التذكرة الحمدونية ٦/ ٤٣٣.
(٤) لم أقف عليه في ديوان حاتم، وهو دون نسبة في صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم

وإما قول ربيعةَ بن مُكَدَّم[1] فإنه قال:

يـــا واقـــدَ النـــارِ بليـــلٍ قـــرًّا ... ومُلْهِـــبَ الجمـــرِ بريـــحٍ صَـــرَّى

ارْفَـــعْ سَـــنا النـــارِ لِمَـــنْ يَمُـــرَّا ... فـإنْ جَلَبْـتِ الضيـفَ أَنْـتِ حُـرَّى[2]

فقال الحجاج: حسبك يا شاب، فقد غَرَّقتَنا في بحر علمك، ووجب حقُّك وإكرامُك علينا، ثم التفت إلى بعض خواصه وقال: إيتِنِي ببِدْرَةِ ذهبٍ عشرة آلاف دينار، وبَذْلَةٍ من خواص مَلْبُوسي، وجارية من خواص جواري، ومن أجود مَرْكُوبي، وسيفٍ مُحَلى، قال: فغاب ساعةً وأتى بجميع ذلك، فقال الحجاج: يا شاب مهما شئت فخذه لك من هؤلاء، قال: وكانت الجارية قريبة من الصبي فغمزته بعينها أن يأخذَها ويترك جميع ما خص به الحجاج، فضحك الشاب وأنشد يقول:

وقَعْقَعَـــةُ اللجـــامِ بـــرأسِ مُهْـــري ... أحـــبُّ إلـــيَّ ممـــا تَغْمزِينِـــي

أخـــاف إذا وقعـــتِ علـــى فِرَاشِـــي ... وطالـــت عِلَّتِـــي مـــا ترحمينـــي

أخـــاف إذا وقعـــتُ في مضيـــقٍ ... وَجَـــدَّ الســـيرُ ألا تَصْحَبِينِـــي

أريـــدُ قرينـــةً تفعـــلْ كَفِعْلِـــي ... وتصـــبرُ عنـــد غُصَّـــات الســـنينِ

والأمثال للقاضي حسين بن محمد المهدي١/ ٦٠٧ ط: وزارة الثقافة، اليمن، راجعه عبد الحميد محمد المهدي.

(١) فَارِس كِنَانَة رَبِيعَة بن مُكَدَّم الفراسي، أحد بني فِرَاس بن غَنْم بن مَالِك بن كِنَانَة (ينظر: المؤتلف والمختلف، علي بن عمر الدارقطني ٤/ ٢١٥٤ تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)

(٢) الشعر لحاتم الطائي وليس لربيعة بن مكدم، وهو في ديوانه ص٢٩ شرح أحمد رشاد، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢م.

قال فأجابَتِ الجارِيَةُ على شعره بهذه الأبيات:

معــاذَ الله أفعــل مــا تَقُــلْ لِــي ولــو قُطِعَــتْ شــمالي مَـعْ يمِينـي

وأكْتُــمُ سِــرَّ حُبِّــي في ضَمِيــرِي وأَقْنَــعُ بالقليــلِ ومــا يَجِينِــي

إذا عَاشَــرْتَنِي وعرفــتَ قَــدْرِي ســتعلمُ أننــي خيــرُ القَرِيــن

وقال الحجاج: يا ملعونة تجاوبينه بالأشعار وتغمزيه بعينيك، ولكن يا شاب أمرتك أن تأخذ الجميع وتخرج من وجهي، فلا جعل الله لك فيهم بركة، فقال الصبي: قبلتُ منك يا حجاج لا أخلف الله عليك، ولا يجمع بيني وبينك مرة أخرى، قال: وكان في قصر الحجاج بابان[1] أحدهما مَهْلِكٌ والآخر باب سلامة، فقال الصبي: من أين أَخْرُجُ يا حجاج؟ قال: مِن باب السلامة، فخرج إلى حال سبيله بجميع ما معه، فقال له الحاضرون: كيف دللته على باب السلامة؟؟ قال: لأنه استشارني، والمستشار أمين لا يكون خوانا، والخائن لعنة الله عليه.

فلهذا لا يجوز عليه اللعنة لعلمه، ولا يجوز عليه الرحمة لظلمه، فهو موقوف.

وهذا ما انتهى إلينا من قصته، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

تمت القصة المباركة وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقت الفراغ من هذه النسخة عام ١٠٨٥هـ.



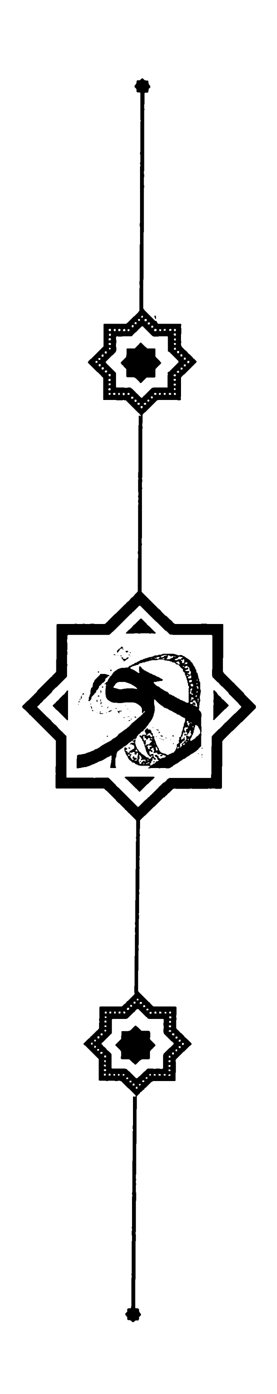
(١) في الأصل: بابين.



المقامةُ الفِكْرِيَّةُ السَّنِيَّة في المملكة الباطنية

عبد الله فكري باشا

ت١٣٠٦هـ



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاماً على المبعوث رحمةً للعالمين، نَبِيِّنَا محمدٍ النبي الأمي الأمين، ورضي الله عن آل بيته وأصحابه والتابعين.... وبعد

فإن فنَّ المقامات يُعَدُّ من جواهر الأدب العربي، فهو فن يبهج النفس ويطرب الأسماع، ومنذ أن أَلَّفَ بديعُ الزمان الهمذاني (ت٣٩٨هـ) مقاماته البديعة العجيبة وأصبح هذا الفن محط اهتمام القاصي والداني من الأدباء، وكلُّ الناسِ للبديع في هذا الفن تبع، وكلهم مقصرون عن بلوغ علو بلاغته وجميل فصاحته، ولم يَدْنُ أحدٌ من جودة مقاماته إلا ما كان من الحريري (ت ٥١٦هـ) فقد وضع مقامات على نسق مقامات البديع، أبدع فيها وأجاد، ولولا فضيلة السبق التي للبديع لكانت مقامات الحريري هي الأروع.

وقد تشبه بالبديعِ والحريريِّ عدد كبير من الأدباء والشعراء على مر العصور، فمنهم من أجاد ومنهم من قصر، وكان الأديب الشاعر عبد الله فكري باشا ممن خاض غمار هذا المعترك الأدبي، فوضع هذه المقامة التي بين أيدينا، ولكنه زاد على البديع والحريري بأن جعل لها غرضاً شريفاً يتمثل في شرح حالة الصراع بين الخير والشر في باطن الإنسان، وكيف تكون المؤامرات والمناظرات والاستدلالات التي يسلكها كلٌّ منهما ليحرز النصر، وبيَّنَ أثر ذلك على العقل في اتخاذ القرارات، فجاءت مقامة بديعة شريفة المقصد حلوة العبارة.

والمقامة عبارة عن رحلة قام بها شخص سماه (الخيال بن خاطر)، ورواها لنا

شخص سماه (أبو المقال بن ذاكر)، ودليل الرحلة الذي صحب الخيال هي الفراسة، رحلة طويلة في باطن الإنسان، حَوَّلَ فيها المصنفُ ما يتكون منه الإنسان من أجزاء وأخلاق إلى شُخُوصٍ ناطقة عاقلة، هذه الشخوص عبارة عن حكومةٍ ووزراء وحاشية وشعب، يعيشون معـًا في هذه المملكة الباطنية، حيث جَعَلَ العقلَ هو الملكُ المتوَّج على هذه المملكة، والبصيرة وزيرٌ ناصح أمين، والهوى جليس خائن غادر.

ثم راح يصف لنا مشاهداتِه في هذه المملكة، ويحْكِي لنا عن المناظرات التي جرت بين هؤلاء الأشخاص، فالهوى وأعوانُه من الشهوة والجبن والرعونة والغضب والغفلة يَدْعُون الملكَ (العقل) إلى الشرور والقبائح، ويزينون له سبله وطرُقه، والبصيرةُ وأعوانُها من العدل والعفة والاستقامة والسلامة يدعونه إلى الخير ويحضونه عليه، وكلُّ فريقٍ يحتج بأدلته، ويُفَنِّدُ ما يستدل به الفريقُ الآخر، والعقلُ ينظر هنا مرةً وهنا مرة، ويقارن ويوازن، ويعطي لنفسه الوقت الفسيح ليقرر إلى أي الفريقين يميل.

وبعد مناظرات طويلة، وأخْذٍ ورَدّ، وشدٍّ وجذب، مال العقلُ إلى فريق الخير، وبانَ له - بعد زوال الغفلة - ما زَوَّرَهُ عليه الفريق الآخر، فرجع الخيالُ من رحلته سعيدا، مغتبِطـًا بنجاح مساعيه مع فريق الخير في تثبيت العقل على الطريق القويم.

وقد اعتمدت في تحقيق هذه المقامة على نسخة كتبت بخط اليد في مطابع حسن علي المنيلاوي المطبعجي في القاهرة في شهر ذي القعدة سنة ١٣١٥هـ، وكاتبها هو أبو طالب عبد الله، وعدد صفحاتها ٣٢ صفحة، في كل صفحة ٢٦ سطراً في المتوسط.

والحمد لله أولاً وآخرا.

ترجمة المصنف[1]

ولد المصنِّف في أوائل شهر ربيع الأول من عام ١٢٥٠ من الهجرة، وهو عبد الله بن محمد أفندي بليغ ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد.

كان الشيخ عبد الله - جدّ المصنف - من علماء الأزهر، مالكي المذهب اقتداءً بأسلافه الدين كانوا من أكابر العلماء، وقد أخد جدُّه العلمَ عن أجلاء مشايخ الوقت خصوصاً العلامة الشيخ عبد العليم الفيومي الشهير بالعلم والبركةِ والكرامة،وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُقْرِئَه في الدرس.

ولما دخل الفرنسيون مصر رحل الشيخ عبد الله إلى مِنَية ابن خُصَيْب[2] فأقام بها مدةً ثم عاد إلى القاهرة واشتغل بتدريس العلم كما كان، إلى أن توفي ودفن بالقاهرة، وكذلك نشأ ابنه محمد أفندي بليغ - والد المصنف - على جادة أبيه يتلقى العلوم بالأزهر حتى نبغ في علومه ثم دخل المدارس الملكية ومهر في العلوم الرياضية إلى أن عُدَّ من مشاهير المهندسين، واتصل بخدمة الحكومة ثم دخل في عداد ضباط الجيش وترقى فيها إلى رتبة صاغ، ثم رحل إلى بلاد الحجاز، وهناك رزق بولده عبد الله -

---

(١) ينظر في ترجمته: تراجم مشاهير الشرق لجورجي زيدان (مطبعة الهلال، القاهرة ١٩١١م)، والخطط التوفيقية لعلي باشا مبارك (مطبعة بولاق، القاهرة ١٣٠٦هـ)، وفي الأدب الحديث لعمر الدسوقي (دار الفكر، القاهرة ١٩٥١م)، وعبد الله فكري لمحمد عبد الغني حسن (سلسلة أعلام العرب، القاهرة، ١٩٦٥م) والأعلام للزركلي ٤/ ٣١١، والآثار الفكرية (أشعار وكتابات) جمعها ابنه أمين فكري.

(٢) مدينة على شاطئ النيل في شمال صعيد مصر، مكانها مدينة المنيا حاليا (ينظر: معجم البلدان ٥/ ٢١٨)

المصنف - بمكة المشرفة، وقد جاء المصنف بديع زمانه في فنون الكتابة، حتى قيل إنه لو تقدم به الزمان لكان بديعان ولم ينفرد بهذا اللقب علامة همذان[1].

ثم رجع به والده إلى القاهرة، ولم يزل كذلك في خدمة الحكومة حتى صار باشمهندس الشرقية[2] وبقي كذلك إلى أن توفي بمصر في ٢٩ شوال سنة ١٢٦١هـ ودفن مع والده الذي هو جد المصنف، وكان المصنف عند وفاة والده لم يبلغ الحلم، فنشأ يتيماً في حجر بعض أقارب أبيه، وكان عند ذاك مشتغلاً بتَعَلُّمِ القرآن الشريف وتلقي العلوم المتداولة بالأزهر كعلوم العربية والفقه والحديث والتفسير والعقائد عن أجلاء علمائه، كالشيخ إبراهيم السقا والشيخ عليش والشيخ حسن البلتاني وغيرهم، وكان مع هذا متقناً للغة التركية.

ثم التحق بالمَعِيَّةِ الخديوية أيام حكومة المرحوم سعيد باشا[3]، واستمر بها في خدمة الكتابة بالقلم التركي تارة وبالعربي تارة إلى أن توفي سعيد باشا سنة ١٢٧٩هـ، فخلفه على الحكومة الخديوي إسماعيل باشا[4]، ورحل معه إلى الأستانة[5] لما مضى إليها لاستكمال الرسوم في تقليد الولاية وأداء الشكر.

وقد تقلد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدداً كبيراً من الوظائف، فمنها أنه عُيِّن وكيلاً لديوان

---

(١) يقصد بديع الزمان أحمد بن الحسين الهمذاني ت ٣٩٨هـ الكاتب البليغ صاحب المقامات.

(٢) إحدى مدن مصر الكبيرة شمال شرقي القاهرة (ينظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي ١/ ١٤٣)

(٣) محمد سعيد باشا ابن محمد علي الكبير، خديوي مصر من سنة ١٢٧٠هـ إلى ١٢٧٩هـ (ينظر: الأعلام ٦/ ١٤١)

(٤) إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي، تولى الخديوية من سنة ١٢٧٩هـ حتى سنة ١٢٩٦هـ وتوفي سنة ١٣١٢هـ (ينظر: تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل لإلياس الأيوبي ١/ ٢٥ وما بعدها)

(٥) هي مدينة اسطنبول التركية حاليا.

المكاتب الأهلية، ثم وكيلاً لنظارة المعارف العمومية، ثم أصبح الكاتب الأول بمجلس النواب مع بقاء الوظيفة المتقدمة، ثم فُوِّضت إليه نظارة المعارف العمومية، ولما قامت الثورة العُرَابِيَّة[1] وشى به بعض المفسدين واتُّهِمَ بالاشتراك فيها، فسُجن وقُطِع معاشُه، فكتب يلتمس العفو من الخديوي، وأرسل إليه قصيدة مطلعها:

كتابي تَوَجَّهَ وِجْهَةَ الساحةِ الكُبْرَى وَكَبِّرَ إذْ وافَيْتَ واجتَنَبَ الكِبْرَا

فلما عُرِضت على الخديوي عَفَى عنه، فنظمَ قصيدة يشكره فيها قال في مطلعها:

لِيَ اللهُ مِنْ عَانِى الفؤادِ متيمِ وَلُوعٍ بِمُغْرىً بالدلالِ مُنَعّمِ

وقد ضمنها واقعة الحال مع التنصل والشكر فزادت عن تسعين بيتا.

وفي سنة ١٣٠٢هـ توجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج فلقي جمعاً من علماء الحجاز وأدبائه بمكة المكرمة والمدينة المنورة، وفي سنة ١٣٠٣هـ سافر لزيارة بيت المقدس والخليل ومعه نجله أمين باشا فكري، وفي سنة ١٣٠٦ هـ عين رئيساً للوفد العلمي المصري في المؤتمر الذي انعقد في مدينة استوكهلم عاصمة السويد.

وفي شهر رجب سنة ١٣٠٧هـ أحس بأعراض تعب وإعياء اشتد عليه

في ذي الحجة من السنة نفسها حتى وافاه الأجل المحتوم في الساعة الثانية من صباح يوم الأحد في شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٧هـ وهو يوم عيد الأضحى.

وكان المصنف قد تتلمذ على كبار الشيوخ في عصره، فمنهم:

- الشيخ إبراهيم السقا ت ١٢٩٨هـ.

---

(١) ثورة قام بها أحمد عرابي مع ضباط الجيش المصري في سبتمبر سنة ١٨٨١م لمطالبة الخديوي توفيق بإصلاحات وزارية ودستورية، وانتهت بالفشل ونفي عرابي وكثير من زملائه.

- الشيخ علي بن عبد الحق الحجاجي الشهير بالقوصي ت١٢٩٤هـ.
- الشيخ عبد الواحد ابن السيد منصور الرياني ت سنة ١٢٧٩هـ.
- الشيخ إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر فيما سبق ت١٢٧٧هـ.

مصنفاته:

كان للمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ عدد من المصنفات تدل على إلمامه الشديد بالعربية، بل وعلى إبداعه فيها، فمنها:

- الفوائد الفكرية للمكاتب المصرية.
- نظم اللآل في الحكم والأمثال.
- المقامة السنية في المملكة الباطنية.
- شرح بديعية صفوت[1].
- مجموع رسائل متبادلة بينه وبين أدباء عصره في مصر والشام والحجاز.
- ديوان شعر صغير بخط يده.
- مشاهداته في أوروبا، وقد أتمه ابنه أمين بعد وفاته وسماه (إرشاد الألِبَّا إلى محاسن أوروبا).
- الرحلة البعلبكية.
- رسالة في المقارنة بين الوارد في نصوص الشرع والمقرر في علم الهيئة.

نماذج من شعره:

---

(١) هي قصيدة تتكون من ١٥٠ بيتاً نظمها محمود صفوت الساعاتي ت ١٢٩٨هـ الشاعر المصري المبدع في ذكر أنواع البديع.

قال حين وردت الأخبار بأخذ الدولة العثمانية إحدى المدن الكبرى من الروس بعد تخريب قلاعها سنة ١٢٧٢ هـ في الحرب:

لقد جاءَ نصرُ اللهِ وأنشرَحَ القلبُ   لأنَّ بفتحِ القِرْمِ[1] هانَ لنا الصعبُ
وقد ذَلَّتِ الأعداءُ في كلِّ جانبٍ   وضاق عليهم فَسيحُ الفَضَا الرَّحْبُ
بِحَرْبٍ تُشِيبُ الطفلَ مِنْ فَرْطِ هَوْلِها   يكادُ يذوبُ الصخرُ والصارمُ العَضْبُ
إذا رَعَدَتْ فيها المدافعُ أمْطَرَت   كؤوسَ مَنُونٍ قَصَّرَتْ دونها السحْبُ
وقد غَرَّهُم من قبلُ كثرةُ جيشِهِم   فلم يُغْنِ عنهم ذلك الجيشُ والرَّكْبُ

وقال يمدح المغفور له الخديوي محمد توفيق باشا مذ ولي عهد الخديوية المصرية:

بِعِزِّكَ تختالُ العُلَى والمناصبُ   وباسمِكَ تَزْدَانُ الحُلَي والمناقبُ
لكَ الشِّيَمُ الغراءُ لا المدحُ بالغٌ   مَدَاها ولا للذَّمِّ فيهنَّ جانبُ
وكم لكَ من نعماءَ في الناسِ شُكْرُها   عليهم كَفَرْضٍ للعباداتِ واجِبُ
إذا الغيثُ وَلَّى عن ذُرَاهُم سَحَابُهُ   تَوَالَت عليهم مِنْ زُرَاكَ سحائبُ
تفيضُ عليهم من أياديك بالندَّى   رغائبُ فيها للسماحِ غَرائبُ

وقال واعظا:

إذا رُمْتَ المروءةَ والمَعَالِي   وأنْ تَلْقَى إلهَ العرشِ بَرّا

---

(١) القِرْمُ: شبه جزيرة بجنوب روسيا على ساحل البحر الأسود من الشمال (ينظر: مسالك الأبصار للعمري ٣/ ٢٧)

فـلا تَقْـربْ لـدَى الخلـواتِ سِـرّا　　مِـنَ الأفعـالِ مـا تخشـاهُ جَهْـرَا

وأنشد يوم افتتاح مؤتمر المستشرقين الذي انعقد باستكهولم عاصمة السويد سنة ١٨٨٩ هـ بحضرة ملك تلك البلاد «اسكار الثاني»:

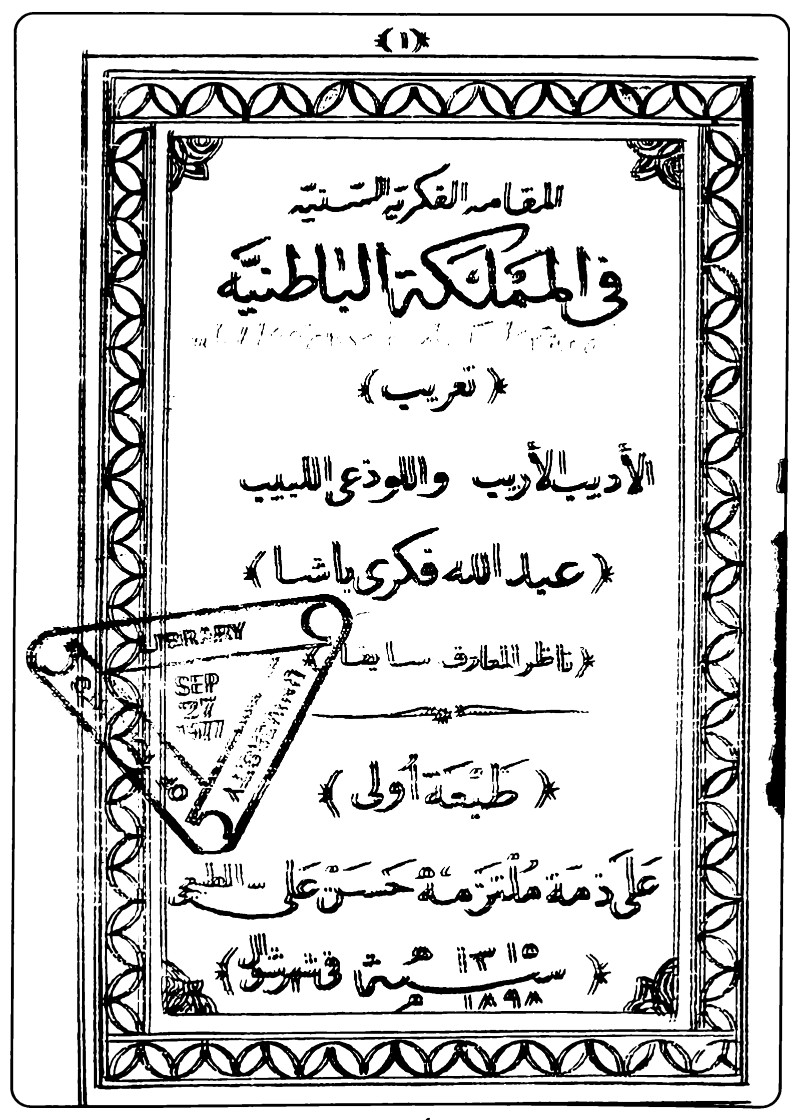
اليـــومَ أسْـــفَرَ للعلـــومِ نهـــارُ　　وبَـــدَت لشـــمسِ ســـمائِها أنـــوارُ

وزَهَـتْ فنـونُ العلـمِ وازدَهَـرَتْ بهـا　　أفنانُهـــا وتَنَاسَـــقَتْ أنـــوارُ

وغَـدَتْ لأربـابِ المعـارفِ دولـةٌ　　غَـــرَّاءَ صاحـــبُ مُلْكِهَـــا اسْـــكَارُ

وشعره كثير جدا جمعه ابنه أمين عبد الله فكري في كتابه (الآثار الفكرية).




(١)

المقامة الفكرية السنية

في المملكة الباطنية

(تعريب)

الأديب الأريب واللوذعي اللبيب

(عبد الله فكري باشا)

(ناظر المعارف سابقا)

(طبعة أولى)

على ذمة ملتزمه حسن علي الطوخي

(سنة ١٣١٥ هـ في شهر شوال)

١٨٩٨ م

الصفحة الأولى من المخطوط

اللوحة الأولى من النسخة المعتمدة

اللوحة الأخيرة من النسخة المعتمدة

المقامةُ الفِكْرِيَّةُ السَّنِيَّة في المملكة الباطنية

عبد الله فكري باشا - ت١٣٠٦هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يا من له الملك والملكوت، يا رب الكبرياء والجبروت، يا من هو الأول والآخر وإليه المصير، يا من هو الباطن والظاهر وهو على كل شيء قدير، نحمدك اللهم تبركًا بذكرك، وأسألك الإعانة على حسنِ شكرك، ونستوهبك من صِلاَت الصَّلاَة أَسْمَاها، ومن تَسْنِيم التسليم والتحيات أسناها، لحضرة نبي الخير والكرامة، الهادي إلى صراط الاستقامة وسبيل السلامة، وآله وصحبه أولي البصيرة، المعروفين بحسن السيرة والسريرة، وبعد:

فيقول راجي إحسان ربِّه البليغ، عبد الله فكري بن محمد بليغ: قد كنت عَثَرْتُ في بعض أسفاري سابقًا إلى القسطنطينية، دار الخلافة السَّنِيَّة، بكتاب لطيف الأسلوب باللغة التركية يعرف بـ«المملكة الباطنية»، وأصله من بعض الألسن الأجنبية، فنقلته إلى اللغة الشريفة العربية، بصورة مقامة أدبية، وضممت إليه بعضَ زياداتٍ أظنها لا تخرج عن المطلوب، وتصرفت في عباراته مع المحافظة على أصل الأسلوب، وبالله الحول والطول، وهذا أوان الشروع في القول:

حَدَّثَنَا أبو المقال بنُ ذَاكِر، عن الخيالِ بنِ خَاطِر، قال: قعدتُ أتفكرُ في عجائب الزمان، وغرائب عالَم الإِمْكَان، وما في صنيع الرحمن من بديع الإحسان، ثم ما للإنسان مع فصاحة اللسان، من المزايا الحسان، وما منحه الله من تمييز، وما آتاه سبحانه من

عقلٍ عزيز، وبصيرةٍ تقوده إلى هُدَاه، وترده عن مَهَاوِي هواه، ثم أخذتُ أتأملُ ما قيل في هذه البصيرة تأمُّلَ الناقد، فذكرت ما قيل من أنها في جميع أفراد العالم بقَدرٍ واحد، وما قيل من أنها تختلف في الإنسان، باختلاف الحال والشان، والزمان والمكان، ثم رجحتُ هذا القولَ على الأول، وجعلت عليه المُعَوَّل، فكم بين الجاهل والعالم، والمفَرِّط والحازم، والشيخ الكبير، والصبي الصغير، والناشيءِ في الأمصار، والذي في الجبال والقِفَار، والمُعَاشر للعلماء والأتقياء، والملازم للجهلاء والأشقياء، فإنَّا نرى بينهم بَوْنًا كبيرًا، ونجد بين بصائرهم تفاوتًا كثيرًا، إلا أن كل واحد منهم فيه أصل البصيرة تَحُثُّه على الخير، وتكفه عن الضير، وتُصْعِدُه إلى معارج الهدى، وتبعده عن مدارج الرَّدَى، وإنما تُنَاقِضُها الشهواتُ والأغراض، وتعارضها في بعض أمرها الأمراض والأعراض، فتُمَانِعها عن أعمالها، وتعكس عليها بعض آمالها، ولكنها مع ذلك لا تألْو الجهد في مناصحة العقل، وكفه عن السلوك في مسالك الغِواية والجهل، والكشف له عن حقائق الخير والشر، والعُرْفِ والنُكْر، والنفع والضُّر، والحق والباطل، والحلِيِّ والعاطل، وحثه على التمسك بأذيال العدل والاعتدال، ومجانبة الإفراط والتفريط في جميع الأحوال؛ إذ لا يمكن الوصول إلى السعادة الأبدية، والراحة السرمدية، إلا بهذا الاعتدال، في جميع الأقوال والأفعال، فالعقل في المملكة الإنسانية كالملك الكبير، والبصيرة له بمنزلة الوزير الناصح المشير، والهوى كالجليس الخائن، والصاحب المَائِنِ المُدَاهِن، فيَسْتَمِدُّ العقلُ برأي البصيرة في الأمور، فترشده إلى الخيرات وترده عن الشرور، إلا إذا غلب الهوى على العقل بإعانة الشهوات والجهل، فإنه يُحسِّن له القبائح، ويدعوه إلى ارتكاب الفضائح، وإهمالِ ما تبديه البصيرة من النصائح، فتُحَذِّرُه البصيرةُ سوءَ العواقب، وتبين له ما في ذلك من المعايب والمعاطب، ويُحسِّن الهوى ما يدعو إليه، ويحث الإنسان عليه، فيُغَطِّي على ما فيه من الآفات، بما يكسوه من رداء

الشهوات وغشاء اللذات، فهو يُمَوِّه بالشهوة الحاضرة واللذة العاجلة، والبصيرة تحذر من المضرة القابلة والتهلكة الآجلة، فإذا حسَّن الهوى مثلًا معارضةَ أحدٍ في أمواله، أو التعرض له بما يشين في شيء من أحواله، بيَّنَتِ البصيرةُ ما في ذلك من العار والشَّنَار[1]، وما يترتب عليه من الأخطار وسوء الذكرى مدى الأعصار، فيُمَوِّه الهوى بما في ذلك من لذةٍ تُقْتَنَى، وثمرةِ شهوةٍ تُجْتَنَى، فتعارضه البصيرة بأن ذلك المظلوم ربما انتصرَ، وإنْ لم يُعِنْهُ أحدٌ فلربما أعانه القدر، وتَضْرِبُ له المثلَ بعواقبِ المغادرين، ومَعَاطِبِ الماكرين، وسوءِ أحوال الظالمين، وما أصابهم في العالمين، فيقول الهوى: لله در الذي يقول:

إذا هَـمَّ أَلْقَـي بيـن عينيـهِ عَزْمَـهُ ونكَّـبَ عـن ذكـرِ العواقـبِ جَانِبـا[2]

فتقول البصيرة: أحسن منه الذي يقول:

وإذا هممـتَ بأمـر وِرْدٍ فالتَمِـس مِـنْ قبـلِ مَـوْرِدِه طريـقَ المصـدرِ[3]

والذي يقول:

ولـذةِ سـاعةٍ مَـرّت فَوَلَّـتْ وأبقـتْ بعدَهـا حسـراتِ دَهْـرِ[4]

وهكذا حتى يغلب أحدُ الجانبين، ويترجحَ واحدٌ من المذهبين، فمن غلبت بصيرته على هواه فاز بالمنى والسلامة، ومن غلب هواه على بصيرته وقع في العَنَى[5]

(١) الشنار: العيب والعار (ينظر: غريب الحديث للقاسم بن سلام ٤/ ٤٢٩)
(٢) البيت لسعد بن نَاشِبٍ العَنْبَري ت ١١٠ هـ (ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ٢/ ٦٤٥)
(٣) لم أقف على قائله.
(٤) لم أقف على قائله.
(٥) العنا: التذلل والخضوع (ينظر: المخصص لابن سيدة ٤/ ٤٣١)

والندامة، كحال من يُغلِّب على نصح النصوحِ المأمونِ غِشَّ الرفيقِ المنافق الخؤون[1]، ويستبدل قول الخبير العاقل بقول الغرير الجاهل، ومهما حصل لأحد البشر من شر وضرر، أو خطأ وخطر، فإنما سببه إهمال رأي البصيرة، في كبيرةٍ من الأمور أو صغيرة، وكم من صغيرة صارت كبيرة، ورب شرارة صارت نارا، وكلمةٍ جرّت دمارا وخرَّبت ديارا، وكم كثيرٍ أصله يسير، وكل كبير أوله صغير، قال الراجز:

قد يلحقُ الصغيرُ بالجليلِ ... وإنما القَرْمُ[2] من الأَفِيلِ[3]

وسُحُقُ[4] النخلِ من الفَسِيلِ[5]

وقال يزيد بن الحكم[6]:

فاعلم بني فإنه ... بالعلم ينتفع العليم

إن الأمور دقيقها ... مما يهيج له العظيم[7]

وقال عنترة[8]:

---

(١) في الأصل: الخؤن.

(٢) القرم: الفحل من الإبل (ينظر: جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي ٢/ ٨٤٨)

(٣) الأَفِيل: صغار الإبل والغنم (ينظر: المعجم الوسيط ١/ ٢٢)

(٤) السحق: الطوال (ينظر: العين للخليل بن أحمد ٣/ ٣٧)

(٥) الفسيل: صغار النخل (ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٤/ ٥٠٣) والشعر لأبي النجم الراجز ت ١٣٠هـ (ينظر: الحيوان للجاحظ ١/ ١٠)

(٦) يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي، شاعر من أهل الطائف مات سنة ١٠٥هـ(ينظر: خزانة الأدب للبغدادي ١/ ٥٤)

(٧) الحيوان للجاحظ ١/٨.

(٨) عنترة بن شداد بن عمرو العبسي، شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات من أهل نجد، مات =

قـد يبعـث الأمـر الكبيـر صغيـرة حتـى تظـل لـه الدمـاء تصبَّـبُ[1]

ولا يكاد يخلو أحد من الناس حاشا من عصمه الله بتقواه، من العدول - ولو في بعض الأمر - عن موافقة العقل إلى مرافقة هواه، فمن مائلٍ للتفريطِ والقصور، ومن قائلٍ بالإفراط في جميع الأمور، والسعيدُ الموفقُ من يراعي الاعتدال في كل حال ومكان، وإن لم يقدر عليه في جميع الأمور فعلى قدر الإمكان، والعَجَبُ أنَّ كلَّ واحد - وإنْ ضَلَّتْ أعمالُه وخابت آمالُه وساء حاله ومآله - إنما يبغي سعادةَ الحال، وراحة السر والبال، ولهذا الغرض يسعى ويَجِدّ، ويجتهد في تحصيله ويَكِدّ، وعنده من العقل حاكم عادل، ومن البصيرة ناصح عاقل، وبهما يمكن له أن يتوصل لما أراد، ويَحْصلَ على خيرَي المعاش والمعاد، ثم تراه يُبْطِلُ رأيَهما، ويعطل سعيهما، ويرد ما يبديانه إليه من الرأي القويم، ويصد عما يهديانه إليه من الصراط المستقيم، فيُفَوّت ما أراده من السعادة، ومع ذلك لا يقلع عن هذه العادة، وهذا لعمر الله عجبٌ عُجَاب، طالما كنت أسأل عن سره فلا أُجاب، فجلست أُجِيلُ قداحَ الأنظار، وأقدح فيه زِنَادَ الأفكار، وأحاول أن أقف على السر، وأكشفَ الغطاء عن الأمر، وأعرف كيف يترك الإنسانُ ما ينفع بما يضر، ويشتري باختياره ما يُحْزِنُ بما يَسُر، ويخالف هذا الناصحَ الشفيقَ بإهمالِ أمره، بعد أن جرب شؤمَ ذلك في الكثير من عمره، فما زلت أتفكر ويذهب التفكر جُفَاء، وما تزداد المسألة إلا خفاء، ولا الشاردةُ إلا جفاء، حتى لاح لي شَكْلٌ رُوحَانِي، وشخص نُورَاني، لم أشك في أنه مَلَكٌ رباني، يُعْرَف بنور البصيرة، ويتصل بأصل السريرة، قد تَجَلَّى لي عَيانا، وشافهني بيانا، وقال: خفف عليك هذا الحال، فلا

= سنة ٢٢هـ (ينظر: الأغاني ٨/ ٢٣٧)

(١) البيت لطرفة بن العبد البكري ت نحو ٦٠ق هـ وليس لعنترة (ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ١/ ١٨٤)

سبيل إلى حل هذا الإشكال، إلا بسياحة مملكة الباطن، ومعرفة ما في تلك المواطن، فانهض إلى هذه السياحة لتبلغ ما تريد، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1]، فقلت: أيها الملك السعيد، مَنْ لي بهذا المرمى البعيد؟ فقال: وَيْكَأَنَّ الله يفعل ما يريد، ومسح وجهي بيده الكريمة وهو يقول: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[2]، فغَشِيَتْنِي حالٌ أذْهَلَتْنِي عن الوجود، وشغلتني عن كل موجود، وإذا بالأنوار ظهرت، ومملكة الباطن سَفَرَتْ، فبَسْمَلْتُ وحَمْدَلْت، وتقدمتُ فدَخَلْت، فإذا مملكة واسعة، وأقطار شاسعة، وخلائق مجتمعة، وطرائق متَّبَعَة، ومراحلُ ومنازل، ومصانع ومعامل، وإذا أهْلُ هذا الملك الكبير، في عددٍ كثير، وجمعٍ غزير، وكلهم دائبٌ في خدمته، دائمٌ على هِمَّتِه، لا يَفْتُرُ عَزْمُه، ولا يفتر عما يلزمه، وهم مع ذلك يحترزون عن التعب والألم والمرض والسَّقَم، والهم والغم، مائلون إلى اللذات الإنسية، والشهوات النفسية، لا يبتغون عن ذلك عوضًا، ولا يبغون سواه غرضًا، وفي هذه المملكة الجسيمة، كثير من المباني العظيمة، والديار اللطيفة، والآثار الظريفة، مما يَرُوقُ الناظر، ويُعْجِبُ الخاطر، وفيها أنهار دافقة، وجداول رائقة، ومجاري مياه متناسقة، قد انقسمت في أنحائها لترتوي منها جميعُ أجزائها، وهي مع كثرة تفرقها تتصل ببعضها، وتدور على جميع أجزاء الجهة في سمائها وأرضها، وطولها وعرضها، بِدَوْرَةٍ عجيبة، وصورة غريبة، لا تكاد تقف عليها الأفكار، كما أنها تُحْجَبُ دونها الأبصار، وهواء هذه المملكة في الغالب حار ملائم، إلا أنَّ هذا الأمر ليس بدائم، بل هو كثير التبدل، دائم التحول، وكثيرًا ما يحدث فيها من العواصف، والرياح القواصف،

(١) ق ٣٧

(٢) ق ٢٢

ما يعجز عنه وصف الواصف، حتى يكاد يُخَرِّبُ المملكة، ويجر على جميع أهلها التَّهْلُكَة، ورأيت أهلَها أيضًا مُتبَدِّلِي الأوضاع، مُتَلَوِّني الأخلاق والطباع.

فَمَـا تَـدُوم علـى حَـالٍ تَكُـونُ بهـا كمـا تَلَـوّنُ في أثوابِهـا الغُـولُ[1]

فتثور بينهم الشرور، في كثير من الأمور، لكثرة ما يقع من المعارضة، والجدال والمناقَضَة، لما بينهم من مُبَايَنَةِ الأهواء، ومخالفة الآراء، وقد تَعْرِضُ لهم الأفكارُ المناسِبَة، والآراء الصائبة، فتخالفها اللذاتُ والشهوات، والأغراض والحاجات، فالمروءة واللطف والمَرْحمة، قد يعارضها صاحب الجاه والحرص على نفوذ الكلمة، وكذلك الحِلْمُ والتدبر، يعارضه الغضب والتهور، وهكذا يخالف كلٌّ منهم قُرَنَاءَه، ويريد أن يُرَوِّجَ آراءَه، ويحب أن يَغْصِبَ زِمَامَ الرياسة، وأن ينفردَ بالتدبير والسياسة، فيشتد بينهم النزاع والجدال، ويكثر القيل والقال، ويزيد الاختلال، إلى أن يُجْمِعُوا على شيءٍ يقررونه، وعند ذلك يُجْرُونه، وكان كلُّ ما يدور بينهم من الكلام، ويجري عندهم من الأحكام، يختص بسياسة مملكتهم، وإدارة حركتهم، ورأيت عندهم خمسةً من الأمراء، وأكابر الوزراء، في مثابة السفراء، يختص بهم معاملة الممالك الخارجية، والمواصلة بينهم وبين الجهات الأجنبية، يُعْرَفُون في هذه المملكة الزاهرة، بالحواس الخمسة الظاهرة، وأعجبُ ما رأيت عندهم من سوء الحال، ودواعي النَّكَال - وهو من أعظم الأسباب الداعية لوقوع الفتن والاختلال - أن هؤلاء الوزراء يستشيرون في بعض الأمر جماعةً تسمى بالأغراض النفسية من أهل الفساد، وطائفةً أيضًا تسمى بالخصال الذميمة من أهل الشر والعناد، والبغي والاستبداد، والزيغ عن طريق السداد، وكلاهما مُصِرٌّ على رأيه، مصممٌ على غَيِّهِ وبغيه، فيشيرون بما يخالف صَوْبَ الصواب،

(١) البيت لكعب بن زهير ت ٢٦ هـ (ينظر: ديوانه ص ٥١، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ١٥٣)

ويُعَابُ عند ذوي الألباب، ويمتزج ما لهم من سَقَمِ الآراء بأقوال أولئك الخمسةِ الأمراء، وتَسْمَعُ سائرُ رجال الدولة ما تلقيه هذه الحواس الخمسةُ إليهم، وهم يعتمدون في جميع الأقوال عليهم، ويثقون بما لديهم.

وَإذا كان في الأنابيبِ خُلْفٌ   وَقَعَ الطَّيْشُ في صُدورِ الصِّعادِ[1]

فيسري للجميع ما يسري من تلك الآراء السقيمة، ويحدث عنها ما يحدث من الشرور والمصائب العظيمة، إلا أنَّ حِزْبَ الأغراضِ بينهم تفاوتٌ كبير، ولهم اختلاف في الطباع والأوضاع كثير، فمنهم الكريم الوقور، والرحيم الصبور، فهو يدعو إلى الخير في جميع الأمور، ويصد عن الفساد والشرور، ومنهم من هو ذميم السيرة، خبيث السريرة، مُبْغِضٌ للخير والبر، محبٌّ للفساد والشر، فيشير بما يضر البلادَ والعباد، ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[2]، فلما رأيت هذه الأحوالَ الغريبة، في هذه المملكة العجيبة، راعني ما رأيت من أمرها، ولم أَهْتَدِ إلى خَفِيِّ سرها، وظننت أن إدارة الحكمِ فيها بالجمهورية لا بالملك والاستقلال، وزعمتُ أن ذلك سبب ما أراه فيها من الفتنة والاختلال، كما يقع عادة في الممالك الجمهورية من مثل هذه الأحوال، بسبب ما يظهر فيها من الفرق المتعارضة، وما يكون لهم في أحكامهم من الآراء المتناقضة، فهذا ما ذهبتُ باديَ بدْءٍ إليه، وعوَّلت في توجيه أحوال المملكة عليه، ولكنْ لم يتيسر لي فهمُ ما رأيته بِحَقِّه، ولم أعرف مِن بينهم أحدًا أثق به وأعتمد على صدقه، فبقيتُ متفكرا، مضطربـاً متحيرا،

(١) البيت للمتنبي ت ٣٥٤ ه (ينظر: ديوانه ص ٤٦٤) حيث جعل الشاعرُ الأنابيبَ مثلًا للأَتْبَاع، والصدورَ مثلاً للرؤساء، يقول إن اختلاف الخدم يؤدي إلى التجاذب والتنازع بين السادة، كالرماح إذا اختلفت أنابيبها لم تستقم صدورها (ينظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي ص٣٢٧.

(٢) البقرة: ٢٠٥

باهتًا متغيرا، متشوقًا لمعرفة الحقيقة، ولا أجد من يدلني على الطريقة، وإذا شخصٌ عظيم، كأنه ملك كريم، هو رئيس طائفةٍ سرية، تسمى عندهم بـ«المقاصد الخيرية»، يسعى دائمـًا في تسكين الفتن، وإخمادِ نار المحن، وإعادة الصلح والصلاح، وتَسْنِيَةِ[1] أسباب النجاة والنجاح، وتحصيلِ السعادة الأبدية، والراحة السرمدية، فَعَلِمَ ما صرتُ إليه من الغربة، ورَثَى لِمَا أنا عليه من الكربة، فنظر إليَّ، وأقبل عليَّ، وقال: أيها المسكين، والبائس الحزين، قد علمتُ من أطوارِكَ أنك رجلٌ أَرِيب، وفهمت من عدم استقرارك أنك في هذه المملكة غريب، وأنك متحير في أمرك، متردد في فكرك، تريد أن تعرف الأمر، ولا ترى من يُعَرِّفُكَ السر، فَرَثْيتُ لغربتك، وأتيت لتفريج كربتك، وسأُعَرِّفُك هذه الأحوال خبرًا وخبرا، وأُنَبِّئُكَ بتأويلِ ما لم تستطع عليه صبرا، فقلت: كأنك والله كُوشِفْتَ بظاهر أمري وخَافِيه، وقد نَفَّسْتَ عني بقولك بعضَ ما كنتُ فيه، فشكر الله لك هذا الفضلَ العظيم، وإن شئتَ إتمامَ الإكرام، فعَرِّفْنِي باسمك الكريم، فقال: اسمي الفِرَاسة، وقد منحني الله قوةَ الكِيَاسَة، وأطلَعَني على خفايا السرائر، فلا تخفى عليَّ خبايا الضمائر.

ولا علـم لـي بالغيـب إلا طليعـة   من الحزم لا يخفى عليها المغَيَّبُ[2]

ويرحم الله ابن الرومي[3] حيث يقول:

وخَبِـيُّ الفـؤاد يعلمـه العـا   قـل قبـل السـماع بالإيمـاء

(١) التسنيةُ: التسهيل والفتح (ينظر: مختار الصحاح للرازي ص ١٥٦)

(٢) البيت للشريف الرضي، محمد بن الحسين الموسوي ت ٤٠٦هـ(ينظر:محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ١/ ٤٠)

(٣) علي بن العباس بن جريج الرومي، الشاعر المشهور، ولد ببغداد سنة ٢٢١هـ، ومات بها سنة ٢٨٣ هـ (ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢/ ٣١٣)

وظنـــون الذكـــي أنفـــذ في الحـــق ســـهامًا مـــن رؤيـــة الأغبيـــاء[1]

فظني - والحمد لله - هو النظر الصحيح، ونظري - ولا كفران لله - هو الكشف الصريح.

فقـد صِـرتُ لا ألقـى الـذي أسـتزيدُهُ ولا أذكـرُ الشـيءَ الـذي لسـتُ أعرِفُـهُ[2]

وقد جئت لأهديكَ بإذن الله السبيل، وأكونَ لكَ في هذه المملكة من قبيل الدليل، وأشرحَ لك ما خفي من كلِّ أمرٍ غامض، فأجعله واضحًا جليًّا، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾[3]، فقلت: قد أسْبَغْتَ النعمة، وكشفتَ الغمة، فأخبرني أولًا عن الدولة الحاكمة في هذه الأمة، فقال: ليست كما تظن دولةٌ جمهورية، وإنما هي سلطنةٌ تحكم بالاستقلال، والقائم بالحكم فيها ملك رُوحَانيٌّ يُرْسَل إليها من لدن مالك الملك ذي الجلال، فيقوم بتدبيرها وإدارة أمورها ورعاية مصالحها، وملاحظةِ فاسدِها وصالِحِها، حتى تنتهيَ أيامُه، فتنقضي حينئذٍ أحكامُه، وقد قَضت حكمةُ المليك القاهر، على ذلك الملك الكريم الطاهر، أن يقيم في تَخْتِ هذه السلطنة من لحظةٍ واحدةٍ إلى مائة سنة، وإنْ زادَ على ذلك فَنَادِرْ، والله على ما يشاء قادر، فإذا انتهى أَمَدُهُ المحدود، ووافاه يومُه الموعود، خُلِع من هذه الرياسة والسياسة راغما، وخرج على الفور من هذا المُلْك الذي كان فيه حاكما، ليرى في مَآلِهِ جزاءَ أعمالِه ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾[4]، ﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾[5]، ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ

---

(١) ديوان ابن الرومي ١/ ١٣٣.

(٢) البيت لكُشَاجِم، محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك ت٣٦٠ هـ (ينظر: ديوانه ص ٣٤٠)

(٣) مريم ٣٤

(٤) النبأ ٣٨

(٥) النبأ ٤٠

عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾[1]، ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[2]، فعند ذلك يحاسَب هذا الأميرُ على النَّقِير والقِطْمِير، عن كل ما عَمِلَ في هذه الحكومة الصعبة والمُلْكِ الخطير.

فقلتُ: سبحان الله، أعليه صعوبةٌ في إدارة المملكة مع ما له من عظيم الشرف وزيادة المَلَكَة، وشَرفِ أَرُومَتِهِ[3] على أهل حكومته؟ وهل يَجِدُ في إدارةِ حكومته مانعا؟ أو يرى من رعيته مُمانعا؟ لاسيما وقد عَلِمُوا مزيدَ فضله عليهم، وإرساله من قِبَل الحق سبحانه إليهم، وأنهم دونه بدرجات كبيرة، وهو متميز عليهم بمزايا كثيرة، فهم بالضرورة يسارعون لإجابة داعيه، خصوصًا وقد جربوا كثيرًا من حسن تدبيره ويُمْنِ مساعيه، فكيف يغفلون عن مآثره حتى يُعْرِضُوا عن أوامره، أو يتعرضوا لمعارضته ويَجْسُرُوا على مناقضته، كلا بل مثلُ هذا الملك العاقل، والحاكم الحكيم العادل، تقابَل أوامرُه بالقبول والإقبال، ونواهيه بالطاعة والامتثال، فيسهل عليه سياسةُ ما تحت حكمه من الأمم، كما يسهل على الراعي سياسة الغنم، فمن أين تأتيه الصعوبة في إجراء الحكومة، وإصابةِ الغرض من أفعال البر المَرُومَة، فقال: أنت في هذا الكلام معذور، فإنك لا تعلم حقائق هذه الأمور.

إذا مَلَكَتْ قلبَ الفتى مِنْ أمورِهِ ... ظواهرُها اسْتَعْصَتْ عليه السرائرُ[4]

فاعلم أَيَّدَكَ اللهُ بأنواره، وأرشدكَ إلى معرفة أسراره، أن هذا الحَكَمَ المعروفَ

(١) غافر ١٦

(٢) غافر ٥٢

(٣) الأَرُومَة (الأصل) ينظر: (لسان العرب، مادة: أرم ١٢/ ١٤)

(٤) لم أقف على قائله.

باسم العقل، والمُعَبَّر عنه بالنفس الناطقة في كلام أهل الفضل، لما ولاه الله هذه الحكومة السَّنِيَّة، وأولاه هذه المملكةَ الكريمةَ الباطنية، جعله مشاركًا لأهلها في العلائق الإنْسِيَّة، وجميع الأغراض الطبيعية، والاشتياقات النفسية، لِتَتِمَّ سعادةُ حالهم، براحةِ بالِهم، ويظهرَ ما له مِنْ قوة المَلَكَة، وكمال الحكمة والحِنْكَة، وساهمهم في الطبيعة المادية، وقاسمهم فيما لهم من الأمور المعنوية، فهو يتأثر بما يَعْرِضُ لهم من الآفات، ويتلذذ بما يرونه من المستلذات، فمهما عَرَضَ في الحكومةِ أمرٌ يُتَفَاوض فيه أو يُراد إجراؤُه، رجع فيه إلى أقوال الخمسة الحواس الذين هم وكلاؤه وسفراؤه وأمراؤه وأمناؤه، واستشار فيه من أكابر دولته، وأعيان حضرته، طائفتي الخصال الذميمة والأغراض النفسية، وهم أيضًا ندماؤُه وقرناؤُه، فيشيرون عليه بما يشيرون، ويُدَبِّرُون له ما يدبرون، ثم لا يَبتُّ أمرًا خيرًا كان أو شرًّا حتى يَعْرِفَه بنفسه، ويدرَكه بحسه، وحتى يحصلَ عليه إجماعُ الجمهور، وعلى ذلك تدور صعوبة الأمور، فتَعَالَ أوصِلْكَ إلى محلٍّ ظريف، لترى فيه هذا الملكَ الشريف، وتدخل معي إلى مجلسه الكبير، وتسمع ما يكون من المفَاوَضةِ في التدبير، وتعلم حالَ من يدخل سلطَنَتَه مِن وزيرٍ وأمير، وصغيرٍ وكبير.

واعلم أنَّ من أحوالِ هذه الدولةِ ومُقْتَضَى قوانينِها المرعِيَّة، وعاداتها الشرعية، أن لا يَحْتَجِبَ الملكُ أبداً عن أحدٍ من أفراد الرعية، وذلك بلا تخصيص، ومن غير..[1].. أنْ يدخلَ كلُّ واحدٍ منهم مجلسَه الطاهِرَ في أي وقتٍ شاء فلا يمنعهم أحد، ولا يُحْصِي الداخلين عدد، ثم إنه تقدم وأنشد:

يـا ابـنَ الكـرامِ أَلاَ تدنُـو فتنظـرَ مـا ... قـد حَدَّثُـوكَ فمـا رَاءٍ كَمَـن سَـمِعَا[2]

---

(١) كلمة مطموسة في الأصل.

(٢) البيت لابن فَرْفَرَة، حسين بن محمد الدمشقي ت ١٠٧٧هـ(ينظر: خلاصة الأثر ٢/ ١١٣)

فَزِدْتُ تحيرًا مما سمعتُه، ولكني سَكتُّ فسار وتَبِعْتُه، وقلت: لعلي أرى ما يزيل حجابَ الوهم، ويفتح لي إن شاء الله باب الفهم، فسرتُ في سبيلي، والفِرَاسة دليلي، فعايَنْتُ في الطريق بعض تعبٍ وشَقَا، وعانيت بعض عقباتٍ صعبةِ المُرْتَقَى، ورأيت بعض موانعَ لم أكن أُؤَمِّلُها، ولكن كان دليلي بقدر الطاقة يُسَهِّلُها، وصادفتُ بعضَ العوامِ الرعاع، من سَفِلَةِ الرعية والأتباع، وقد علموا أني غريبٌ في دورهم، غير عالمٍ بحقائق أمورهم، فصاروا يشيرون إلى بعض المسالك، ويقولون: إنَّ حَضْرَةَ سلطانِنَا هنالك، يريدون أن يُمَوِّهُوا عليَّ بذلك، وصاروا يَتَرَامَزُون[1]، وإلى جهتي يتغامزون، ويقول بعضهم لبعض في السر، انظروا لهذا الجاهل الغَمْر[2]، والأحمق الغِرّ، قد لَقَّنُوهُ أنَّ حاكِمَنا العقل، يُسَمَّى الروح والنفس الناطقة، وظَنَّ هذا الغريبُ المسكينُ لجهالته أنها قضية صادقة، ولم يعلم لحمقِه أنَّ الرُّوحَ أمرٌ غير موجود، فجاءَ أرضَنا يبحث عن شيءٍ ليس له في الحقيقة وجود، ومنهم من يقول: قف عندنا، فلا غايةَ بعدَنا، إلى كثير من الرَّمْزِ والإيماء، والظنِّ والاستهزاء، واللومِ والتقريع، والطعنِ والتشنيع، وكنت أسمع هذا الكلام، وأَتَجَلَّدُ لوَقْعِ سِهَامِ المَلاَم، ولا أعدل عن السبيل، ولا أُقَصِّرُ في متابعة الدليل.

قَالَ لِي حُسْنُ كُلِّ شَيءٍ تَجَلَّى   بِي تَمَلَّى فقلتُ: قَصْدِي وَرَاكَا[3]

فلما سِرْتُ غيرَ بعيد، في طلب هذا المَلِك السعيد، رأيت بعض الظرفاء، وظننته من العُرَفَاء، فتقدم إليَّ، وسلم عليَّ، وأشار إلى محلٍّ سِرِّيّ، يُعرَف بالقلب الصَّنُوبَرِي،

(١) يعني يتكلمون بالرمز دون النطق حتى لا يفهم ما يقولون.

(٢) الذي لا خبرة له بالأمور (ينظر: العين ٤/ ٤١٧)

(٣) البيت لابن الفارض ت ٦٣٢هـ (شرح ديوان ابن الفارض لبدر الدين اليوريني وعبد الغني النابلسي ١/ ٣٤١)

وقال: إياك أن تتعداه، إن كنتَ ممن يطلب هُدَاه، فنظرت فإذا جمعٌ يفوق الحد، ويَفُوتُ مَراتبَ العَدّ، من خواصِّ وعوام، في احتشادٍ وازدحام، وخَلْقٌ إليه يُهْرَعون، ولديه يجتمعون، وعنه يصْدرُون، ويَعْقُبُهم آخرون، لا ينقطع الوارد والصادر، ولا يُعرف الأول والآخر، فقلت: لا شك أنَّ هذا مجلس المِلَّة، ومركز مَصَالحِ الدولة، ولم أُرِدْ أن أتخطى ذلك المكان، قلت: إن كان ولابد فَهَهُنا السلطان، فأشار إليَّ الدليلُ ألا تَقِفْ، فَسَتَرَى إن شاء اللهُ وتعرف، فسمعتُ وأطعته، وتَقَدمَ وتَبِعْتُه، وسِرْنَا نطوي المنازل، ونقطع المراحل، من طريقٍ إلى طريق، حتى وصلنا إلى مضيق، خرجنا منه إلى قُبَّةٍ بديعة، على ربوةٍ رفيعة، يتصل بها كلُّ ما اشْتَمَلَت عليه المملكةُ في جميع أنحائها، من مواردها وطرقاتها ومسالِكها وجداولِ مائها، وفي هذه القبة من الأنوار اللامعة، والأشعة الساطعة، ما يَغْشَى الأبصار، ويُدهِش النُظَّار، حتى لم يَكَدْ يتيسرُّ لي تمييزُ مَن بها من الحُضَّار، لكثرة الأنوار، إلا بإمعان النظر، وإتعاب البصر، فنظرتُ في خلال لَمَعَات الشعاع، فإذا جماعاتٌ مختلفُو الأوضاع، متباينو الصورِ والهيئاتِ والطباع، ما بين صغيرٍ وكبير، وطويل وقصير، وقوي وضعيف، وجَسِيمٍ ومخيف، وهم يُعْرَفُون بالاشتياقات واللذات، والأغراض والأهواء، ومع كل واحد مِرآَةٌ كثيرة الأضْلاع، لَمَّاعَةُ الشعاع، ينعكس فيها ما في القِبْلَة من الأضواء، فيَظْهَرُ كثيرٌ من الصور والأشكال، والألوان البديعةِ المِثَال، فكان بَصَرِي يَضْعُفُ عن مقاومة هذه الأنوار، وقلبي يتعجب من غرابة ما رأيت في تلك الدار، حتى أني لِفَرْطِ ما هَالَني من غرابة الأمر، وأنه لم يسبق لي به عادةٌ في سالفِ العُمُر، لم أميزْ في أولِ الحال شكلَ العقلِ الحاكم في ذلك القُطْرِ بوجهِ اليقين، وعلى صورةِ التعيين، لكن رأيتُ كثرةَ ما له من الأنوار، فوق ما لغيره من الحُضَّار، وما يعلوه من الهيبة والوقار، فأخذت بالظنِّ والتخمينِ أنه العقلُ المشهور، وتَأَيَّدَ ما فهمتُه من ذلك بإخبار دليليَ المذكور، ثم نظرت إليه فرأيت عنده امرأتين

ظريفتين عفيفتين، قد زَانَهَمُا الحُسْنُ والجَمال، وعَلاهما الأدبُ والكمال، وفي يد كلِّ واحدةٍ شُعْلَةٌ تَسْطَعُ نارُها، وتكادُ تَغْشَى الأبصارَ أنوارُها، وعندهما جاريةٌ جُثَّتُهُا عارية، وفي يدها مرآةٌ كثيرةُ البَرِيق، مستورةٌ بغِشَاءٍ رقيق، فكانت تُدِيرُها إليَّ، ولا تزال تَجْلُوها عليَّ، فسألتُ الدليلَ عنهن، فقال: إحداهن الاستقامة، والثانية العفة والثالثة السلامة، والملك يعتمد عليهن، ويخشاهن ويَرْكَنُ إليهن، ثم نظرتُ فإذا في الطرف الآخر، شابةٌ ذاتُ جمالٍ فاخِر، ودلالٍ ظاهر، وحسنٍ زَاهِر، ومنظرٍ باهر، وهي تَسْحَرُ العقولَ بألفاظها، وتُسَخِّرُ القلوبَ بألحاظها.

إذا أبْصَـرَتْ قلبًـا خليًّـا مـن الهـوى   تقـولُ لـه كُـن مُغْرَمًـا فيكـونُ[1]

وعلى رأسها تاجٌ من الزهر، كالكواكبِ لدى البدر، ورأيتها تتكلم بفصاحةِ لسان، وتَتَفَنَّنُ في أساليب البيان، فلما وَقَعَ بصري عليها، لم أتَمَالَك أنْ صَبَوْتُ إليها، وكِدْتُ أَصِيرُ أسِيرَ جمالِها، ورَهِينَ حِبَالِها، وصَرِيعَ نِبَالها، فسألت دليليَ عنها، وقد تَفَرَّسَ ما أصابني منها، فقال: هذه تُعْرَفُ في المملكة الإنسانية، بالشهوة الحيوانية، وهي مع ما لها من الجمال، عاريةٌ عن خِلَالِ الكمال، مَجْبُولةٌ على المَكْرِ، والخيانةِ والغَدر، وكم وراءَ هذا الحسنِ والزَّين، من عارٍ وشَنَارٍ[2] وشَيْن.

علـى وَجْـهِ مَـيٍّ مَسْـحَةٌ مِـن مَلاَحَـةٍ   وتحـتَ الثيـابِ العـارُ لـو كان بَادِيَـا[3]

---

(١) البيت لداود بن عيسى بن أيوب ت ٦٥٦هـ (ينظر: المنهل الصافي لابن تغرى ٥/ ٣٠٠)

(٢) الشَّنَار: العيب والعار (ينظر: الجراثيم لابن قتيبة ١/ ٤٣٠)

(٣) البيت لذي الرُّمَّة، غيلان بن عقبة، ت ١١٧هـ (ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/ ١٢) وفي الأغاني للأصفهاني ١٨/ ٢٦: وتحتَ الثيابِ الخِزْيُ، وفي خزانة الأدب للبغدادي ١/ ١٠٩: وتحت الثياب الشَّيْنُ.

فالحذَرَ الحذرَ مِن مكرِها، والفرارَ الفرارَ مِنْ شرِّهَا ونُكْرِها[1]، ولا تنظر لما فوقَ رأسِها من الأزهار، ولكنِ انْظُرْ إلى ما تحتَ قدمِها من الأخطار، فَرَجَعْتُ البصر إليها، ونظرتُ لما تحت رجليها، فإذا مَهْلَكَةٌ شَنِيعة، ومَهْوَاةٌ فظيعة، تَهُولُ الناظر، وتَرُوعُ الخاطر، يُسمَعُ منها أنينٌ ورَنِين، وبكاءٌ وحنين، وصِيَاحٌ مرتفع، ونَحِيبٌ لا ينقطع، تَتَصَدَّعُ لِفَظَاعَةِ مَرْآها وسمعِها الأكباد، وتكاد تَتَزَعْزَعُ لشدةِ هولِها الأطْوَاد[2]، فامتلأتُ فزعًا، وكاد ينخلع قلبي هلعًا وجزعًا، وأدرَكَنِي لِمَن وقع في هذه الورطة البعيدةِ الشُّقَّة من الرحمةِ والشَفَقَة، والرَّأفةِ والرِّقة، ما يَقِلُّ دونه البيان، ويَكِلُّ في وصفه اللسان، فقلت: إنَّا لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، كل هؤلاء أوقَعَتْهُم الشهوةُ في هذه الغَائِلَة، ورَمَتْهُم بكيدها في هذه الورطة الهائلة، فنعوذ بك اللهمَّ من الندامة، ونسألك حسنَ السلامة، والعفةَ والاستقامة، ثم إني عُذْتُ بالله من شرِّها، وصرَفْتُ نظري عن تلك الجهةِ بأسرها، ودَقَّقْتُ النظرَ في جهةِ ذلكَ الملكِ العادل، لعلي أنسى ما رأيت من ذلك المنظرِ الهائل، فإذا عند تَخْتِ[3] سَلْطَنَتِه، عن ميسرتِه ومَيْمَنَتِه، أمورٌ عجيبة، وأشياءُ غريبة، تَسْتَوْقِفُ الطَّرْف، وتستدعي الوصف، وبينها شخصٌ مَهِيبُ المنظر، عجيب الخَبر والمَخْبَر، حَدِيدُ المِزَاج، بعيد العلاج، قويٌّ شديد، عنيدٌ مَرِيد، قليلُ التفكُّرِ والتدَبُّر، كثير التهور والتكبر، وهو يَلْحَظ الحاضرين شَزْرًا[4]، ويُوْسِعُهُم فُحْشًا وهجرًا، ويُكْثِرُ لمن يكلمه نَهْرًا وزَجرًا، وهو أَرْعَنُ أحمق، أعْوَجُ أخْرَق، لا يَمَسُّ شيئًا إلا مَزَّقَه،

---

(١) النُّكْر: الدهاء (ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٠/ ١٠٩)

(٢) جمع طَوْد، وهو الجبل العظيم (ينظر: المحكم لابن سيدة ٩/ ٢٢٩)

(٣) التَّخْتُ وعاء تُصَان فيه الثياب، وموضع مرتفع للجلوس وهو والمراد هنا (ينظر: المعجم الوسيط ١/ ٨٢)

(٤) يقال: نظر إليه شَزْراً، وهو نظر الغَضْبان بمؤْخِر العين (ينظر: الصحاح للجوهري ٢/ ٦٩٦)

ولا يعالج أمرًا إلا أتْلَفَه وخَرَّقَه، فقلت للدليل: ما هذا الشخصُ العجب؟ فقال: هذا هو الغضب، ثم رأيتُ في طرفٍ آخر شخصًا نحيلَ البدن، طويلَ الحَزَن، أصفرَ اللون، أحمرَ العَيْن، أضْنَاهُ الهَمّ، وأَفْنَاه السَّقَمُ والغَم، وبإحدى يديه قَدَحٌ فيه سُمٌّ نَاقِع، وفي اليد الأخرى منه سيفٌ قاطع، وهو لا ينفك يَسْكُبُ السمَّ على بدنه ورأسه، ويجرحُ بذلك السيف الباترِ أعضاءَ نَفْسِه، فقلت: مَن هذا الشخص البَادِي الكَمَد، البَالِي الجسد؟ فقال: هذا هو الحَسَد، ثم رأيت شخصًا رفيعَ المكان، بديعَ البيان، قَوِيَّ الجَنَان، في يده آلاتٌ لَطِيفة، وأدواتٌ ظريفة، وأسلحةٌ لَمَّاعَة، بديعةُ الصِناعة، فأعجَبَنِي حُسْنُها، وراقَنِي لَونُها، ولكني دَقَّقْتُ النظر، فرأيتها تَقْطُرُ نَجِيعًا[1]، وتَتَصَبَّبُ سُمًّا نَقِيعًا، فقلت: أعوذ باللهِ مِن هذا الذي أراه، فقال: هذا حُبُّ الجاه، ثم نظرتُ فإذا شخصٌ سيءُ الحال، كَاسِفُ البال، ظاهرُ البَلْبَال[2]، رَثُّ الملبس، قبيحُ المنظر والملمس، في حالةٍ يَضْحَكُ منها المقهور، ويستخِفُّ لها الوقور.

وَسِخُ الثوبِ والعِمَامَةِ والبِرْذَون والوجهِ والقفا والغلامِ[3]

قد اعْتَرَتْه الأمراض، وغَيَّرته الأغراض، وأنْحَلَتْهُ الهموم، وأَبْلَتْهُ الغُمُوم، وهو جالس على كرسيٍّ منصوب، فوق رَابِيَةٍ من ذهبٍ مَضْرُوب، وهو خائفٌ مِنْ نَفَادِه، مجتهدٌ في ازدِيادِه، وخلفَه صِبْيَةٌ يلعبون، ويُغنّون ويَطْرَبُون، ويضربون بالدفوف،

---

(١) النَّجِيعُ: دم يميل إلى السواد (ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٥/ ٣٩٥)

(٢) الهَمُّ وَوَسْوَاس الصدر (ينظر: مختار الصحاح ١/ ٤٠)

(٣) نسب البيت للعَطَوِي، محمد بن عبد الرحمن الكِنَاني ت ٢٥٠هـ في شرح ديوان المتنبي للعُكْبَرِي ٢/ ٣٧٠، ونسب لابن حجاج، حسين بن أحمد البغدادي ت ٣٩١ هـ في غرر الخصائص الواضحة للوطواط ص٧٤.

ويصفقون بالكفوف، رأيتهم يُسَارِقُونَه النظر، ويُفَرِّقُونَ مالَه شَذَرَ مَذَر[١]، فقلت: من هذا اللئيمُ القُحّ[٢]؟ قال: هذا هو الشُّحّ، ورأيت عند العقل امرأةً عاقلة، كاملةً فاضلة، كاتبةً حاسبة، تكتب كلَّ ما رأتْه أو سمعَته، وتحفظ كل ما استُودِعَتْه، في أقْرَبَ مِنْ وَحي الكَفّ، وأسرع من لَـمْح الطرف، لا تَذَرُ جليلةً ولا حقيرةً، ولا تغادِرُ صغيرةً ولا كبيرة، وعندها شخصٌ أبْلَه، يَسْتَغْفِلُها ويسرق بعض ما سَطَّرَتْه، وشيخٌ هَرِمٌ يُتْلِفُ كلَّ ما بقي بعد ذلك مما حَرَّرَتْه، فعرفتُ أن الكاتبةَ هي القوةُ الحافظةُ في الإنسان، وذلك الأبلهُ هو النسيان، وذاكَ الشيخُ الهرمُ هو الزمان، ثم رأيت الكرمَ في قُبَالَةِ البُخْل، وهو بمكانةٍ من الشرف والفضل، مرتفعُ القَدْر، منشرحُ الصدر، طاهر النفس، ظاهر الأُنْس، يجود من الموجود، ولا يتكلف المفقود، ولا يُسرفُ في الجود، ورأيت الكِبْرَ ثانيَ عِطْفِه، شامخًا بين أقرانه بأَنْفِه، يَأْنَفُ من أبناءِ جنسه، ويَنْفِرُ من أسباب أُنْسِه، ويَجُرُّ رداءَ التَّعَالي، ويخطر في رُوَاءِ[٣] التَّغَالِي، ويَنْظُرُ إلى كلِّ أحدٍ نَظَرَ المُبْغِضِ القَالِي، وأمَامَه الدَّنَاءَةُ قد لَزِمَتْ صَفَّ النِّعَال، ورَضِيَتْ بكلِّ ما زَانَ وشَانَ من جميعِ الأفعال، ورفَضَتِ الأنفَ ظِهْرِياًّ[٤]، وجعَلَتِ الشرفَ شيئًا فَرِيًا، فهي مع الكبر في طَرَفَيْ نَقِيض، هو في الأَوْج[٥] وهي في الحَضِيض، وهكذا كلُّ شيءٍ كنتُ أرى أمامَه ضِدَّه، وأُشاهدُ ما يُشَاكِلُهُ ويناسبه عِنْدَه.

فقلتُ تَعَجَّبوا مِن صُنْعِ ربي ... شَبيهُ الشيءِ مُنْجَذِبٌ إليهِ[٦]

---

(١) يُقال: ذهبَ القَوم شَذَرَ مَذَرَ: أي ذَهبوا وتفرقوا في كل وجه (ينظر: معجم ديوان الأدب للفارابي ١/ ٢١٢)

(٢) الخالص من كل شيء، يقال: عربي قح أي خالص لا عُجْمَةَ فيه (ينظر: تهذيب اللغة للأزهري٣/ ٢٤٧) وهو هنا بمعنى الخالص اللؤم.

(٣) الرُّوَاء: المَنْظَر (ينظر: غريب الحديث لإبراهيم الحربي ٢/ ٧٦٣)

(٤) اتخذ الأمرَ ظِهْرِياًّ: اسْتَخَفَّ به (ينظر: المحكم لابن سيدة ٤/ ٢٨٧)

(٥) الأَوْج: العلو (ينظر: المعجم الوسيط ١/ ٣٢)

(٦) لم أقف على قائله.

ورأيت بين الجميع العدل، وهو أجَلُّ وزراءِ العقل، كان في وسط الجميع جالساً في مكان رفيع، وهو يُصلحُ بينهم في جميع الأحوال، ويدعوهم إلى التوسطِ والاعتدال، في جميع الأقوال والأفعال، فهو ينهى عن الإسراف والتبذير، كما ينهى عن البخل والتَّقْتِير، ويُنَفِّرُ من الدناءةِ والاستكانة، والذِّلَّةِ والمهانة، كما يحذر من التكبر، والأَنَفَةِ والتجبر، وهكذا كان دَأْبُه في جميع الأمور، يُقَبِّحُ الغلوَّ والإفراطَ كما يُقَبِّحُ التقصير والقصور، وفي يده موازينُ[1] تُخْرِجُ الشَّعْرَة، وتُبَيِّنُ الذَّرَّة، وهي موازين[2] العدالة والسَّدَاد، يَرُدُّ بها ما نقص مثلما يرد ما زاد، ثم رأيت امرأةً مُخَدَّرَة[3]، مُعَظَّمَةً مُوَقَّرَة، يلوحُ عليها الجمال، وتحيط بها أُبَّهَةُ الكمال، ويبدو عليها اللطفُ والكرم، ومحاسنُ الشِّيَم وعُلُوُّ الهمم، ورأيت كلَّ أحدٍ يعظمها، ويُحَيِّيها ويُكرمها، إلا جماعة من الأسَافل، والأوباشِ الأراذِل، كانوا لا يُوَقِّرُونها، بل رأيتهم يَحْقِرُونها، ولكنها كانت لا تَحْفَلُ بما يُبْدِيه أهلُ الفساد والشِّقَاق، كما أنها لم تكن تنخدعُ بِتَمَلُّقِ أهل النفاق، بل كانت تنظر فيما يُعْرَضُ من الدعاوَى والشكاوَى بالعدلِ والحِلْم، وتُفَصِّلُ فيها الحكمَ بالفطنة والذكاء والفضلِ والعلم، ورأيت على رأسها إكْلِيلاً من الزهر، لا يَذْبُل مدى الدهر، فلا يزال يَرِفُ[4] خُضْرَة، ويتلألأ بهجةً ونُضْرَة، ويَجْلِبُ للعين قُرَّة، وللخاطر مَسَرَّة، وخلفَها شخصٌ مهيبُ الصورة صعبُ المِرَاس، يَرْفُلُ في سواد اللباس، كأنه من بقايا بني العباس، وفي يده سَوْطٌ مَجْدُول، يَرُوعُ منظرُه القلبَ ويَهُول، ورأيت العقل يخاطب كلَّ مَن حضرَ في ديوانه، ويستشيرُ هذه المرأةَ الفاضلة في جميع شانه، فعَسُرَ

---

(١) في الأصل: ميزان.

(٢) في الأصل: ميزان.

(٣) أي مستورة ملازمة للخدر (ينظر: الصحاح ٢/ ٦٤٣)

(٤) وَرَفَ يَرِف وَرْفاً ووَرِيفاً أي: اهتزَّ واشتدّتْ خُضْرتُه(ينظر: العين ٤/ ٩٥)

عَلَيَّ معرفةُ أمرِها، وسألتُ الدليلَ عن خبرها، فقال: هي البصيرةُ المعروفة بحسنِ آرائها، وهي مِنْ نُبَهَاءِ هذه الدُّورِ ونبلائِها، وأعظمُ أمرائها ووزرائها، وسلطانُنَا يوقرها، ويخشاها ويَحْذَرُها، ويحرص على استجلَاب قلبِها وإرضائِها، ويستنهضُ العامَّةَ والخاصة لموافقةِ آرائِها، فتدورُ الأمورُ على السَّدَاد، وتطمئنُّ البلادُ والعباد، ويتم المراد، وقد يقع بينهما الشِّقَاق، وتَنْحَلُّ روابطُ الاتفاق، فيُظْهِرُ كلٌّ منهما لصاحبه الخصومة، فَتَخْتَلُّ عند ذلك أمورُ الحكومة، ويتغلبُ في خلال ذلك الاختلال طائفتا الأغراض النفسِيَّةِ والخِصالِ المذمومة، فيجدون فرصةً لترويج ما يريدون من الشر والفساد، ويَجِدُّون في إقامَةِ الحكومة الجمهورية المُضِرَّةِ بهذه البلاد، فَيَفْسُدُ حينئذٍ انتظامُ الأحوال، ويعزلون حاكمَنا العقلَ من مُلْكِهِ الحاكمِ فيه بالاستقلال، فَتَشْتَدُّ المصائب، ويَنُوبُ المملكةَ ما لا يُحْصَر من النوائب، ويتعدى أراذلُ الناس وأسَافِلُهُم على أعاظمِهِم وأمرائهم، ويَنْتَهِبُون كل ما يَنْتَهُون إليه من أموالهم وأشيائهم، ويصرفون جميع الواردات في السُّخْفِ والسَّرَف، ويأتون بكل ما يؤدي للتلف، ويُخِلُّ بالشرف، من الظلم والغَشْم، والنهب والغصب، فتَفْتَقِرُ الأغنياء، ويضْمَحِلّ الفقراء، ويعم البلاء، ويَعْظُمُ الاضطراب، وتُشرِفُ المملكةُ على الخراب، ويكاد يُفْضِي هذا الحالُ والاختلال، إلى الوَبَالِ بالمَرَّةِ والزَّوَال، لولا ذلك الشخصُ المهيب، القابضُ على ذلك السَّوْط العجيب، الواقفُ خلفَ البصيرةِ على القَدَم، المعروفُ في هذه المملكة الباطنيةِ بالنَّدَم، فهو الذي يَتَأَتَّى له حسمُ الفَسَاد، وإعادةُ الصلحَ والصلاحَ بين العباد، ويَسْتخلِص عِنَانَ السياسة من أيدي الأغراض النفسية والخصالِ الذميمة، ويُسَلِّمُهُ لحاكِمِنا العقلِ من يدِه الكريمةِ ويعيده لحالتِهِ القديمة، وذلك بعد أن يؤَدِّبَه بذاكَ السوطِ الذي في يده، من غير أن يَرْعَى شرَفَ سلطانِه وعلُوَّ مُسْنَدِه، فتعود الأحوال لِمَا كان من جمالها، وتدور أمورُ الملكِ على مِحْوَرِ كَمَالها، فهذا حالُ الندمِ وصَنْعَتُه، وهذه مَزِيَّتُه

في هذه الدولة ومنفعته، ولكنه قد يمنعه من أداء هذه الوظيفة في بعض الأحيان، امرأةٌ تسمى الأُلْفَة وهي الجالسةُ في ذلك المكان، فانظر نَظَرَ المُتَأَمِّلِ إليها، وتَأَمَّلْ أيضًا هذه السلسلةَ التي في يديها، فهي في النظر صغيرةٌ حقيرة، وفي ميزان العقل ثقيلةٌ خطيرة، فانظر لِسِيمَاها، وسَحْنَةِ مُحَيَّاهَا، تجدها ليس عندها من الغرض أثر، وليس لها إلى شيءٍ من الخير والشر في نفسه نَظَر، وإنما تتعلق بمن يَكْثُرُ تَرَدُّدُهُ إليها، وتتكررُ رؤيتُه على عينيها، غيرَ فَارِقَةٍ بينَ نافعٍ وضار، ولا بين فاجرٍ وبار، فهي كما قال أبو الطيب المتنبي:

خَلَقْتُ أُلُوفًا لو رحلتُ إلى الصِّبا　　　لفارَقْتُ شَيْبِي مُوجَعَ القلبِ باكيا[1]

وهي وإن كانت مُخِيفَة، فلا تظنها عاجزةً ضعيفة، فإنها قد تُخَالفُ البصيرةَ في آرائها، وتَغْلِبُ عليها في بعض الأمور بأهوائها، وحينئذ تتعسرُ النجاةُ والنجاح، ويَنْسَدُّ على الدولة بابُ الصلاح والفلاح، ثم قال: إذا وَعَيْتَ ما دارَ بيننا من الأقوال، فقد عرفتَ إجْمَالَ ما لهذه الخَصْلَةِ من الأحوال، وقد رأيتَ بعضَ المواضع المهمة، وأدركتَ عاداتِ هذه الأمة، ورأيتَ معظمَ أعيانِها وكُبَرَائِها، وعلمتَ من يدخل مجالسَها العاليةَ من أمرائها، فتعالَ بنا الآن نتقدم إلى الأمام، لنستمعَ ما يدور في المجلسِ العالي من الكلام، ونَطَّلِعَ على ما يُبْرَمُ به من الأحكام، فإني أرى أربابَه في احتفالٍ عظيم، وأظنُّهُم سيتفاوضون في خَطْبٍ جَسِيم، فَهَلُمَّ لتسمعَ وترى وتعرفَ ما جرى، ثم سار إلى نحو تختِ السلطنة، المستوِي عليه سلطانُ هذه الأمكنة، فَسِرْتُ خلفَه بين القائمين، وجلستُ بإشارته جهةَ اليمين، وأنا أقول في نفسي: يا هل ترى ماذا أسمع بعد وماذا أرى؟ فلما استَقَرَّ بي المكان، وجلستُ أتأملُ بِقَدْرِ الإمكان، إذا بأحدِ السفراء الخمسةِ حَضَر،

(١) البيت للمتنبي ت ٣٥٤هـ (ينظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي ص٣١١)

وعرفتُ بالفِرَاسَةِ أنه النَّظَر، فقام أمامَ السلطانِ ما بين القوم، وقال: قد رأيتُ في المملكة الفلانيةِ كذا وكذا اليوم، ثم قام مِن بعدِه السمع، وقال بين أولئكَ الجَمْع، أنا أيضًا سمعت كَيْتَ وكَيْت، وما كذبتُ فيما حكيت، والله خير الشاهدين، ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾(١)، فقال الملك: أيها الملأُ بمَ تشيرون؟ وماذا ترون في هذه الحادثةِ وبمَ تأمرون؟ فقام حُبُّ الجاهِ من مِقَامِه، واستدعى الحاضرينَ لسماعِ كلامِه، وخطبَ خُطْبَةً مَدَّ فيها أطنابَ(٢) الإطْنَاب، وأشار على الملكِ بما زَعَمَ أنه المُوَفِّقُ لصوابِ الصواب، وقال: هذا هو الرأي الذي لا غبارَ عليه، ولا ينبغي أن يُشَار إلا له أو يُسَارَ إلا إليه، فإنَّ لنا فيه النصرَ ومزيدَ الجاه والفخر وسعادةَ الرعايا، والشرفَ بين البرايا، فقد أخَلَّتِ تلك الدولةُ بجاهنا، وعاملتْنَا بما لا ينبغي لأشباهِنا، وطلبَ من العقلِ أن يوافقَ على الرأي المذكور، ثم قعَدَ مع كمالِ الأُبَّهَةِ والغرور، فقال العُجْبُ: لقد أجاد فيما أفاد، وأشار بالحقِّ والسَّداد، فهذا رأيٌ مقبول، وأمرٌ معقول، يرشدنا إلى الخير، ويُبْعِدُنا عن الضَّيْر، فلا ينبغي التَّأَخُّرُ عن هذا الرأي السديد، و﴿نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾(٣).

إذا أنـت لـم تعـرف لنفسِـكَ حقَّهَـا هَوانًـا بهـا كانـت علـى النـاسِ أهْوَنَـا(٤)

فقامت النخوةُ في حسنِ رُوَائِها(٥)، وهي تجر رداءَ كبريائِها، وتختالُ في ثوبِ خُيَلائِها، وقالت: نعم هذا رأيٌ نافع، فلا ينبغي أن يكون له مُمَانِع، وقد أصابَ حبُّ

---

(١) يوسف ٨١

(٢) جمع طُنُب، وهو حبل تشد به الخيمة (ينظر: العين ٧/ ٤٣٨)

(٣) النمل ٣٣

(٤) نسب البيت إلى كَنَّاس لم يُسَمَّ في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ١/ ٦٣٠.

(٥) الرُّوَاء: حُسن المنظر (ينظر: جمهرة اللغة ٢/ ١٠٦٩)

الجاه في آرائه، فلا ينبغي التعرُّض لمِرَائِه، فلما أكملت قولها، وقَعَدَت بين مَن حَوْلَها، قام الغضبُ مُتَنَمِّرا، وكَلَّمَ الحاضرين مُتَهَوِّرا، وصار يَلْحَظُهُم شَزْرًا، وكأنَّ عينيه تَقْدَحَان شَرَرًا، وهو يقول: يا قومِ أين عَزَبَتْ[١] أحلامُكم؟ وغَرَبَت أفهامُكم؟ أمَا آنَ أن توافقوا على هذا الرأي السديدِ والتدبيرِ المفيد، أليس فيكم رجلٌ رشيد، أمَا فيكم من يهمّه حِفْظُ نَامُوسِنا، والعنايةُ بوقايةِ شرفِ نفوسِنا، أهذا الرأيُ مما يُتَرَدَّدُ فيه، أو ينازعُ في إجرَائِه نبيه، أمَا فيكم من تحركه الحَمِيَّةُ والعصبية؟ وقد تهاوَنَتْ بنا هذه الدولةُ الأجنبية، فأَخَلَّتْ بِمقَامِنا، وأَزْرَتْ على أحكامنا، فلابُدَّ مِن إيذانِهَا بالحرب، والبروزِ معها إلى مواقف الطعنِ والضرب، وتَكْلِيمِها بِلِسانِ الصارمِ العَضْب[٢].

فـإِنْ عَصَيْتُـمْ مَقالِـي اليـومَ فاعْتَرِفُـوا   أَنْ سَـوْفَ تَلْقَـونَ خِزْيـًا ظاهِـرَ العـارِ[٣]

وما زال في مثل هذه الأقوال وهو يقومُ ويقعد، ويُقَرِّبُ ويُبْعِد، ويُبْرِقُ ويُرْعِد، ويُصَوِّبُ ويُصَعِّد، ويدعو لموافقةِ حبِّ الجاه، على الرأي الذي كان أبداه، إلى أنْ تَحَرَّكَ الحسد، ووَثَبَ وثْبَةَ الأسد، وقال: يا قومِ ما هذه الحَيْرَة؟ وأين الحَمِيَّةُ والحماس والغَيْرَة؟ عليكم بهذا العدوِّ فأنْزِلُوا به النِّقْمَة، واسْلُبُوا عنه كلَّ ما عنده من النعمة، أمَا ترون ما له من المال؟ وأسبابِ الزينة والجمال؟ ومواردِ القوة؟ وأسباب اليَسَارِ والثروة؟ يوشك والله أن يُضَاهِيَنا، ويُجَارِيَنا في الفَخَار ويباهيَنا، وربما يَشْرُف علينا ويَسُود، فما لنا لا ننظر إليه نظرَ الحسود، ونَثِبُ عليه وثبةَ الأسود، ونُنْزِلُ به النُّوب[٤]

---

(١) عَزَبَ عن فُلانٍ حِلْمُه: بَعُدَ وغابَ (ينظر: الصحاح ١/ ١٨١)

(٢) يقال: سيفٌ عَضْبٌ، أي قاطع (ينظر: تاج العروس مادة: عَضَب ٣/ ٣٩٠)

(٣) نسب البيت لأبي قيس ابن الأسْلَت، صيفي بن عامر الأوسي ت١هـ في الأغاني ١٧/ ١٣٥، ونسب إلى قيس بن رفاعة الواقفي في أمالي القالي ١/ ١٣.

(٤) جمع نائبة أو جمع ناب، وبكليهما يستقيم المعنى.

السود، فلما أنهى مَقَالَه، قامَ البخلُ يجر أسْمَالَه[1]، ويمسح مَبَالَه[2]، وقَدَّمَ مقدمةً من علم تدبير المنزِل، وقال يا قومِ ما لكم عن الحكمة بِمَعْزِل، إنكم إذا قَبِلتم هذا التدبير، وعَدَلْتُم في إجرائه عن طريق التبذير، كَثُرَت علينا مواردُ الغِنَى، وبَلَغْنَا غاياتِ المنى، وهكذا كان كلٌ يُبْدِي أفهامَه، ويُرَوِّجُ على الحاضرين أوهامَه، والملكُ يستمع استماعَ الأَرِيب، ولكنه ينظر إليهم نظرَ المُسْتَرِيب، فنهضَ الخُمُود، والخمولُ والجمودُ، وتعَرَّضُوا لمعارضةِ هذه الجنود، وقاموا بين الجُلاّس، لكن في أُخْرَيَاتِ الناس، وقالوا لقد تَعَدَّى الغضبُ وقومُه جِداً، وجاءوا من ذلك الرأي شيئًا إداً[3]، ما لنا وللنزالِ والنضال، والتعرضِ للنِّبَالِ والنِّصَال، فاحذر أيها الملك منهم، وذرهم وأعْرِضْ عنهم، ولا تسمع آراءَهم، ولا تَتَّبع أهواءَهم، فليس اتِّبَاع آرائِهم من السُّنَّةِ ولا الفَرْض، ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[4].

متى تُردِ الشِّفَاءَ لكلِّ غَيظٍ تكُن مما يَغِيظُكَ في ازْدِيَادِ
إذا لم تَتَّسِعْ أخلاقُ قومٍ يضيقُ بها الفسيحُ من البلادِ[5]

ولم تأت هذه المملكةُ الأجنبيةُ بما يُغْضِبُنا، وإن كانت أيضًا لم تَجيء في الحقيقة بما يعجبنا، وهَبْ أنها اهْتَضَمَتْنا[6]، وأساءت إلينا وظلَمَتْنَا، فالأَوْلَى أن نَصْبِرَ على

(١) جمع سَمَل، وهو الخُلَق (ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ٣/ ٥٧)

(٢) المَبَال: مخرج البول (ينظر: المعجم الوسيط ١/ ٧٧)

(٣) الإِدُّ: الداهية والأمر العظيم (ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري ٢/ ١٢٧)

(٤) المؤمنون ٧١

(٥) نسب الشعر لدعبل الخزاعي ت ٢٤٦ هـ في مجمع الحكم والأمثال من الشعر العربي لمحمد قبش ٨/ ١٨٤، ولم أقف عليه في ديوان دعبل.

(٦) يقال: هَضَمَ فلاناً واهتَضَمَه أي ظلمه وغصبه حقه (ينظر: المعجم الوسيط ٢/ ٩٨٧)

أمرها، ونَطْوِيَها على غَرِّهَا[1]، ونتغافلَ عن شرها، ولله دَرُّ الذي يقول:

وَلقــدْ أَمُــرُّ علــى اللئيــمِ يســبُّني   فمضيْــتُ ثُمَّــتَ قُلْــتُ لا يعْنِينِــي[2]

والذي يقول:

ليــسَ الغَبِــيُّ بســيدٍ في قومِــه   لكــنَّ ســيدَ قومِــه المُتَغَابِــي[3]

فقام الجبنُ مبتعدًا، ووقف في آخر الجميع مُرْتعدًا، وأنشد:

أرى خَلَــلَ الرمــادِ وَمِيــضَ جمــرٍ   ويوشــكُ أن يكــونَ لــه ضَــرَامُ[4]

فــإنَّ النــارَ بالعُودَيــن تُــوْرَي   وإنَّ الحــربَ أولُهــا كلامُ[5]

وقال يا قوم ما لنا نَتَهَافَتُ على المَهْلَكَة، بالتعرضِ لقتال هذه المملكة، واتقاءُ الشرِّ أَحْزَمُ، والبقاء على النفس أحْكَم، وليس للمرءِ رأسٌ يدَّخِره غير رأسه، ولا نَفْسٌ يُنْتَفع بها بعد نفسه.

ولــو أنَّ لــي رأســين أَدَّخِــرْ واحــدًا   وأَلْقَــى المنايــا بعــدَ ذاكَ بواحــدِ

(١) يقال: اطْوِ الثوبَ على غَرِّه، أي على ما فيه من كسرٍ وتَثَنٍّ (ينظر: العين ٤/ ٣٤٥)

(٢) نسب البيت إلى شمر بن عمرو الحنفي قاتل المنذر بن ماء السماء في الأصمعيات ص ٣٦، ونسب إلى عميرة بن جابر الحنفي في مجمع الحكم والأمثال من الشعر العربي ٩/ ١٥٤، ونسب في كتاب سيويه ٣/ ٢٤ لرجل من المولدين من بني سلول لم يُسَمّ.

(٣) البيت لأبي تمام ت٢٣١هـ (ينظر: ديوانه ص ٢٨)

(٤) الضِّرَامُ: اشتعال النار في الحلفاء ودقاق الحطب(ينظر: الصحاح٥/ ١٩٧١)

(٥) الشعر لنصر بن سَيَّار ت١٣١هـ وَالِي خراسان من قبل الخليفة الأموي مروان بن محمد، يخاطب به الأمويين لما ظهرت دعوة العباسيين في خراسان ليحثهم على القضاء عليها (ينظر: العقد الفريد لابن عبد ربه ٤/ ٢٩٣)

لأَقْدَمْتُ في الهيجاءِ إقدامَ باسلٍ ولم أكُ هَيّابًا لِوَقْعِ الشدائدِ
ولكنَّ لي رأسًا إذا ما فَقَدْتُه وفارَقَنِي يومًا فليس بعائدِ[1]

وقال أبو دُلَامَة[2]:

ولو كان لي نفسانِ كنتُ مُقَاتلا بإحداهما حتى تموتَ فأَسْلَمَا[3]

فَتَلاه الكسلُ متبعًا، وتكلَّمَ قاعدًا ومضطجعًا، وقال يا قوم ليس للراحة قيمة، وليس مثلها للعاقل غنيمة، وليس في تعبِ النفس نَفْع، ولو كان

مع الراحة - كما قيل - صَفْع، عنيتُ قول القائل:

دع الهُوَيْنَا واكتسبْ وانتَصِبْ واكْدَح فنَفْسُ المرءِ كَدَّاحَة
وكن عن الراحة في مَعْزِلٍ فالصَّفْعُ موجودٌ مع الراحة[4]

فقامت الاستِكَانَة مع الخضوع، وهما يَذْرِيَان[5] على الخدود سيلَ الدموع، وقالا: أرْفَقُ ما يكون، إذا عزَّ القرينُ أنْ نَهُون، حتى نُكْفَى أمرَه، ونأمنَ شَرَّه، ولله دَرُّ أبو[6] العتاهية[7] حيث يقول:

---

(١) البيت في غرر الخصائص للوطواط ص ٤٥٩ دون نسبة إلى أحد.
(٢) زند بن الجون الأسدي بالولاء، شاعر ظريف عاصر الخليفة المهدي العباسي، أصله من الكوفة، مات سنة ١٦١هـ (ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/ ٣٢٠)
(٣) والبيت في غرر الخصائص للوطواط ص ٤٥٩، ونسب في عيون الأخبار لابن قتيبة ٢/ ٢٠٨ إلى نَهْشَل بن حَرِي الدارمي ت ٤٥ هـ.
(٤) البيت لسراج الدين الوراق المصري ت ٦٩٥ هـ (ينظر: خزانة الأدب للبغدادي ٢/ ٥٢)
(٥) أذْرَى الدمعَ: أَسَالَه (ينظر: المعجم الوسيط ١/ ٣١٢)
(٦) في الأصل: أبو.
(٧) إسماعيل بن القاسم بن سُوَيْد العنزي بالولاء، الشاعر المطبوع المجيد، ولد سنة ١٣٠ هـ =

سـاهل النـاسَ إذا مـا غضبـوا وإذا عَـزَّ أخـوكَ فَهُـنْ[1]

وقال محمود الوراق[2]:

دارِ الصديـقَ إذا استشـاطَ تَغَضُّبًـا فالغيـظُ يُخـرِجُ كَامِـنَ الأحقـادِ

ولربمـا كان التَّغَضُّـبُ باعِثًـا لمثالـبِ الآبـاءِ والأجـداد[3]

وقال السموأل[4]:

رُبَّ شَـتْمٍ سَـمِعْتُه فَتَصَامَمْـ تُ وَغِـيٍّ تَرَكْتُـه فَكُفِيـتُ[5]

قال الناقل: وما زال كلٌّ من الحاضرين يُبْدِي ما عنده، ويَبْذُلُ في استمالة القوم لموافقته جُهدَه، فيقوم ضِدُّه يعارضه، فيُسَفِّهُ رأيَه ويناقضه، فقال الصبر: مَنْ صَبَرَ ظَفِر، ومن عَجِلَ خَجِل، وأنشد:

وعاقبـةُ الصـبرِ الجميـلِ حميـدةٌ وأحسـنُ أخـلاقِ الرجـالِ التَّبَصُّـرُ[6]

ثم أنشد:

= ومات في بغداد سنة ٢١١هـ(ينظر: معاهد التنصيص للعباسي ٥/ ٢٨٧)

(١) محاضرات الأدباء ١/ ٢٧٩، والبيت ليس في ديوانه.

(٢) محمود بن حسن الوراق، شاعر المواعظ في عصره، مات سنة ٢٢٥هـ (ينظر: الأعلام ٧/ ١٦٧)

(٣) بهجة المجالس لابن عبد البر ص ٢٦٤، وهو ليس في ديوانه.

(٤) السموأل بن عادياء اليهودي، شاعر جاهلي من الحكماء من أهل خيبر، مات سنة ٦٥ ق هـ(ينظر: طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ص ٢٣٥)

(٥) ديوان السموأل ص ٦.

(٦) البيت لعلي بن الجهم ت (ينظر: ديوانه ص ١٦٣) والرواية فيه:

وَعَاقِبَـةُ الصَّبْـرِ الجَمِيـلِ جَمِيلَـةٌ وَأَحْسَـنُ أَخْـلاَقِ الرِّجَـالِ التَّفَضُّـلُ

اصبرْ ولا تَضْجَر مِن مَطْلَبِ   فآفةُ الطالبِ أنْ يَضْجَرا

أمَا تَرَى الحَبْلَ بِتَكْرارِهِ   في الصخرةِ الصَّمَّاءِ قد أثَّرا[1]

ثم تلا في آخر الخطاب ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]، فقال ضِدُّه:

لا يصبرُ الحرُّ تحتَ الضَّيْمِ   وإنما يصبرُ الحمارُ[3]

وأنشد:

مَنْ حَمَدَ الصبرَ وحالاتِهِ   فلستُ بالحامدِ للصبرِ

كم جَرْعَةٍ للصبرِ جَرَعْتُها   أمَرُّ في الذَّوْقِ من الصَّبْرِ[4]

وقال الحِلْم: مَنْ مَلَكَ نفسَه سَالَمَتْهُ أعداؤُه، ومن عُرف بالحِلْمِ كثُرت أنصارُه وأَوِدَّاؤُه.

لا تحسَبَنَّ الحِلْمَ منكَ مَذَلَّةً   إن الحليمَ هو الأعَزُّ الأمْنَعُ[5]

وقد قيل: مَن غرسَ الحلمَ شَجَرًا جَنَى العزَّ ثمرًا، وقيل: من غرس شجر الحلمِ اجتَنَى ثمرَ السِّلْم، ويقال: ضَبْطُ النفسِ حجابٌ من المخافة، وحِلْمُ ساعةٍ يردُّ سبعين آفة، وكَظْمُ الغيظِ من محاسنِ المَكْرُمَات، ومَن لم يَحْلُم عن كلمتِه سمعَ كلمات، ثم أنشد لأبي فِرَاس:

---

(١) لم أقف على قائله.

(٢) الزمر ١٠

(٣) لم أقف على قائله، وهو في المستطرف للإبشيهي ١/ ٧٩ دون نسبة.

(٤) لم أقف على قائله، وهو في البصائر والذخائر للتوحيدي ٩/ ١٩٤.

(٥) البيت لأبي الأخفش الكناني (ينظر: روضة العقلاء لابن حبان البستي ص٧٩)

مـا كنـتُ مُـذْ كنـتُ إلا طـوعَ خِلَّانِـي ... ليسـت مؤاخـذةُ الإخـوانِ مِـنْ شَـانِي

يجنِـي الخليـلُ فأَسْـتَحْلِي جِنَايَتَـه ... حتـى أدلّ علـى حلمـي وإحسـاني

يجنـي علـيَّ وأحْنُـو دائمًـا أبـدا ... لا شيءَ أحسن مِن حَانٍ على جَاني[1]

فقال ضِدُّه: من عُرِفَ بالحلمِ كَثُرَت الجَرْأَة عليه، وامتدتْ أيدي الناس بالإساءة إليه، وقد قال السفاح[2]: إذا كان العفوُ مَفْسَدة، كان الحِلْم معجزة، وأنشد لأبي الطيب[3]:

كلُّ حِلْـمٍ أتـى بغيـرِ اقتـدار ... حُجـةٌ لاجِـيءٌ إليهـا اللئـامُ[4]

وقال غيره:

إذا كان حِلْـمُ المـرءِ عـونَ عَـدُوِّهِ ... عليـه فـإنَّ الجهـلَ أغنـى وأنفـعُ[5]

وقامت الشجاعة تقول:

يـا نفـسُ إن لـم تُقتَلِـي تمـوتي ... إنْ تَسْـلَمِي اليـوم فلـن تَفُوتِـي[6]

---

(١) ديوان أبي فراس ص٣٧٢، وأبو فراس هو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي، الشاعر الأمير الفارس، ولد سنة ٣٢٠هـ ومات سنة ٣٥٧هـ قريباً من حمص (ينظر: شذرات الذهب ٣/ ٢٤)

(٢) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، الخليفة العباسي الأول، ولد سنة ١٠٤ هـ ومات سنة ١٣٦هـ (ينظر: تاريخ الطبري ٩/ ١٥٤)

(٣) أحمد بن بالحسين بن عبد الصمد الجُعْفِي الكندي، المتنبي، شاعر العربية الأول، ولد سنة ٣٠٣هـ ومات سنة ٣٥٤هـ (ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي ٦/ ٢٠٨)

(٤) شرح ديوان المتنبي للواحدي ص١٢٤.

(٥) البيت للملك أبي الطامي، جياش بن نجاح الحبشي أحد ملوك اليمن ت ٤٩٨هـ (ينظر: السلوك في طبقات العلماء والملوك لمحمد بن يوسف اليمني ٢/ ٥٠٧)

(٦) البيت لعبد الله بن رواحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ت ٨هـ (ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٣/ ٨٩٩)

ثم قالت: قد جاء في الخبر: «إن الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية أو عقرب»[1]، وأي فائدة في الجبن إذا لم يكن لنا من الموت مهرب؟.

فقد تُدْرِك الحادثاتُ الجبانَ ... ويسلمُ منها الشجاعُ البطل[2]

وربما كان الجبنُ ذريعةَ الهلاك، والإقدامَ سببُ النجاة، وقد قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «احرص على الموت توهَب لكَ الحياة».

يرى الجبناءُ أنَّ الجبنَ حَزْمٌ ... وتلك خديعةُ الطبع اللئيمِ[3]

فقال ضدُّها: إن الشجاعةَ تَعَرُّضٌ للخطر، وتوريطٌ للنفس في الضرر، وقولهم «فرَّ فلانٌ أخزاه الله»، خير من قولهم «مات رَحِمَهُ اللَّهُ»، قال محمد بن حمزة[4]:

باتَتْ تُشجِّعني هندٌ وقد عَلِمَتْ ... أن الشجاعَةَ مَقْرونٌ بها العطبُ

يا هندُ لا والذي حجَّ الحجيجُ لهُ ... ما يشتهي الموتَ عندي من له أربُ

وقالوا: من جَبُنَ سَلِم، ومن تهورَ ندِم، وقالوا: السّلْمُ أزكى للحال، وأبقى لأنفُسِ الرجال، وأنشدوا:

ما ذاق همًّا كالشجاعِ ولا خَلا ... بمسرةٍ كالعاجزِ المُتَوَاني[5]

---

(١) أخرجه القضاعي في مسنده ٢/ ١٥٢ وقال ابن القيم في الموضوعات ٢/ ١٧٩: هذا حديث لا يصح.

(٢) نسب البيت إلى معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ت ٦٠هـ في الكامل في اللغة والأدب للمبرد ٢/ ٢٩٢.

(٣) البيت للمتنبي (ينظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي ص١٧١)

(٤) محمد بن أبي حمزة العقيلي الكوفي، مولى الأنصار (ينظر: تحسين القبيح وتقبيح الحسن للثعالبي ص ٥٩) والبيت في الحماسة المغربية للجراوي ٢/ ١٢٨٢.

(٥) البيت لبديع الزمان الهمذاني ت٣٩٨هـ (ينظر: غرر الخصائص للوطواط ص٤٦٦)

وقال الجود: من جاد بالمال نال الآمال، واستمَالَ الرجال، وسَلِمَتْ نفسُه من الأوْجَال، والسخاء من السنَّة، ومن أخلاق أهل الجنة، ويقال: سادةُ الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء، وقالوا: جود الرجل يحَبِّبُهُ إلى أضداده، وبخلُه يبَغِّضُهُ إلى أولاده، وقالوا: السخاءُ سخاءان، سخاء نفس الرجل بما في يده يصونُ به عرضَه من ذم اللئام، وسخاؤه بترك ما في أيدي الناس يغلقُ عنه باب المَلام، ومن جمعهما فقد وُهِبَ أشرفَ أخلاق الكرام، وتَوَاطأَ على مدحِه الخاصُ والعام.

والـبرُّ أكـرمُ مـا وَعَتْـهُ حقيبـةٌ ... والشكرُ أفضلُ ما حَوَتْه يـدانِ

وإذا الكريمُ مَضَى وَوَلَّى عمرُه ... كَفَلَ الثنـاءُ لـه بعمـرٍ ثـانِ[1]

وقال أبو الطيب:

وأحسنُ شيءٍ في الورَى وجهُ مُحْسِنٍ ... وأيمـنُ كـفٍّ فيهـمُ كـفُّ مُنْعِـمِ

وأشـرفُهم مـن كان أشـرفَ هَمَّـةٍ ... وأعظـمَ إقدامًـا علـى كل مُعظـم

لمـن تَطْلُـبُ الدنيـا إذا لـم تُـرِدْ بها ... سـرورَ مُحِـبٍّ أو إسـاءةَ مُجْـرِمِ[2]

وقال طاهر بن الحسين[3]:

لا تبخلـنَّ بدنيـا وهـي مُقْبِلَـةٌ ... فليس يُذْهِبُهَا التبذيرُ والسَّرَفُ

فـإنْ تَوَلَّـت فأَحْـرَى أن تَجُـودَ بهـا ... فالحمـدُ منهـا إذا مـا أدْبَرَتْ خَلَفُ[4]

---

(١) البيت لأبي نصر الميكالي (ينظر: خزانة الأدب للبغدادي ١/ ٣٠٣)

(٢) شرح ديوان المتنبي للواحدي ص ٣٢٥.

(٣) طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي من كبار القادة والولاة الشجعان في عصر المأمون العباسي، مات سنة ٢٠٧هـ(ينظر: وفيات الأعيان ٢/ ٥١٧)

(٤) نسب الشعر إلى طاهر بن الحسين في غرر الخصائص للوطواط ص ٣٥٩، وإلى الأبرش في =

فقال ضدُّه: من أضاعَ مالَه احتاج إليه، ومن رَشَى عدوَّه أعانه عليه، وقالوا: بقاء المال للأقارب خيرٌ من الاحتياج للأجانب، وقالوا: يوشك من أنفقَ سَرَفًا أن يموت أسفًا، وقالوا: ما وقعَ تبذيرٌ في كثير إلا هدمه ودمَّرَه، ولا دخل تدبيرٌ في قليل إلا أكْثَرَه وأثْمَرَه، وربما عوقب المبذرُ بالإفلاس، وصار مُثْلَةً بين الناس، قال ابن المعتز[1]:

يـا رُبَّ جُـودٍ جَـرَّ فقـرَ امـرئٍ فقـامَ للنـاس مقـامَ الذليـلْ
فاشْـدُدْ عُـرَى مَالِـكَ واسـتَبْقِهِ فالبخـلُ خيـرٌ مِـن سـؤالِ البخيـلْ[2]

وكان بعضهم إذا الدرهمُ وَافَاه، خاطبه وناجاه، وقَبَّلَه وفَدَّاه، وقال له: بأبي أنت كم أرضٍ قطَعْتَ، وخاملٍ رَفَعْت، وثريٍّ وضعت، إن لك عندي أن لا تَعْرَى، وأنك لا تَضْحَى، ثم يلقيه في الصندوق ويقول: اسكن في مكانٍ لا تَحَوَّل عنه، ولا تخرج منه.

وكان للأعمش[3] صديق من العمال عُزل عن عمله، وقد تأخر عليه مالُ للسلطان فحُبس من أجله، فقصَدَه يُسليه متوجعًا لما هو فيه، ودخل عليه وقد حضر وقت الغداء، فرأى عنده لونًا من الفَالُوذ[4]، فقال: والله ما لازمتَ الوَثَاق، إلا بالإسراف في الإنفاق، فلو قَنَعَتْ نفسُك وعَفَّت يدُك، لم يكن في مضيقِ السجنِ مَقْعَدُك.

= روضة العقلاء للبستي ص٢٦٢، وإلى يزيد بن عمر بن هبيرة ت ١٣٢هـ في الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/ ٧٠٥، وإلى أحمد بن محمد الخثعمي في التذكرة الحمدونية لابن حمدون ٢/ ٢٦٨، ونسب لعي بن الحسين الوصيفي في مشيخة البخاري للظاهري الحنفي ٢/ ١٠٨٥.

(١) عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل، خليفة عباسي ولد سنة ٢٤٧هـ ومات سنة ٢٩٦هـ (ينظر: تاريخ بغداد ١٠/ ٩٥)

(٢) ديوان ابن المعتز ص ٣٨١.

(٣) سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، التابعي العالم الفقيه المحدث ولد سنة ٦١هـ ومات بالكوفة سنة ١٤٨هـ (ينظر: طبقات ابن سعد ٦/ ٢٣٨)

(٤) ويقال له أيضا: الفالُوذَج، وهو طعام من تمر وسمن (ينظر: المعجم الوسيط ١/ ٤٢٧)

وفي وصية بعضهم لولدِه، وقد خاف عليه الدهرَ من بعده: أي بني، قَوْلُ «لا» يدفع البلاء، وقَوْل «نعم» يُزيل النِّعَم، وسماعُ الغناء بِرْسَامٌ[1] حاد، يدخل على الإنسان بالفساد ؛ لأنه إذا سَمِعَ شَرِب، وإذا شرب طَرِب، وإذا طَرِبَ وَهَب، وإذا وهب عَطِب، وإذا عطب اعْتَلَّ، وإذا اعتل جسمُه انحَلّ، وإذا انحَلَّ جسمُه مات، وإذا مات فات، والدرهم مَحْمُومٌ إنْ حَرَّكْتَه مات، والدينارُ محبوسٌ إن أطلقتَه طار، وقد قيل: اليمينُ الغَمُوسُ تَذَرُ الديارَ بَلاَقِع[2]، وإنما يفعلُ ذلك الإسرافُ في الواقع، والأصدقاء هم الأعداء ؛ لأنك إن احتجتَ إليهم منعوكَ واجتنبوك، وإن احتاجوا إليك ومنعتَهُم قَرَّعُوك وسَبّوك، وإذا لم يكن لك بُدٌّ منهم فكن معهم كلاعب الشَّطْرَنْج في سَيْرِه، يحفظ ما معه ويجتهد في أخذِ ما مع غيره.

وقالت الاستشارة: المشورةُ لِقَاحُ الألباب، ومفتاح النَّجْحِ والصواب، وقالوا: من حقِّ العاقلِ أن يضيف إلى رأيه آراءَ العلماء، ويجمع إلى عقله عقولَ الحكماء، ويقال: المشورةُ من عزْمِ الأمور، وحَزْمِ التدبير، وسمات العاقلين، وقال الله جل ذكره ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[3]، وقال الشاعر:

شاوِرْ سِواكَ إذا نَابَتْكَ نَائبةٌ ... يومًا وإن كنتَ من أهلِ المَشُورَاتِ

فالعينُ تُبْصِرُ منها ما نأى وَدَنَا ... ولا ترى نفسَها إلا بِمِرْآةِ[4]

---

(١) وجع يحدث في الدماغ بسبب الحرارة يذهب منه عقل الإنسان (طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية للنسفي ص ١٢٤)

(٢) صح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع» أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٣٥ رقم ٢٠٣٦٤ وصححه الألباني، وبلاقع جمع بَلْقَع، وهو القفر الذي لا شيء فيه (ينظر: العين ٢/ ٣٠١)

(٣) آل عمران ١٥٩

(٤) الشعر لناصح الدين أحمد بن محمد الأرَّجَاني ت ٥٤٤هـ(ينظر: شذرات الذهب ٤/ ١٣٧)

فقال ضدها:إن المشورةَ تَرَدُّدٌ في العَزْم، ومَفْسَدَةٌ في القطع والجَزْم، وكيف تُسْتَخْلَصُ الآراء، والناس ذَوُو أغراضٍ وأهواء، وقد قيل:

وما كُلُّ ذِي رَأيٍ بمؤْتِيكَ نُصْحَهُ ... ولا كُلُّ مُؤْتٍ نُصْحَه بِلَبِيبِ[1]

وقال التَّأَنِّي: الأناةُ حصنُ السلامة، والعجَلَة بَذْرُ الندامة، وقد قال بعض السلف: ينبغي للأمير أن يَتَثَبَّتَ في كل ما يُنْهَى إليه، ويتأنى ولا يعجل حتى يُظْهِرَ سِرَّه ويقف عليه، ويأخذ بأدبِ سليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما حكاه الكتابُ المبين، حيث قال ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2]، وفي الخبر «التأني من الرحمن، والعجلةُ من الشيطان»[3]، ومن أمثالهم: من تَأَنَّى نَالَ ما تَمَنَّى، وقال بعضُ الحكماء: إياكَ والعَجَلَة ؛ فإنها تُكْنَى أمَّ الندامة ؛ لأن صاحبَها يقول قبل أن يَعْلَم، ويجيبُ قبل أن يفهم، ويَعْزِمُ قبل أن يفكر، ويقطعُ قبل أن يُقَدِّر، ويَحْمَدُ قبلَ أن يجرِّب، ويذمُّ قبلَ أن يَخْبَر، ولن تَصْحَبَ هذه الصفةُ أحدًا إلا صَحِبَ الندامة، وجَانَبَ السلامة، ويُرْوَى للنابغة[4]:

الرفقُ يُمْنٌ والأناةُ سلامةٌ ... فتَأَنَّ في أمرٍ تُلاَقِ نَجَاحا[5]

---

(١) نسب البيت إلى أبي الأسود الدؤلي ت ٦٩ هـ في الأغاني ١٢ / ٣٥٥، وورد البيت في ديوان ابن عبد ربه ت ٣٢٨هـ ص ٢١، وورد في ديوان بشار بن برد ت ١٦٧ هـ ص ٣٠٣، ولعل في بيتي بشار وابن عبد ربه تضميناً لبيت أبي الأسود.

(٢) النمل ٢٧

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٧/ ٢٤٧ رقم ٤٢٥٦ وحسن الألباني إسناده.

(٤) زياد بن معاوية الذبياني، شاعر جاهلي من أهل الحجاز، من أصحاب المعلقات، توفي نحو سنة ١٨ق هـ (ينظر: الأغاني ١١/ ٥)

(٥) ديوان النابغة الذبياني ص ٧٧، والرواية فيه: والأناة سعادة.

وللقُطَامِي[1]:

قَـد يـدركُ المتـأني بعـضَ حاجَتِـهِ   وقـد يكـون مـع المُسْتَعجلِ الزَّلَـلُ[2]

فقال ضدُّه: قد قال بعضُ ذوي الألباب: «إياكم والتأني فإنَّ الفُرَصَ تمرُّ مَرَّ السحاب»[3]، ومن مأثور الكلمات: «خير البرِّ أعجَلُه»[4]، وللتأخير آفات، وكم أمْرٍ أخَّرْتَه عن وقته ففات، وقد قال الشاعر:

وربمـا فـاتَ بعـضَ القـومِ قصدُهُـمُ   مـع التـأني وكانَ الحـزمُ لـو عَجِلُـوا[5]

وقال الآخر:

عَيـبُ الأنـاةِ وإن طابـت عواقِبُهـا   أنْ لا خلـودَ وأنْ ليـس الفتـى حَجَـرا[6]

فقام العدلُ والاحتياط ووقفا في وسط البساط، وأنشدا قول الشاعر:

القصـدُ أَوْلَـى مِـن بُلـوغ الغايـة   وكلُّ شـــيءٍ فإلـــى نهايـــة[7]

وقول الآخر:

---

(١) عمير ين شُيَيْم بن عباد البكري، شاعر غزل أصله من نصارى العراق، توفي سنة ١٣٠ هـ (ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/ ٧١٣)

(٢) الأغاني ٢٤ / ٢٦.

(٣) نسب النصف الثاني إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الجوهر النفيس في سياسة الرئيس لابن الحداد ص١٥٥ .

(٤) يذكره بعض الناس على أنه حديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال العجلوني في كشف الخفاء١/ ٣٨٤: ليس بحديث، وقد ورد معناه في قول للعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو: لا يتم المعروف إلا بتعجيله.

(٥) البيت للقطامي السالف الذكر (ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي ٧/ ٢٢٤)

(٦) البيت لابن الرومي، علب بن العباس ت ٢٨٣ هـ (ينظر: ديوانه ٢/ ١١٠)

(٧) لم أقف عليه.

الاقتصادُ في الأمور مَمْلَكة والخرقُ شُؤْمٌ وعَنىً ومَهْلَكة[1]

ثم قالا: قد أفصحَ الحاضرون عن آرائهم، على تبايُنِ أنْحَائِهم، وتَخَالُفِ أغراضهم وأهوائهم، ولا يخلو الناس من قَاسِطٍ ومُقْسِط، ومُفْرِطٍ في الأمور ومُفَرِّط، ولكن لا يغِبْ عنكَ أن حبَّ التناهي غلط، وأن خيرَ الأمور الوسط، كما وردَتْ به الأخبار[2]، ودلَّ عليه النظرُ والاعتبار.

فلا تَغْلُ في شيءٍ من الأمرِ واقتَصِدْ كِلاَ طَرَفَيْ كلِّ الأمور ذَمِيمُ[3]

فالشجاعة مثلًا إفراطها طيشٌ وتهوُّر، والتفريط فيها جبنٌ وخَوَر، وكلاهما باتفاق العقلاء وإجماع الفضلاء رذيلة، والتوسطُ بينهما هو الشجاعة المقبولة وهي الفضيلة، وهكذا الجود مثلًا إفراطُه إسراف وتبذير، والتفريطُ فيه شُحٌّ وتَقْتِير، وكلاهما ذميمٌ مقْدُوح، والتوسط بينهما هو الجودُ الممدوح، والشهوة مثلًا إفراطُها شَرَهٌ وفجورٌ وتفريطها خمُود، والتوسطُ بينهما بالعفة والاستقامة هو الفضيلة وهو المقصود، والغضب إفراطُه حِدَّة تَجُرُّ لظلم الأنام، وتفريطه بَلاَدَةٌ تؤدي إلى الانْظِلاَم، وكلاهما قبيح مذموم، والتوسط هو الممدوحُ في جميع الأحكام، فعُلِمَ من هذا المقال، أن الفضيلةَ في جميع الأحوال مقصورةٌ على مركزِ الوسط ونقطة الاعتدال، والانحرافَ عن الوسطِ المذكور لأحد الطرفين نقصٌ وضلال، ووقوعٌ في الوَبَال، فهو الصراط المستقيمُ المسلوكُ للمهتدين، غيرِ المغضوب عليهم ولا الضالّين، وإنما يكثُرُ الوقوعُ في الغلط، لمزيد الصعوبة في تعيين الوَسَط، فهو في نفس الأمر أرقُّ من الشِّعْر، وهو

---

(1) ورد ذكره في ديوان الإنشاء لأحمد الهاشمي ص ١١٩ دون نسبة إلى أحد، ولم أقف على قائله.

(2) أورد البيهقي في شعب الإيمان ٨/ ٥١٨ رقم ٦١٧٦ «خير الأمور أوساطها» وقال الألباني في السلسة الضعيفة رقم ٧٠٥٧: إسناده صحيح موقوف.

(3) البيت للخطابي، أحمد بن محمد ت ٣٨٨هـ(ينظر: شذرات الذهب٣/ ١٢٨)

جسر ممدودٌ على متن جهنمَ الشر، والخطرُ موصلٌ للسلامة، كما أن صراطَ الآخرةِ مضروب على متن جهنم السعيرِ موصلٌ لدار المُقَامَة ومحل الكرامة، والمرور على ذلك الصراط الأُخْرَوِي لازمٌ للمرور على هذا الصراط الدنيوي، فمن وَافَقَ صراطَ الاعتدال، في دنياه في جميع الأحوال، وافقَ الحقَّ وفازَ بالمَرَام، ومر على صراط الآخرة يومَ القيامة كلمحةِ البرقِ الخاطف إلى دار السلام، ومن انحرفَ عن صراط الاعتدال، ذات اليمينِ وذاتَ الشمال، وقع في الدنيا في نيرانِ مساوئِ الأخلاق والأعمال، وانحرفَ كذلك عن صراطِ الآخرة فوقعَ في نارِ العذاب والنَّكَال، ومن تَمَسَّكَ بهذا الصراط صراطَ الاعتدال المذكور، مع التقصير بالانحراف عنه والعَوْدِ إليه في بعض الأمور، فَمَسَّهُ في دنياه بعضُ سوء الأعمال، وكان عقباه حُسْن المآل، فهو كذلك بهذه الحالةِ، عند سلوكِ صراط الآخرةِ لا محالة، فلا يزال يسقطُ ويرتفِع، ويقومُ ويقع، حتى يصلَ دار الثواب، وينتهيَ لحسن المآب، ولذا قال بعضُ الأولياء: إن المرورَ على الصراط في الحقيقةِ إنما هو في هذه الدنيا الحاضرة، وذلك لما عَلِمَ من أنه على حسبِهِ يكون المرور يومَ القيامة على صراط الآخرة، فالسعيدُ السعيدُ من يراعي الاعتدال، في جميع الأقوالِ والأفعالِ والأحوال، ثم الاعتدالُ في كل زمانٍ أو مكانٍ بحسب حاله، وبالنسبة لكل إنسان على حسبِ ما ينبغي له ولأمثاله، فرُبَّ أمرٍ مَمدوحٍ في زمانٍ دون زمان، أو مذمومٍ في مكانٍ دونَ مكان، أو ممدوحٍ بالنسبة لإنسانٍ ومذموم بالنسبة لإنسان، وقد ورد عن قومٍ من الصحابة أنهم سألوا رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال، فقال لبعضهم: «الصلاة»[1]، ولبعضهم: «الحج» ولبعضهم: «الجهاد»[2]، بحسب اختلاف

---

(١) سأل رجل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل فقال: «الصلاة لوقتها» البخاري ٢٣/ ٦٦ رقم ٦٩٨٠.

(٢) سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل فقال:«إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «جهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال:«حج مبرور» البخاري٥/ ٣٩٠ رقم ١٤٢٢.

الأحوال، وقد أنشد أحدُ الصحابة الكرام، بين يدي النبي عليه الصلاةُ والسلام:

ولا خيرَ في حِلْمٍ إذا لم يكن له بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَه أنْ يُكَدَّرا

ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن له حليمٌ إذا ما أَوْرَدَ الأمرَ أَصْدَرَا[1]

فأعجب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشعره وقال له: «لا يَفْضُضِ اللهُ فَاك»، فلم تسقط أسنانه طول عمره[2].

وقال صالح بن جناح اللخمي[3]:

لَئِنْ كُنْتُ مُحْتَاجًا إِلَى الْحِلْمِ إِنَّنِي إِلَى الْجَهْلِ فِي بَعْضِ الْأَحَايِينِ أَحْوَجُ

وَلِي فَرَسٌ لِلْحِلْمِ بِالْحِلْمِ مُلْجَمٌ وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُسْرَجُ

فَمَنْ رامَ تَقْوِيمِي فَإِنِّي مُقَوَّمٌ وَمَنْ رامَ تَعْوِيجِي فَإِنِّي مُعَوَّجُ

وَمَا كُنْتُ أَرْضَى الْجَهْلَ خِدْنًا وَلَا أَخًا لَكِنَّنِي أَرْضَى بِهِ حِينَ أُحْوَجُ

أَلَا رُبَّمَا ضَاقَ الْفَضَاءُ بِأَهْلِهِ وَأَمْكَنَ مِنْ بَيْنِ الْأَسِنَّةِ مَخْرَجُ

فَإِنْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ فِيهِ سَمَاجَةٌ فَقَدْ صَدَقُوا وَالذُّلُّ بِالْحُرِّ أَسْمَجُ[4]

---

(١) الشعر للنابغة الجعدي، قيس بن عبد الله بن عُدَس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ت نحو سنة ٥٠ هـ، وهو في ديوانه ص ٨٥.

(٢) مسند الحارث ٢/ ٨٤٤ رقم ٨٩٤، وضعف الغزالي إسناده في الإحياء ٣/ ٢٤٧.

(٣) صالح بن جناح اللخمي الدمشقي، شاعر حكمة مجيد (ينظر: الوافي بالوفيات ١٦/ ١٤٧)

(٤) الشعر لمحمد بن حازم الباهلي ت ٢١٥هـ وليس لابن جناح (ينظر: ديوانه ص٢٣) ونسب الشعر إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في آداب الصحبة للسلمي ص ١٠٨ وكذلك في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٨/ ٨٠ وهو ليس في ديوانه، وإلى محمد بن وهيب ت ٢٢٥ هـ في =

وقال إبراهيم بن المهدي[1]:

إذا كنتَ بين الحلْمِ والجهلِ واقفًا ... وخُيِّرْتَ أنَّى شئتَ فالحِلمُ أفضلُ

ولكنْ إذا أنْصَفْتَ مَن ليس مُنْصِفًا ... ولم يَرْضَ منكَ الحلمَ فالجهلُ أمْثَلُ

إذا جَاءَنِي مَن يطلبُ الجهلَ عامدًا ... فإني سأعْطِيهِ الذي جاءَ يَسْأَلُ

ولم أُعْطِهِ إياهُ إلا لأنَّهُ ... وإن كان مكروهًا- مِنَ الذلِّ أجملُ[2]

وقال أبو الطيب:

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ مَلَكْتَه ... وإنْ أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تَمَرَّدَا

فَوَضْعُ النَّدَا في موضع السيف بالعُلا ... مُضِرٌّ كوضعِ السيفِ في موضع الندا[3]

ثم قال: إذا تَقَرَّرَ ما ذكرناه، وعُلِمَ ما قَرَّرْنَاه، فمُقتضَى الاعتدال في أمر الأجنبي الذي بَلَغَنا عنه ما سمعناه، أن ننظرَ فيما نُقِلَ عنه ونتأملَ لفظَه ومعناه، ونعامله بما يقتضيه من سِلْمٍ وقتال، وجِلادٍ وجِدَال، على حسب الأمر، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وهكذا ينبغي أن يكون حالُنا مع غيره، فنسيرُ مع كل أحدٍ من الناس بحسب سَيْرِه،

= عيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ٤٠٤، وإلى الأحنف بن قيس ت ٧٢ هـ في المستطرف ١/ ٣٤٢ للأبشيهي، وهو ليس في ديوانه.

(١) إبراهيم ابن الخليفة العباسي محمد المهدي، أخو هارون الرشيد، شاعر رقيق الشعر، مات سنة ٢٢٤هـ (ينظر: وفيات الأعيان ١/ ٣٩)

(٢) ينظر: غرر الخصائص للوطواط ص٤٩٩، ونسب الشعر إلى صالح بن جناح في المستطرف ١/ ١٦٦، وفي ربيع الأبرار للزمخشري ٥/ ٣١٢، وإلى علي بن محمد البسامي ت ٣٠٢هـ في روضة العقلاء للبستي ص ٢١٣.

(٣) شرح ديوان المتنبي للواحدي ص٢٢٦.

فلا نُسِيءُ إلى من أساء، ولا نجازي إلا حقَّ الجزاء، ولقد تأملتُ فيما نُقِلَ عن هذا الأجنبي إلينا، فلم أجد فيه ما يؤخذُ من التهاون بنا أو التطاولِ علينا، فلا نَبْغِي عليه لئلا نكونَ من الآثمين، ولا نظلمه بغير جرمٍ فإن الله لا يحب الظالمين، ثم تلا قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[1]، فنَهَضَ الإنصاف، ورفعَ الخلاف، وصَدَّقَ كلَّ ما قاله العدل، وأتى من بديع البيانِ بالقولِ الفصل، وقامت أيضًا الاستقامة فصَدّقَتْ، وتَلَتْهَا الحَقَّانِيَّةُ فأثبتتِ الأمرَ وحَقَّقَت، إلا أن الملكَ لم يَزَلْ مُتَرَدِّدًا في أمره، شاكًّا في خير الأمرِ وشرِّه، فكان يُقَدِّمُ رجلًا ويؤخر أخرى، ولا يدري أي الأمرين أحْرَى، فقالت البصيرة: الآن لم يبق للتردد مكان، وقد وَضَحُ الصبحُ لمن له عينان، وقد تميَّزَ الحَلي من العاطل، وجاء الحقُّ وزَهَقَ الباطل، وقد تحققتِ بحمد الله الحقائق، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[2]، فدع التَّرْدَاد، وعلى الله الاعتماد.

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكُنْ ذا عزيمةٍ ... ولا تك بالتَّرْدَادِ للرأي مُفْسِدا[3]

ولا يجوز اتِّبَاعُ ما أبْدَتْهُ الأغراضُ النفسيةُ من آرائها المَدْخُولَة[4]، مع وجود ما أبْدَتْهُ الحقانيةُ والاستقامةُ من الصورة المقبولة، والأدلةِ المعقولة، أمَا علمتَ أن متابعةَ الفُجَّار، ومطاوعةَ الأشرار، مشاركةٌ لهم في الشرور، وتباعدٌ عن منازل السرور، ثم صارت تُبْرِزُ من القوانين الساطعة، والبراهين القاطعة، ما أبْطَلَتْ به تلك الآراءَ السقيمة،

---

(١) الحجرات ٦

(٢) الأنبياء ١٨

(٣) البيت لأبي جعفر المنصور، عبد الله بن محمد، الخليفة العباسي الثاني ت ١٥٨ هـ (ينظر: زهر الآداب للحصري ١/ ٢٠٢) والشطر الثاني فيه: فإن فساد الرأي أن تترددا.

(٤) رجل مَدْخُول: في عقله دَخَلٌ، وهو العيب (ينظر: تهذيب اللغة ٧/ ١٢٢)

ونَهَتِ الملكَ عن العودِ إلى موافقةِ تلك الأهواءِ العَقِيمة، فَهَدَتْهُ أحسنَ المسالك، وانتهى الأمرُ على ذلك.

قال الحاكي: ثم أقبلَ شيخٌ وَقُور، يَلُوح على أسارير وجهِهِ النور، ويَظْهَرُ عليه الحَمِيَّةُ والنخوة، وتُسَايرُه الاستقامةُ وتَتَقَدَّمُه الشهوة، اسمه التأَهُّلُ والازدواج، وأمرُهُ كثيرُ الرَّوَاج، فدخَلَتْ به الشهوةُ على الملك جهرًا، وأهْدَتهُ على يديهِ فاكهةً وزَهْرًا، فالتفتَ الملكُ إلى البصيرةِ ليستشيرَها، ويَسْتَخْرِجَ في أمرِ هذه الحادثةِ ضميرَها، فلما رأت مع الشهوةِ التأهلَ والاستقامة، قالت هذه علامةُ الخير والكرامة، وهذا مما نُرِيدُه ولا نأبَاه، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1]، فعطفَ الملكُ نحو الشهوة زِمَامَه، وقَبِلَ ما وضعتهُ من الزهرِ والفاكهةِ أمامَه، ثم خَرَجَتْ مِن بين يديه، ورجَعَتْ بعدَ برهةٍ إليه، يَكْنُفُها[2] السُّكْرُ وأضْرَابُه، والنُّكْرُ وأتْرَابُه، والأفعالُ الرديئة، والأحوالُ الدَّنِيئة، وبينهم كَتْمُ الأسرار، بعضُهم على اليمينِ والبعضُ على اليسار، فتقدمَتْ بهم أمَامَ السلطان، وقامت بينهم مقامَ الشيطان، ومعها شيءٌ كالعُلْبَة المقْفَلَةِ تُبْدِيه، وتُقَدِّمُهُ إلى حضرةِ العقلِ الحاكمِ وتُهْدِيه، وكتمُ السرِّ يشير له بوضعِ أصبعَه على فيه، بأنه يحفظُ هذا الأمرَ ويخفيه، فلا يُظهِرُ ما فيه، فمال الملكُ لقبولِ هذه العلبةِ المُهْدَاة إليه، لو لا نَهَضَتِ العفةُ فتَمَثَّلَتْ بين يديه، واختطفَتْ تلكَ العُلبة من الشهوة، وضَرَبَتْ بها الأرضَ مع شدةٍ ونخوة، فلما رآها الحياءُ احمرَّ لونُه خجلًا، وسترَ وجهَهُ بفضلِ كُمِّهِ عَجلًا، وتَأَوَّه متضررًا، وصاحَ مُتَضَجِّرًا، والعقلُ غيرُ مُقلِعٍ عنِ الميلِ للهدية المذكورة، مطمئنٌّ بما أشار إليه كَتْمُ السرِّ من عدمِ ظهور هذه الصورة، حتى أنه أراد أن يرفعَها عن الأرضِ

(١) آل عمران ١٥٩

(٢) يقال: فلاَن فِي كَنَف فلاَن، أَي فِي ناحيته ودفئه (ينظر: جمهرة اللغة ٢/ ٩٦٩)

إليه، فلم تتمالك البصيرةُ أنْ قامت وأقبلت عليه، ثم قالت: ما هذا التسرُّعُ إلى الشر، والتهالكُ على هذا الأمر، ألم تَعِظْكَ مِرَارًا النفسُ اللوامة؟ ألم تَعْلَم أنَّ عاقبةَ هذه الأمورِ الندامة؟ ألم تَدْرِ أنه لابد للزمانِ مِن إِبْدائها؟ وإنْ بَذَلْتَ غايةَ الجهد في إخفائها.

ومهما يكن عندَ امرئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وإنْ خَالَها تَخْفَى على الناس تُعْلَمِ[1]

ألا تَذْكُر أنَّ عُقْبَاها في هذه الدنيا العار؟ وعقابَها في الآخرة عند الله النار؟ ألم تسمع قول من قال:

كذلك الحبُّ لا إتيانَ مَعْصِيَةٍ لا خيرَ في لذةٍ مِنْ بعدِها سَقَرُ[2]

أمَا تستحيي من ركوب هذه الآثام؟ أمَا في طيبِ الحلالِ غُنْيَةٌ عن خُبْثِ الحرام؟ ثم ما زالت به حتى رجَعَ عن قَصْدِه، وأخرجَ الشهوةَ المحفوفةَ بأولئكَ القومِ من عِنده.

قال الخيال: فلما رأيتُ هذه الأمورَ داخَلَنِي الفرحُ والسرور، وذلك لكثرة انتصارِ البصيرةِ على أعدائها، ونُصْرَتِها لجماعةِ أصدقائها وأَوِدَّائِها، ومجانَبَةِ الحاكمِ لِمِرَائِها، وانجذابِهِ إلى موافقة آرائها.

ثم إني التَفَتُّ لدليلي الفراسةِ مُكَلِّمـًا، وقلت له مُسْتفهمًا ومتعلمًا، قد كنتَ أيها السيدُ النبيل، والمرشدُ إلى سواءِ السبيل، ذكرتَ أنّ إدارةَ هذه الحكومة أمرٌ عسير، وأنا أرى الآنَ كلَّ أمرِها يسير، فجميعُ الأحوال هاهنا مستقيمة، والإدارةُ بحمد الله غيرُ سَقِيمَة، نعم أرى هذه الأغراضَ والشهواتِ لا تنفكُّ عن تَلْبِيسِهَا، واستجلابِها الملك إلى طرائقِ الشرور وسَفَاسِفِ الأمور بسوءِ تدليسها، ولكنه لا يُخَافُ عليه من شرها

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى ت ١٣ ق هـ (ينظر: ديوانه ص١١١)

(٢) البيت لعبد الصمد بن المُعَذَّل ت نحو سنة ٢٤٠هـ (ينظر: ديوانه ص ٧١)

ومكرها، لكثرةِ ما لديه من الوسائلِ والوسائط لدفع ضُرِّهَا ونُكرِها، فها هو الحياءُ والعدلُ لديه، والعفةُ والاستقامة بين يديه، وكلٌّ يخصه بالنصح مَحْضا، ويرى إرشادَه إلى النُّجْحِ فَرْضا، وناهيكَ بالبصيرةِ مِنْ ناصحةٍ ومشيرةٍ تهديه صائبَ آرائها، وتهديه لحُسْنِ إجرائها، فهل يُعْقَل مع ذلك أن يتطرَّقَ إليه مكائدُ الأغراض ودسائُسُها، أو يَرُوجُ لديه مفاسدُ الشهوات ووساوسها، وما دام حالُ هذه المملكةِ جاريًا على ذلك الأسلوب، فهل يمكن أن تَتَعَسَّرَ إدارةُ أمورها على الوجه المطلوب، قال: أراك لم تَزَلْ تنظرُ إلى ظواهر الأحوال، وتقضي في كلِّ ما رأيتَه بمُوْجِبِ الظنِّ والاحتمال، ثم أشار إلى جهةٍ قاصِيَة، وقال: انظر لتلك المشئومةِ الناصِيَة، الآتيةِ لهذه الناحية، أعاذنا الله مِنْ شَرِّها، وأجارَنَا من نَفَثَاتِ سِحْرِها، فإنها فاجرةٌ ساحرة، غادرةٌ ماكرة، تَسْحَرُ عيونَ هؤلاء الأعيان سريعا، وتستغْفِلُ بقوةِ مكرِها الناسَ جميعا، وهَمُّهَا إخْلالُ الأُمُورِ في هذه المملكة، وإيقاعُ مَنْ بِها من الخلق في كل مَهْلَكَة، وهي قادرة على هذه المفاسد، لكثرةِ ما لها من ذَرَائعِ المكائد، فإنْ دخَلَتْ مرةً في هذه المجالسِ الشريفة، غَيَّرَتْ كلَّ ما تراه مِن أحوالِنا اللطيفة، فيختلُّ هذا النظام، ويَعْتَلُّ حالُ الأنام، ويتبدلُ الخيرُ بالشر، والنفعُ بالضُّرّ، والحَالِي بالعَاطِل، والحقُّ بالباطل، فقلت: سبحانَ الله! ماذا عَسَى يبلغُ سحرُ هذه الفاجرة؟ وهل للسحرِ وقْعٌ في مثلِ هذه الحاضِرَة الفاخِرَة؟ قال: نعم له تأثيرٌ كبير، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[1]، عندنا ساحرٌ وساحرَة، يترددان على هذه الحاضرة، أما الأولُ ويسمَّى الأملُ فمنفعتُه لا تُنْكَر، ومزاياه في هذه المملكةِ أكثرُ مِن أن تُذْكَر، فإنه يحثُّ كلَّ أحدٍ على الاجتهاد، بما يَعِدُهُ ويُمَنِّيه مِن بلوغِ المراد، وقد يخالفني ويخالفُ الاستقامةَ في بعض الأمر، ويُمَوِّهُ على الناس بقوةِ ما لديه من صنائعِ السحر،

(١) فاطر ١٤

ولكنا نَطْوِيهِ على غَرِّه، ولا نعارضُه في كلِّ أمرِه، بل نُعِينُه في أحوالِه بِتَرْوِيجِ بعضَ أقوالِه ؛ إذ لولا وجودُ هذا الأملِ، وما له في عقولِ الأنام من العمل، لنَظَرُوا إلى أنَّ هذه الدنيا باطلة، وحينئذٍ تصبحُ أمورُها عاطلة، فلا نرى فيها من العمارةِ والانتظامِ ما نَرَى، وقد ورد: لولا الأملُ ما أرضعَتْ أمٌّ ولدا ولا غَرَسَ غارسٌ شجرًا[1].

نعم في الناس من يُعْرِضُ عن هذه الدنيا بِعِلَّةِ فَنَائِها، ويُرَجِّحُ الموتَ على الحياة فيما بين أبنائها، فهو لا ينظرُ إلى الأمل، ولا يُعَوِّلُ على العمل، ولكنَّ هذا القَبِيل، نادرٌ قليل، وأكثرُ الناس قائلون بالأعمال، مائلون إلى بضائعِ الآمال، حتى أنَّ الحقيقةَ في كثيرٍ من الأمور، قد تستعين بالأمل المذكور، وأما تلك الساحرةُ فاسمُها الغفلة، ودأْبُها الشرّ في التفصيل والجملة، وقد عمَّت هذا العالمَ بكَيْدِها، وصَيَّرت كلَّ بني آدم في قَيْدِها، فما دخلَ في هذه الدنيا أحدٌ وإنْ جَلَّ، إلا كان لها عليهِ تَسَلُّطٌ وإنْ قَلَّ، إلا إنْ حَفَّهُ اللهُ بالعصمة، واستَخْلَصَهُ من هذه الوَصْمَة، ومِنْ عَجَائبِ سِحْرِها أنها تدخلُ كلَّ مكان، ولا يراها أحدٌ يكونُ مَنْ كان، حتى أنها لَتَسْتَوْلِي على الرَّجُلِ قَسْرًا، وتمتلكُه اقتناصًا وأسرًا، وتَحْكُمُ على بَصَرِهِ وبصيرته، وتتحكمُ في ظاهرِهِ وسريرته، فلا يَرَى إلا ما تُرِيه، ولا يجري إلا حيث تُجْرِيه، ولا يَتَقَلَّبُ إلا في يَدَيْهَا، ولا يَنْصَرِف عنها إلا إليها، وهو مع ذلك لا يراها ولا يشعرُ بأمرها، ولا يحِسُّ بأنه في حوزةِ ملْكِها، وقبضةِ قَهْرِها، حتى لو نَسَبَهُ ناسبٌ إليها، أو دَلَّهُ أحدٌ مرةً عليها، لَتَبَرَّأَ منها، ونَزَّهُ نفسَه عنها، وزَعَمَ أنها لا سبيل لها عليه، وأنها لم تصل في مُدَّةِ عمره إليه، وهذه الساحرةُ من أعظمِ الأضدادِ للحقيقةِ الأصلية، وأكبر الأعداء لي وللاستقامةِ العقلية، وكثيرًا ما تتشكلُ بصورة الاستقامة

---

(١) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ١/ ٣٤٢ رقم ١٣٦٩ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعفه السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٢١٩ رقم ٢٥٥٠.

المذكورة، وتَتَحَيَّلُ على ترويجِ زُورِها على الناس بهذه الصورة، وتدخلُ فيما لا يُحْصَرُ من الهيئاتِ والصور، وكذلك تُصَوِّرُ كلَّ شيءٍ بغيرِ صورتِه، وتُخَيِّلُ بقوةِ السحرِ أنه على أصلِ هيئتِه، فَتَجْلُو الحقَّ في صورة الباطل والباطلَ في صورةِ الحق، وتُبْدِي الصدقَ في هيئة الكذبِ والكذبَ في هيئةِ الصدق، فلا يتميز الأصلُ من الفرع، ولا البدعةُ من سُنَّةِ الشرع، وهكذا تُضِلُّ بسحرِها القلوب، وتُخْرِجُ العقولَ عن نهجِ الاستقامةِ المطلوب، حتى أنها في بعضِ الأحيانِ تَسْتَغْفِلُ البصيرةَ مع قوةِ إدراكِها، وتستدرجُها بقوةِ السحرِ حتى تَقَعَ في حبائلِ أَشْرَاكِها، لكنني بما جَعَلَ لي اللهُ سبحانَهُ من الفطرةِ المَلَكِية، وما أتاني بقدرتِه من شدةِ القوةِ الإدراكية، لا يَرُوجُ لديَّ زُورُها، ولا تَلْتَبِس عليَّ أمورُها، فأنا أَعْرِفُهَا حقَّ معرفَتِها، على تَغَيُّرِ شكلِها واختلافِ صفَتِها، وأَنْصَحُهَا دائمـًا على رءُوسِ الأشهاد، وأريد أن لا يَقَعَ في شَرَكِ شَرِّهَا العباد، ولكن مَا كُلُّ مرةٍ تَسْلَمُ الجَرَّة، فإنها قد يَغْلِبُ باطلُها علَى حَقِّي، ويُرَجِّحُ الناسُ كذبَها على صِدْقِي، وأنا أناديهم فلا يسمعون، وأُناجِيهم بالحقيقة فلا يَعُون، وأُنَبِّهُهُم فيغفُلُون، وأُفَقِّهُهُم فلا يعقلون، وها أنا بما فيَّ من القوةِ الملكية أُرِيكَها بِرَأْيِ العَيْن، لتُبْصِرَ ما لها معَ الخلق من وساوسِ المكرِ ودسائسِ المَيْن[1]، فها هي تَتَهَيَّأُ لأمرٍ جَسيم، وتتجهزُ لإيقاعِ سحرٍ عظيم، تُعِدُّ له الحبالَ والعصِيّ، لتَسْحَرَ الدانيَ به والقَصِيّ، قال: فبقيتُ متحيرًا من عبارتِه، ثم نظرتُ إلى موضعِ إشارتِه، فإذا ساحرةٌ شريرة، خبيثةٌ قصيرة، على وجهِهَا نقَابُ المكر، وفي يدها عصا السحر، تقذفُها إلى جَوِّ السماء، ثم تَتَلَقَّفُها من الهواء، وهي تتلونُ تَلَوُّنَ الحِرباء، وتتلاعب بجميع الأشياء، وعليها ثيابٌ غريبةُ الأشكال، فيها مِنْ كلِّ شكلٍ ولونٍ مِثال، ورأيتُها تتباهى بزينتِها ووَشْيُها، وعليها جَلاجِلُ كَثِيرةٌ

(١) المَيْنُ: الكذب (ينظر: اللسان مادة: مأن ١٣ / ٣٩٦)

تَصْطَخِبُ عندَ مشيها، ولكنْ حُجِبَتْ دونَها المسامعُ والأبصار، فلم يكن يشعرُ بها أحدٌ من الحُضَّار، والحاصلُ أن هذه الساحرةَ جاءت فدخلت بينَ مَن حَضَر، وجعَلَتْ تَمَسُّ بعصاها السحريةِ كلَّ من أدْرَكَتْ بالنظر، فصارت صُوَرُ القومِ عند ذلك تتغير، وهيأتُهم تتبدل لقوةِ سحرِها وتَتَنكَّر، ورأيتُ الأشياء تتقلب إلى صورِ أضدادِها، حتى الْتَبَسَ ضُرُّها بنفعِها، وزورُها بحقِّها، وشرُّها بخيرِها، فصار حبُّ الجاه في صورة عُلُوِّ الهِمَم، وصار السَّرَفُ والتبذيرُ في صورةِ الجود والكرم، وصار الشُّحُّ والتقتيرُ في صورة حسن التدبير، وصار الفسقُ والفجورُ في صورةِ الأُنْسِ والحُبُور، وصار الخداعُ والنفاقُ في صورة المُدَارَاةِ والوِفَاق، وصار الظلمُ في صورة العدل، وكذلك الفضولُ في صورة الفَضْل، والرياءُ في صورة الصلاح، والخسرانُ في صورة الفلاح، وهكذا إلى غيرِ ذلك بحيث لم يَبْقَ أحدٌ في حالته الأولية، واغْتَرَّ الخلقُ بهذه الصور المُبَدَّلَةِ واشْتَبَهَتْ بالصور الأصلية، ولَحِقَ ذلك التبديلَ والتغيير، فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير، فاجتمع الهوى مع الأغراض الدنيئة، والشهوةُ والخصال الرديئة، وجاءت قَضُّهَا بِقَضِيضِها[1]، من أَوْجِ المملكةِ وحَضِيضِها، وحشدوا عندَ العقل الحاكم، وهُم في هيئاتِ الفضائلِ والمكارم، وصار كلٌّ يَعِدُه ويُمَنِّيه، ويُغْرِيه بما لا خيرَ فيه، فكانوا يُسَوِّقُونه للفاسد في صورة الصحيح، ويُشَوِّقُونه للقبيح، مستورًا بشعارِ المليح، وما منهم إلا من يُجْرِيه إلى جِهَتِه، ويُدْلِي إليه بِشُبْهَتِه، واللغَطُ بينهم مرتفع، والمتكلمُ[2]أكثرُ من المستمِع، حتى صارت أصواتُ العدلِ والحَقَّانيةِ والاستقامة، لا تُسْمَعُ بحضرةِ العقل الحاكم في أثناءِ تلكَ القيامة، لاسيَّما وقد غلبَ الشرُّ والباطل، والنقصُ على الخير والحقِّ والكمال، وأَبْعَدُوا هؤلاء المغلوبين عن حضرة الملك العقلِ في الحال، وكانت البصيرةُ رأت أمامَها

(١) يقال: جاءوا قَضُّهم بقَضِيضِهم أي جاءوا بأجمعهم (ينظر: لسان العرب مادة: قضض ٧/ ٢١٩)

(٢) في الأصل: المكلم.

البَطَالَة، فظنتْ أنها الراحةُ في تلك الحالة، فاسْتَدْنَتْهَا وضَمَّتْهَا إليها، ونامت معها كأنما أُغْمِيَ عليها، فلم يبقَ في ديوانِ العقلِ، من يرشده إلى الحقِّ من أهل الفضل، غيرَ أن أولئك المغلوبين كانوا ينادونه بالنُّصْحِ من بعيد، ويقولون لا تغتر بهذه الأحوالِ الباطلةِ أيها الملك السعيد، فصارَ مُتَرَدِّدًا بينَ موافقة الأغراض ومخالفتها، مُتَحَيرًا في إنكار هذه الأصوات البعيدة ومعرفتِها، ومازال على هذه الحالِ حتى قَوِيَت الأغراضُ المذكورةُ فجَذَبَتْ قلبَه إليها، ولم يبق إلا أن يُطِيعَها بالفعل ويُعَوِّلَ عليها، فعند ذلك ظَهَرَتْ آفَةُ الملوك، القاطعةُ لهم عن مناهجِ البرِّ وحسنِ السلوك، تُدِيرُ عليهم كؤوسَ الغُرور، وتَجُرُّهم إلى أنواع الشرور، فتُوْقِعُهم في المَعَاطِب، وسوءِ العواقب، فتَمْلِكُهُم وهم لا يَدْرُون، وتُهْلِكُهُم وهم لا يشعرون، ألاَ وهي الملعونةُ الكاهنة، المعروفةُ باسم المُدَاهَنَة، فجاءت وفي يدها مَبْخَرَةٌ مَلأتْ رائحتُها الرءوس، وفَعَلَتْ بكل ما نالَتْهُ ريحُها ما لا تفعل الكؤوس، فدخَلَت تَنْشُر روائحَها، وتزخرفُ للناس قبائحَها، وهي تتكلمُ بالفصاحة التامة، وتُحَاكِي في كلامها صوتَ الأفكار العامة، وتُحَدِّثُ كلَّ أحدٍ بما يعجبه، وتُثْنِي عليه بما يُطْرِبُه، فدخَلَتْ مثلَ الشيطان، في مجلسِ العقلِ السلطان، وهي تقول: أيها الملكُ القادر، والسلطانُ القاهر، باعَدَتْكَ الأكدار، وساعَدَتْكَ الأقدار، ولا زال يُسْعِدُكَ البَخْت، ويَسْعَدُ بك التاجُ والتَّخْت[1]، أراكَ بحمدِ الله قد صَفَا لك المُلك، وحاقَ بجميعِ أعدائك الهُلْك، فليس لمُلْكِكَ زَوَال، ولا لك في الخليقَةِ أمثال، وقد نِلْتَ مِن كل أملٍ أَسْنَاه، وعَمِلْتَ مِن كلِّ عملٍ أسْمَاه، ولم يبقَ إلا ذخائرُ اللذات تَقْتَنِيها، وأَخَايِرُ[2] الشهوات تجتنيها، وأراكَ قد مِلْتَ لذلك ولا ضَيْر، وما زال في رأيِكَ الخِيَرَةُ والخير، فالأمر مأمون، وحسنُ العاقبة مَضْمُون، ويا صِدْقَ ما قيل: إنَّ الحُكَّامَ مُلْهَمُون،

---

(١) التخت يعبر به عن سرير الملك (ينظر: تصحيح التصحيف للصفدي ص ٣٥)

(٢) جمع آخر.

وقد اجتمعَ هؤلاء الأكارم، أربابُ الفضائل والمكارم، وما فيهم إلا نَصُوحٌ شَفِيق، أكثر حُباً لكَ من الوالدِ والشقيق، وكلهم بذلك يُشِير، والطالعُ بِسَعْدِكَ بَشِير، فوافِقْ إِشَارَةَ الجمهور، ولا تؤخر فُرَصَ السرور.

واجْسُـرْ عَلَـى فُـرَصِ اللـذاتِ مُحْتَقِـرا عظيــــمَ ذَنْبِــــكَ إنَّ اللهَ غَافِــــرُهُ

وما زالت تُنَمِّقُ له المقال، وتُخَيِّلُ له الهدى في الضلال، حتى انْقَادَ للشهواتِ يعملُ برضاها، ويَسْمَعُ آراءَها فيَحْكُمُ على مقتضاها، فصار في الحقيقة أسيرَها، وقد كان قبلَ ذلك أميرَها، وهكذا تفعلُ المداهنةُ مع من يقبلُها من السلاطين، وكذلك قُرَنَاءُ السوء الشياطين، وعند ذلك اشتدَّ اشتعالُ نارُ الاختلال، وانتشرَ شَرَرُ الشرِّ في جميع المَحَال، فضَعُفَ أمرُ تلك الدولة وانْحَل، واعتلَّ جسمُ المملكةِ واختل، حتى أشرَفَت على التلفِ كلها، وكاد أن يَنْمَحِيَ من هذا العالم أصلُها.

قال الخيال: ولم يكن مِنْ دليلِي الفِرَاسةِ في خلال هذه الأحوال، غير التأسفِ على ما صارت المملكة إليه من الوَبَال وسوءِ المآل، وكأنما قَطَع مِنْ فلاحِها الآمال، وأَزْمَعَ التغافلَ والإهمال، قال: فأخذَتْنِي الحَمِيَّةُ والغَيْرَة، وقلت له: بالله ما هذه الحَيْرَة؟ ولِمَ تَسْكُتُ على هذا البأس؟ وأيُّ ثمرةٍ تُؤَمِّلُ في اليأس؟ فقم بنا على أَقْدَامِ الإِقْدَام، ولْنُشَمِّر عن ساعد الاهتمام، حتى نُغِيثَ هذه الأمة، ونُزِيحَ عنها بعون الله الغُمَّة، ففي الوقت بقيةُ إمْكَان، وعلى الله تعالى التُّكْلاَن، وهذه البصيرةُ قد استيقظَتْ مِن مَنَامِ غَفْلَتِها، ووقفتْ على حقائق الأمور تفصيلِها وجملتِها، وهي ملتفتةٌ إلينا، وها هي قادمةٌ علينا، فقال: إنما كنتُ أتَرَقَّبُ هذه الفرصة، للاشتغال بإِسَاغَةِ هذه الغُصَّة.

قال الخيال: ثم إنَّا لَقِينَا البصيرةَ فحادَثْنَاهَا في ذلك الشان، ومضينا ثلاثَتَنَا على الفور إلى حضرة العقلِ السلطان، وأبْدَتِ الصحةُ حقيقةَ الحال في مِرْآتِها، وعَرَّفَتْهُ ما

فَعَلَتْهُ الغفلةُ من تبديل صورِ الجماعةِ وهيآتِها، ثم أرسلَتِ البصيرةَ فأحضَرَتِ الندامة، واستحضرت معها أيضًا النفسَ اللوامة، فأدَّبَتْ بواسطَتِهِمَا الحاكمَ المُشَارَ إليه، وأعادته ثانيًا إلى ما كان قبلَ ذلك عليه، وغَلَبَتِ البصيرةُ على الغفلة فهَزَمَتْها، وأزاحَتْ خيالاتِ سِحْرِهَا الموجودةِ وحَسَمَتْها، وزالَ الاختلالُ والفسادُ من كلِّ مكان، وعادَ كلُّ شيءٍ لأصلِ صورتِه الحقيقيةِ كما كان.

قال الخيال: فلما أبْصَرْتُ ما صار من هذا الظفرِ والانتصار، تخيلتُ أنَّ الظفرَ المذكورَ إنما هو ثمراتُ سَعْيِي المشكور، فدَاخَلَنِي ما لم أُحْصِهِ مِن السرور، ومِثْلُهُ من الخيلاءِ والغرور، فتركتُ الدليلَ ظِهْرِيًا، وصَيَّرْتُه نَسْيًا مَنْسِيًّا، وصرتُ أَتَمَشَّى وحدي مَلِيًّا، حتى عَنَّ لي القعودُ على تَخْتِ الاستقامة العقلية، فمَشَيْتُ إليه، وصعدتُ مع كمالِ التمكينِ والوقارِ فاستويتُ عليه، فضَحِكَت الصحةُ عليَّ، وأشارت مِن بعيدٍ إليَّ، أنْ أخْطَأْتَ وأخطأتْكَ الكَرَامة، هذا تَخْتُ البلاهَةِ لا تَخْتُ الاستقامة، فضحكَ عَليَّ مَن في المجلس مُقَهْقِهَا، وقمتُ عن التختِ فوَقَعْتُ مُتَدَهْدِهًا[1]، واعتراني من الخجلِ والحياء، بقدر ما كان عندي من الغرورِ والخُيَلاء، وسِرْتُ أجُرُّ رِجْليَّ، والخلْقُ يضحكون عَلَيَّ، وتَبِعَتْنِي النفسُ اللّوَّامَة على القَدَم، وصارت تَضْرِبُنِي بسياطِ النَّدَم، حتى تُبْتُ ورجعت، واعْتَذَرْتُ بقدرِ ما استطعتُ، فعُدْتُ من حيث أتيتُ، وقد وَعَيْتُ كلَّ ما رأيتُ، وأردْتُ أن يَبْقَى تَبْصِرَةً للأنام، فحكيتُ ما رأيتُه بالتمام.

بحمدِ مولانا خالقِ البرية، مَنْ خَصَّهُم بالعقول الزكية، تَمَّتْ هذه المقامة السَّنِيَّة الفكرية، في المملكة الباطنية، المُزْرِيَةُ بالمقامات الحريرية[2]، ولَعَمْرِي لو اطَّلَعَ

(١) تَدْهَدَهَ: تدحرج ووقع بعضه على بعض (تهذيب اللغة ٣/ ١٣٢١)

(٢) يقصد القاسم بن علي بن محمد البصري ت ٥١٦ هـ، صاحب المقامات الحريرية المشهورة (ينظر: وفيات الأعيان ٤/ ٦٣)

الحارثُ بن هَمَّام[1]على هذا السحر الحلال، وبديعِ المقال، معَ رقةِ الألفاظ، ودِقَّةِ الأوْعَاظ، لَلَزِمَ مَحِلَّةَ بني حَرَام[2]، ولم يتعرَّضْ للروايةِ في هذا المقام، ولقد فاز بطبعِها ونشرِها، وإذاعةِ حَلالِ سحرِها، بينَ أهلِ الأدب من أبناء العرب، حضرةُ مُلْتَزِمِها حسن علي المَنْيَلاَوِي المَطْبَعْجِي، وقد طبعها بيده، فجاءت فريدةً في بابِها، نافعةً لطلابها، من أهلِ الذوقِ والأدب، ومَنْ تُهِمُّهُم مطالعةُ الكتب، وذلك في شهر ذي القعدة سنة ١٣١٥ هجرية، الموافقة لسنة ١٨٩٨ ميلادية، في شهر مارث، وهي مُصَحَّحَة ومقابَلَةٌ بغايةِ الضبط عند طبعها، لِقَصْدِ تحسين وَقْعِهَا، أدامَ اللهُ على مؤلفِها من النعمة أَعَمَّها، ومن السعادة أَتَمَّهَا، آمين.

وقد كُتِبَتْ بيدِ الفقير المتوكلِ على مولاه، أبو طالب عبد الله، غُفر له، آمين.



(١) شخصية اخترعها الحريري وجعله بطلًا لمقاماته.

(٢) بطن من الأزد من الخزرج من القحطانية (ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ص٢٣٠)

فهرس المصادر والمراجع

- الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنى، محمد بن أحمد بن محمد العميدي، تقديم وتحقيق وشرح: إبراهيم الدسوقي البساطي، الناشر: دار المعارف، القاهرة - مصر، عام النشر: ١٩٦١م.
- الإتباع والمزاوجة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: كمال مصطفى الناشر: مكتبة الخانجي - القاهر / مصر.
- الآثار الفكرية (أشعار وكتابات عبد الله فكري باشا) جمعها ابنه أمين فكري، ط: المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩١٢م.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الناشر: دار المعرفة - بيروت.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- آداب الصحبة، محمد بن الحسين بن محمد النيسابوري السلمي، المحقق: مجدي فتحي السيد، الناشر: دار الصحابة للتراث - طنطا - مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٠ - ١٩٩٠م.
- الأذكياء، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الناشر: مكتبة الغزالي، القاهرة.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
- إصلاح المنطق، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، المحقق: محمد مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
- الأصمعيات، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع، المحقق: احمد محمد شاكر - عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة: السابعة، ١٩٩٣م.
- أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، ط: دار السعادة، مصر ١٩٩٨م.
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) الطبعة: الرابعة، ١٤١٥هـ.
- الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - مايو ٢٠٠٢م.
- الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية، تحقيق: سمير جابر.
- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، إدوارد كرنيليوس فانديك، صححه وزاد عليه: السيد محمد علي البيلاوي، الناشر: مطبعة التأليف (الهلال)، مصر عام النشر: ١٣١٣هـ - ١٨٩٦م.

- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى، علي بن هبة الله بن ماكولا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ألفية ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، الناشر: دار التعاون، القاهرة.
- الأمالي، أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، الناشر: دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م.
- الأمالي، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- الأوائل، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، الناشر: دار البشير، طنطا الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.
- الأوائل، أبو بكر بن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، المحقق: محمد بن ناصر العجمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.
- البصائر والذخائر، المؤلف: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، المحقق: وداد القاضي، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- بنية الأرجوزة وجمالية تلقيها عند العرب، المهدي لعرج، ط: إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب ٢٠٠٩م.

- بهجة المجالس وأنس المجالس، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت ١٩٩٩م.
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية.
- تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغور عطا، ط: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨٧م.
- تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين للويس شيخو، منشورات الدار المشرفة، بيروت.
- تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، الناشر: المكتبة البولسية، لبنان ١٩٨٧م.
- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، المحقق:

خليل شحادة الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- تاريخ المشايخ اليازجيين وأخبارهم، عيسى اسكندر المعلوف، المطبعة المخلصية، صيدا، لبنان ١٩٤٥م.

- تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل، إلياس الأيوبي ط: مصر ١٩٢٣م.

- تحسين القبيح وتقبيح الحسن، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، المحقق: نبيل عبد الرحمن حياوي، الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت / لبنان.

- التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن حمدون، ط: دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

- التذكرة الفخرية، بهاء الدين علي بن عيسى الإربلي، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط: دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

- تراجم مشاهير الشرق، جورجي زيدان، مطبعة الهلال، القاهرة ١٩١١م.

- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: السيد الشرقاوي راجعه: الدكتور رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- تفسير الثعلبي، أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور،

الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي، المحقق:أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.
- تفسير القرطبي، محمد بن أحمد، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى ١٩٦٤م.
- التمثيل والمحاضرة، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ١٣٨٧هـ.
- تهذيب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، المحقق: محمد

عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى ٢٠٠١م.

- تهذيب مستمر الأوهام على ذوي المعرفة وأولي الأفهام، سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا، المحقق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي،الناشر: دار الفكر العربي الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي الناشر: دار المعارف، القاهرة.
- جامع أحاديث الشيعة، إسماعيل المعزي الملايري، ط: مطبعة المهر، قم، إيران ١٣٧٢هـ.
- جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ط: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
- الجامع الصغير من حديث البشير النذير، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط: دار الفكر، بيروت، لبنان.
- الجراثيم، ينسب لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، حققه: محمد جاسم الحميدي، قدم له: الدكتور مسعود بوبو، الناشر: وزارة الثقافة، دمشق.
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

- جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجاوي، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
- الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، ابن الحداد محمد بن منصور بن حبيش، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة الرياض الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م
- الجيم، أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني بالولاء، المحقق: إبراهيم الأبياري، راجعه: محمد خلف أحمد الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، عبد الله بن محمد بن يوسف العبدلكاني الزوزني، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- الحماسة المغربية، أحمد بن عبد السلام الجرّاوي، تحقيق محمد رضوان الداية،الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة الأولى١٩٩١م.
- الحيوان، الجاحظ، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.
- خريدة القصر وجريدة العصر، عماد الدين الأصفهاني، تحقيق شكري فيصل، ط: المطبعة الهاشمية، دمشق ١٩٥٩م.

- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري،المحقق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، ٢٠٠٤م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين المحبي، ط دار صادر، بيروت.
- ديوان إبراهيم بن هرمة تحقيق: محمد جبار المعيبد الناشر: مكتبة الأندلس، بغداد الطبعة: ١٣٨٦هـ، ١٩٦٩م.
- ديوان أحمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق محمد رضوان الداية، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٩م.
- ديوان الأرجاني، تحقيق قدري مايو، ط: دار الجيل، بيروت، لبنان ١٤١٨هـ.
- ديوان الإنشاء، أحمد الهاشمي،ط: دار المعرفة ٢٠٠٥م.
- ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، ط: دار المعارف مصر.
- ديوان بديع الزمان الهمذاني، ص٣٤ تحقيق يسري عبد الغي عبد الله، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣م.
- ديوان بشار بن برد، تقديم محمد الطاهر بن عاشور، ط: دار الفكر العربي ١٩٥٠م.

- ديوان البهاء زهير، شرح وتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد طاهر الجبلاوي، ط: دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، ط: دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة
- ديوان جران العود، ط: دار الكتب المصرية ٢٠٠٠م.
- ديوان جرير، ط: دار بيروت، لبنان.
- ديوان حاتم الطائي، شرح أحمد رشاد، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢م.
- ديوان حسان بن ثابت، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
- ديوان الحطيئة، دار المعرفة بيروت لبنان.
- ديوان الحماني، تحقيق محمد حسين الأعرجي، ط: دار صادر، بيروت ١٩٩٨م.
- ديوان ابن حمديس الصقلي، ط: دار صادر، بيروت ١٩٩٩م.
- ديوان ذي الرمة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢م.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق علي حسن فاعور، ط: دار الكتب العلمية ١٩٨٨م.
- ديوان الشافعي، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ط: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٥م

- ديوان الشريف الرضي، ط: مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي، العراق ١٤٠٦هـ.
- ديوان الصبابة لأحمد بن حجلة المغربي ط: مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧١م.
- ديوان صريع الغواني، شرح سامي الدهنان، ط: دار المعارف القاهرة.
- ديوان طرفة بن العبد، ط: دار الكتب العلمية.
- ديوان الطغرائي، تحقيق علي جواد الطاهر ويحيى الجبوري ط: مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.
- ديوان عائشة الباعونية، تحقيق محمد صلاح الخيمي، ط: دار التراث العربي، دمشق ١٩٨١م.
- ديوان عبد الله بن المعتز، ط: دار صادر، بيروت.
- ديوان أبي العتاهية، ط: دار بيروت ١٩٨٦م.
- ديوان عدي بن الرقاع العاملي، تحقيق حسن محمد نور الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.
- ديوان العكوك، تحقيق زكي ذاكر العاني ط: دار الساعة، العراق ١٩٧١م.
- ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مراد ط: وزارة المعارف السعودية ١٩٨٠م.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، ط: دار الكتاب العربي ١٩٩٦م.
- ديوان عمر بن الفارض، الناشر: دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٥م.
- ديوان عنترة، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، ط: المكتب الإسلامي، دمشق.

- ديوان الغزالي، جمعه واعتنى به محمد عبد الرحيم،ط: دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق.
- ديوان ابن الفارض، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ديوان أبي فراس الحمداني، ط: دار الكتاب العربي ١٩٩٤م.
- ديوان كثير عزة، جمع وتحقيق إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت ١٩٧١م.
- ديوان كشاجم، تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان، ط: مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٩٧م.
- ديوان لبيد بن ربيعة، ط: دار المعرفة بيروت لبنان.
- ديوان المتنبي، ط: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.
- ديوان محمد بن حازم الباهلي، تحقيق مناور محمد الطويل، ط: دار الجيل بيروت ٢٠٠٢م.
- ديوان النابغة الجعدي، تحقيق واضح الصمد، ط: دار صادر بيروت ١٩٩٨م.
- ديوان النابغة الذبياني، ط: مطلعة الهلال بالفجالة بمصر.
- ديوان النابغة الشيباني، ط: دار الكتب المصرية ٢٠٠٠م.
- ديوان ابن نباتة المصري، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ديوان ابن النبيه، ط: دار صادر، بيروت.
- ديوان أبي نواس (الخمريات)، ط:المطبعة العمومية بمصر.

- ديوان هارون الرشيد، جمعه وحققه سعدي ضناوي، ط: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني، ط: دار الأضواء، بيروت.
- الراموز على الصحاح، السيد محمد بن السيد حسن، تحقيق محمد علي عبد الكريم الرديني، ط:دار أسامة - دمشق - الطبعة الثانية ١٩٨٦م.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار لجار الله الزمخشري، ط: مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- الروض المعطار في خبر الأقطار محمد بن عبد الله الحميري، تحقيق إحسان عباس، ط: مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي الحصري القيرواني،ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي، المحقق: د محمد حجي، د محمد الأخضر، الناشر: الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ- ١٩٨١ م.
- سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي (وهو شرح منظومة حرز الأماني ووجه التهاني للشاطبي) علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن المعروف

بابن القاصح العذري البغدادي، راجعه شيخ المقارئ المصرية: علي الضباع الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر الطبعة: الثالثة، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

- السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير، علي بن أحمد بن نور الدين العزيزي، ط: المطبعة الخيرية، القاهرة ١٣٠٤هـ.

- سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر لعلي بن أحمد بن معصوم، ط: دار إحياء التراث، بيروت.

- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل بن علي الحسيني، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م

- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي [هو كتاب شرح أمالي القالي / لأبي عبيد البكري؛ نسخه وصححه وحقق ما فيه وخرجه وأضاف إليه عبد العزيز الميمني] أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

- الشافية في علم التصريف (ومعها الوافية نظم الشافية للنيساري) الناشر: المكتبة المكية - مكة المكرمة.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- شرح الأزهرية، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، ط: المطبعة الكبرى، بولاق، القاهرة.
- شرح الأشموني لألفية ابن مالك، علي بن محمد الأشموني، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- شرح ديوان الحلاج، كامل الشيبي، دار النشر: منشورات الجمل، ألمانيا، الطبعة: الثانية ١٩٩٣م.
- شرح ديوان الحماسة، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، المحقق: فريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- شرح ديوان ابن الفارض لبدر الدين اليوريني وعبد الغني النابلسي، جمعه رشيد بن غالب اللبناني، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧١م.
- شرح ديوان المتنبي للواحدي، ضبطه ياسين الأيوبي وقصي الحسين، ط: دار الرائد العربي، بيروت.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة: العشرون ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م.
- شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، الحسن بن عبد الله بن المرزبان، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- شرح المفصل للزمخشري، المؤلف: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا، المعروف بابن يعيش، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- شرح مقامات الحريري للبارون دي ساسي، ط: المطبعة الامبراطورية، باريس ١٨٢٢م.
- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الناشر: دار الحديث، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣هـ.
- شعر عبد الصمد بن المعذل حَقَّقَهُ وقدّمَ لَهُ زهير غازي زاهد مطبعة النعمان - النجف - العراق ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري، تحقيق حسين العمري وآخرين،ط:دار الفكر المعاصر، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله

عليه وسلم وسننه وأيامه) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

- صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال للقاضي حسين بن محمد المهدي، ط: وزارة الثقافة، اليمن، راجعه عبد الحميد محمد المهدي.
- طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحيّ، شرحه محمود محمد شاكر طبع في مصر ١٩٥٢م.
- طلبة الطلبة، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل النسفي، الناشر: المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٣١١هـ.
- عبد الله فكري، محمد عبد الغني حسن (سلسلة أعلام العرب، القاهرة، ١٩٦٥م)
- عجائب النباتات والمخلوقات، عمر بن مظفر بن الوردي، تحقيق نور محمود زناتي، ط: جامعة عين شمس، القاهرة.
- العقد الفريد، المؤلف: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٤هـ.
- العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨هـ.

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي، ابن أبي أصيبعة، المحقق: الدكتور نزار رضا الناشر: دار مكتبة الحياة - بيروت.
- غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب، محمود شكري الألوسي، ط: مطبعة الشاهبندر، بغداد.
- غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، المؤلف: أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.
- غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- الغيث المنسجم في شرح لامية العجم، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي،ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
- الفائق في غريب الحديث والأثر، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة - لبنان،الطبعة الثانية
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

- فتح المتعال على القصيدة المسماة بلامية الأفعال، حمد بن مُحَمَّد الرائقي الصعيدي الْمَالِكِي، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، لطبعة: ١٤١٧هـ - ١٤١٨هـ.
- الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه بن شهردار، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني المحقق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، الناشر: إحياء التراث العربي.
- فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٧٣م.
- في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، ط: دار الفكر، القاهرة ١٩٥١م.
- قدماء ومعاصرون، سامي الدهنان، ط: دار المعارف، مصر ١٩٦١م.
- ـ الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- كتاب سيبوية، تحقيق عبد السلام هارون، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس المؤلف: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ) الناشر: المكتبة

العصرية، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- الكشكول، محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، المحقق: محمد عبد الكريم النمري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.
- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي، المحقق: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السَّراج الناشر: دار الفكر - دمشق.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.
- مجمع الأمثال أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد الناشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان.
- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، المؤلف: أحمد قبش بن محمد نجيب، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤م.

- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
- المحاضرات والمحاورات، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم، علي بن سيدة، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- مختصر تاريخ دمشق، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار النشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٤م.
- المخصص، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ١٩٩٦م.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي، وضع حواشيه خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري الهروي، ط: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى العمري، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة الأولى ١٤٢٣م.

- مستدركات أعيان الشيعة، حسن الأمين، ط: دار التعارف، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٧م.

- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، الناشر: دار المعرفة – بيروت، بإشراف: د. يوسف المرعشلي.

- المستطرف في كل فن مستطرف، المؤلف: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

- المستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م.

- مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، تحقيق مجموعة محققين، ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

- مسند الشهاب، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي المصري، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.

- مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤م.

- مسند الإمام أحمد، تحقيق السيد أبو المعاطي النوري، ط: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م

- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

- المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

- مطالع البدور ومنازل السرور، علي بن عبد الله الغزولي، ط: مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٦٦م

- المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٩٢م.

- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، المؤلف: عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: عالم الكتب - بيروت.

- معجم الأدباء لياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، ط: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.

- معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، تحقيق:

دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- معجم الشعراء، محمد بن عمران المرزباني، بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، الناشر: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- معجم الصحابة، تحقيق صلاح بن سالم المِصْرَاتي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ.
- المعجم الصغير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق محمد شكور، ط: المكتب الإسلامي، عمان، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي، الناشر: مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة، الإسكندرية.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة، القاهرة.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، المحقق مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.
- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، الناشر: دار الساقي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- مقامات الحريري أبو محمد القاسم بن علي الحريري، الناشر: مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٣م.
- المقنع في رسم مصاحف الأمصار، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، أبو عمرو الداني، المحقق: محمد الصادق قمحاوي، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي، القاهرة ١٩٦٨م.
- منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، المجلد الأول والثاني: تحقيق/ السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعارف - الطبعة الرابعة، المجلد الثالث: تحقيق / د. عبد الله المحارب، الناشر: مكتبة الخانجي - الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- المؤتلف والمختلف، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
- موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بدوي، ط: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٣م.
- الموشى = الظرف والظرفاء، محمد بن أحمد بن إسحاق، الوشاء، تحقيق كمال مصطفى، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة،الطبعة الثانية ١٣٧١هـ - ١٩٥٣م.
- الموضوعات، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٩٦٦م.
- نزهة الأدباء وتحفة الظرفاء لبدر الدين الدمياطي ص١٦١، تحقيق محمد فؤاد أبو شهدة وعبد الفتاح الغنيمي،ط: دار الكتب العلمية.
- نفحة الريحانة ورَشْحَةُ طِلَاء الحانة، محمد بن فضل الله المحبي ٢/ ٥٥ ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٩م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقري ٤/ ١١٠، تحيقي إحسان عباس، ط: دار صادر، بيروت ١٩٦٨م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغرى بردى، ط: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، القاهرة.

- نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار، عبد الغني النابلسي، تحقيق أحمد فريد المريدي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
- نوادر المخطوطات، عبد السلام محمد هارون، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، المحقق: إبراهيم الإبياري، الناشر: دار الكتاب اللبنانين، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- الوزراء والكتاب، أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري، قدم له د. حسن الزين، الناشر: دار الفكر الحديث سنة الطبع: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، المحقق: د. مفيد محمد قمحية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م.





فهرس الموضوعات

